يا عمال العالم ويا ايتها الشعوب المضطهدة إتحدوا

تحرير، ديمقراطية، اشتراكية، وحدة

طريق الثورة

النشرة المركزية لحزب العمل الاشتراكي العربي

مشروع وثيقة

العمل الشيوعي الثوري العربي الموحّد

العدد الثالث

تموز ١٩٨١

abou-adnan.org

الطبعة الاولى تموز - ١٩٨١
الطبعة الثانية تشرين الثاني - ١٩٨١

abou-adnan.org

يا عمّال العالم ويا ايتها الشعوب المضطهدة اتحدوا

تحرير، ديمقراطية، اشتراكية، وحدة

طريق الثورة

النشرة المركزية لحزب العمل الاشتراكي العربي

العدد الثالث السنة الحادية عشرة تموز ١٩٨١

abou-adnan.org

مقدمة الطبعة الثانية
العبرة والدرس من سرعة نفاد الطبعة الأولى

لقد نفدت الطبعة الاولى ، من العدد الثالث من « طريق الثورة » بسرعة لم نكن نتوقعها . فحسب الغلاف ، ان تموز ١٩٨١ ، هو تاريخ صدور العدد ، بيد ان اعتبارات « معينة » اقتضت وقتا امتد الى اواخر ايلول ، حتى تمكن العدد من الوصول الى القارىء العربي ، ولكن تأخير التوزيع ، بدلا من ان يكون على حساب الكمية ، كان ايذانا بمباشرة الطبعة الثانية . فما كادت عملية التوزيع تبدأ حتى بدأت حركة الطلب تتوالى على العدد نفسه ، تواليا ادى الى نفاد الكمية المطبوعة ، بما فيها الاعداد المخصصة للارشيف والعلاقات السياسية ، مما جعلنا نعجز عن تلبية الاعتبارات الداعية الى تبادل المطبوعات واستطلاع الرأي ووجهات النظر النقدية لموضوعات العدد !..

وامام هذا الواقع الذي لم نكن نتوقعه والذي فرضته ارادة القارىء

abou-adnan.org

العربي ، فقد قررنا اعادة طبع العدد ، علما بأننا لم نكن بوارد اعادة طباعة المجلة ثانية ، وكان مقررا ان تعاد طباعة الدراسة على شكل كتاب ينزل الى المكتبات عن طريق دور النشر العادية ، وكنا نفكر بموضوعات العدد الرابع ، فاضطررنا الى ان نعيد النظر بأولويات اهتمامنا وان نتريث ولا نتعجل باصدار العدد الرابع ، لكي نفسح في المجال امام الطبعة الثانية كي تلبي الحاجة اليها !..

وهكذا وجدنا انفسنا ، امام مهمة غير المهمة التي كنا نعد لأدائها . فتقديرا للمناضلين من ابناء شعبنا واعتذارا لهم في الوقت نفسه ... تقديرا للاهتمام الذي محضوه للفكرة الثورية ، واعتذارا عن تأجيل اصدار العدد الرابع ، ريثما ننتهي من توزيع الطبعة الثانية ، ونتمكن بالتالي من معرفة الكمية المطلوبة من « طريق الثورة »، لكي لا نضطر لاعادة طباعة العدد مرتين خلال ايام معدودة !..

قد لا يستحق امر نفاد عدد من مجلة كمجلتنا ، كل هذا التأويل والتفسير ، وقد يكون اهتمامنا بهذه المسألة تحميلا للأمور اكثر مما تحتمل ، فالموضوع لا يعدو كونه عدم دقة في تقدير الكمية المطلوبة ، خاصة وان المجلة تواجه عوائق وصعوبات كبيرة تعقد توزيعها ، مما يفسح في المجال لاحتمال عدم صواب تقدير الكمية المطلوبة بحدها الأدنى !..

فعلا قد لا يستحق الامر كل هذا التأويل ، ولكننا لا نعلق على نفاد الكمية فهذا الأمر قد يكون عاديا ، وانما ينصب تعليقنا على اخفاقنا في تقدير الكمية المطلوبة ، يقينا منا انه (الاخفاق) ناجم عن جو الاستسلام الذي بات يغشي ابصارنا لدرجة لم نعد معها قادرين على التقدير السليم لمكانة الفكرة الثورية لدى جماهيرنا الشعبية ، رغم تصورنا بأننا مع الجماهير ، مؤمنين بها مدركين لسلامة شعورها .

abou-adnan.org

الوطنية الديمقراطية المتصلة والمتداخلة مع الثورة الاشتراكية . . . ثورة الطبقة العاملة وحلفائها الفلاحين والمثقفين الثوريين وسائر الكادحين في وطننا العربي الكبير . . . ثورة التحرير لكامل التراب العربي والديمقراطية لجماهير الأمة العربية ، والاشتراكية التي تحررنا من قيود الاستغلال الطبقي وتطلق حركة تطورنا الثوري ، والوحدة العربية التي تحقق اهداف واماني شعبنا ضمن اطارها ، ويتعزز التضامن البروليتاري الأممي بفضلها ! . .

اواخر ايلول ١٩٨١ هيئة التحرير

abou-adnan.org

وكنا نتوهم ان غيوم التراجع والاستسلام والانحسار التي تطبع مرحلتنا ، وتلبد اجواء وطننا العربي الكبير ، لم تؤثر على رؤيتنا ، وكنا نستدل على سلامة ايماننا بجماهير امتنا العربية ، وبطلائعها الثورية ، بكوننا لم نفقد ما افتقده « الآخرون » ولم نصطف مع طابور الباحثين عن « السلام » مع الامبريالية والصهيونية والرجعية !

انه لأمر خطير فعلا ان يصبح الانسان المؤمن بإرادة شعبه وبقدرته على تحدي حالة الانحسار المفروضة على حركة الجماهير الثورية ، اسير حالة الاستسلام رغم رفضه لها . والخطورة تتجلى في كوننا بتنا عاجزين عن الافلات من مؤثرات الحالة السياسية وشعارات « ازالة آثار العدوان » و« السلام العادل والدائم » المفروضة علينا !..

إننا اذ نستخلص هذه العبرة من نفاد الطبعة الأولى ، انما يهمنا ان نوضح ان سرعة تداول العدد الثالث ، لا ترجع الى شعبية حزب العمل الاشتراكي العربي ومجلته المركزية « طريق الثورة » ، فالحزب قد فقد فرعا بارزا من فروعه ، وكان ذلك شكلا من اشكال التعبير عن الأزمة التي عاشها على امتداد السنوات التسع الماضية ، والمجلة غابت عن انظار الجماهير اكثر من عشر سنوات وانقطع امل قرائها بعودتها . ويمكن تكرار القول نفسه ايضا بالنسبة للدراسة التي احتواها العدد ، اذ ان « طريق الثورة » ضمت الطبعة الثالثة لدراستنا ، ومعنى ذلك ان اشباع رغبة اعضاء الحزب وجماهيره قد تحقق ، لذا فان سرعة تداول الطبعة الاولى ترجع اساسا الى المكانة المرموقة التي ما تزال الكلمة الثورية . . . الفكرة الثورية ، تحتلها بين اوساط جماهيرنا العربية !..

وهذا هو الدرس الهام والعبرة الجلية التي تتجسم امام انظار كل الثوريين الذين ما زالوا سائرين على « طريق ثورة » شعبنا العربي

abou-adnan.org

العَودة الى "طريق الثورة"!..

حين يكتب تاريخ انبعاث فكرة حزب العمل الاشتراكي العربي ، والتبشير بها ، وطرحها لتكون البديل الذي يحتوي منظمات حركة القوميين العرب ، التي عارضت الانشقاق واختارت طريق التحول نحو الشيوعية ، ويعيد تشكيلها لتتلاءم مع العقيدة الشيوعية التي قام حزب العمل الاشتراكي العربي على اساسها ...

حين يكتب هذا التاريخ ، فإن العودة الى اواخر عام ١٩٦٩ ، ستكون ضرورية لتسجيل الوقائع الأولى لتاريخ مسيرتنا النضالية !...

وإذن ، هناك اكثر من إحدى عشرة سنة ونصف السنة ، ومع ذلك ، فإن رصيد « طريق الثورة » لا يتجاوز العددين : الأول والثاني ...

في حزيران ١٩٧٠ ، صدر العدد الأول ، وفي نيسان ١٩٧١ ، صدر العدد الثاني ، وكاد العدد الثالث يصدر اوائل عام ١٩٧٢ ، ولكن حالت الأزمة دون صدوره بعد ان صفت مواده واستلمت المطبعة ثمنه ، ومنذ ذلك الوقت توقفت « طريق الثورة » عن الصدور ، ومنعت من رؤية النور ، ليحرم

abou-adnan.org

المناضل العربي من مطالعتها ، وليتخذ احتجابها ذريعة للتدليل على فشل تجربة الحزب !...

ولكن إذا كان عدم صدور « طريق الثورة » ، طيلة المدة المنصرمة ، يعتبر دليلا على فشل تجربة الحزب ، فعلى ماذا تدل العودة إلى « طريق الثورة » ؟

سؤال وجيه ، اليس كذلك ؟

كافة فروع الحزب ، تتفق على أن أزمة الحزب تكمن في الجانب الذاتي بما في ذلك الجبهة الشعبية لأن الظرف الموضوعي ناضج لقيام حركة شيوعية ثورية عربية موحدة . وإذا كانت الأزمة ذاتية ، بدليل احتجاب « طريق الثورة » عن الصدور ، فلا بد أن تكون عودتها بشير خير وبداية لتجاوز هذه الأزمة !..

إن السعادة تغمرنا ، في هذه اللحظة التي تعاود فيها « طريق الثورة » صدورها ، بعد أن كادت سنوات الأزمة والتعثر تغمرها !...

ولكن هل يعني صدور « طريق الثورة » تجاوزا للأزمة الذاتية التي عاشها الحزب طيلة السنوات الماضية ؟

إن الاجابة على هذا السؤال الكبير تتطلب بحثا مفصلا ومراجعة نقدية شاملة لتجربة الحزب ، لأن صدور مجلة مهما كان حجم دورها ، لا يمكن أن يحمل حلا لأزمة حزب شيوعي ، هي في جوهرها جزء من أزمة الطبقة العاملة !...

وكل ما نستطيع أن نجيب عليه حاليا ، هو أن « طريق الثورة » ، سوف تحمل الجواب الشامل على هذا السؤال في اعدادها القادمة وسوف تسجل تجربة حزبنا ، بالصراحة والوضوح اللينيني !...

لقد اخطأنا مثلما اصبنا ، وبقدر ما نعتز بصوابنا ، فإننا بالقدر نفسه سنلاحق اخطاءنا ونكشفها ونبين الظروف والعوامل التي أدت إليها ، كي نترك للمناضلين العرب ابداء الحكم على رؤيتنا وممارساتنا !...

abou-adnan.org

فإلى الأعداد القادمة من « طريق ثورة » كل الشيوعيين الثوريين العرب !

تموز ١٩٨١

هيئة التحرير

abou-adnan.org

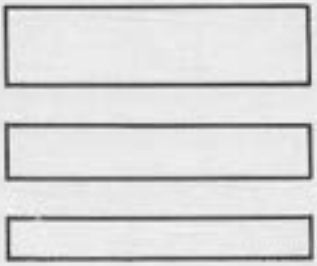

مشروع دراسة
العمل الشيوعي
الثوري العربي
الموحد

د

abou-adnan.org

المقدمة

ظروف ودوافع صياغة هذه الدراسة

١

بين الظروف والدوافع التي أخرجت فكرة حزب العمل الاشتراكي العربي إلى النور لتأخذ طريقها إلى حيز التطبيق والترجمة العملية ، لتكون إحدى ظواهر التطور في مجتمعنا العربي ، وبين الظروف والدوافع التي دعت إلى صياغة دراسة للعمل الشيوعي الثورى العربي الموحد ... بين الحدثين والواقعتين رابط نلحظه في كون كل منهما جاء تلبية لحاجة موضوعية نشأت بفعل تطورات مرحلة سابقة ! ..

ولا يضاح هذه الحقيقة ، دعونا نراجع تلك الظروف والدوافع التي عكست كل من : فكرة حزب العمل الاشتراكي العربي ودراسة العما. الشيوعي الثورى العربي الموحد :

٢

كانت حركة القوميين العرب ، تعيش إنقساما بين تيارين : تيار اليسار وتيار اليمين . ولم يكن ذلك الانقسام قائم على اساس من الوضوح والبلورة . فمقياس الحكم على عناصر التيار اليسارى ، أن تكون رافضة للفكرةالقومية ومعلنة التزامها بالشيوعية . أما عناصر اليمين فتشمل كل من يتحفظ على الرفض المطلق للالتزام القومي الذي نشأ الحركيون في نطاقه .

abou-adnan.org

أما الالتزام بالعقيدة الشيوعية فكان يحظى بالاجماع رغم التفاوت الواضح بين حماس اليسار للطبقة العاملة وحركتها الشيوعية وبين فتور اليمين وامتعاضهم من الاستفزاز الذي باتت تتعرض له مشاعرهم القومية ، قبل أن يمنحوا الوقت الكافي لاستيعاب الايديولوجية الماركسية ـ اللينينية وكيفية جعلها دليلا لكفاح جماهيرنا العربية ! ..

كانت هذه هي حال حركة القوميين العرب خلال مرحلة تحولها الاولى !

٣

وكأي صراع يفتقد للضوابط ، وينطبع بالاحتدام والتفاقم ، تحت تأثير النزعات الذاتية ، بلغ الصراع بين تياري حركة القوميين العرب عام ١٩٦٩ ، مرحلة الانشقاق والانفصال . ومن مفارقات ذلك الانقسام ، أن اليسار واليمين كليهما ، كانا رافضين لنهج الأحزاب الشيوعية العربية الاصلاحي . ومع ذلك لحظنا ، إرتماء اليسار الحركي بأحضان الاقليمية التي تطبع نهج الأحزاب الشيوعية العربية . وفي مقابل ذلك رأينا تقاربا بين اليمين الحركي الذي بقي محافظا على وحدويته وبين هذه الاحزاب نفسها . وكانت العفوية تطبع سلوك وتصرفات كلا التيارين . فلا اليسار مدرك لآفاق التزامه والنتائج التي ستقوده إليها « شيوعيته » الاقليمية ، ولا اليمين ، مدرك لآفاق معارضته للانشقاق وتمسكه بحركة القوميين العرب ! ..

إننا ، إذ نرجع إلى تلك المرحلة ونطالع ما في أدبيات « اليساريين » ، من مناظرات ومحاججات وبينات إدانة للأحزاب الشيوعية العربية ورفض لنهجها ... حين نرجع لتلك المرحلة وما كان عليه موقف اليسار الحركي ، ونقارنه بموقفهم الراهن ، الذي يتناقض مع موقفهم السابق فلن نجد لهذه المفارقة تفسيرا علميا غير هيمنة العفوية والذاتية على ماضي هؤلاء وعدم إدراكهم لمآل نشاطهم والافاق التي ستقود إليها ممارساتهم ! ..

اما اليمين الحركي ، فرغم أنه كان أقل إندفاعا في معاداة الأحزاب الشيوعية العربية ، ولكنه هو الاخر لم يكن يدرك آفاق رفضه للانشقاق وتمسكه بحركة القوميين العرب . فهو لا يرفض الماركسية ـ اللينينية ،

abou-adnan.org

ولكنه ما زال مقتنعا بالتزامه القومي . وقد تطلب حل هذا التناقض في موقف اليمين الحركي فترة ، لعب فيها الضغط الذي مارسه المنشقون « اليساريون » دورا إيجابياً في حسم التناقض والتخلي عن حركة القوميين العرب ، وإعتبارها شكلا تنظيميا متناقضا مع الالتزام الايديولوجي الماركسي ـ اللينيني الجديد ...

ولكن ، لا بد من جلب الانتباه إلى أن كل من تياري حركة القوميين ، لم يكن متماسكا وملتزما بما تعنيه صفته التي أشاعها الصراع بين التيارين آنذاك . ففي التيارين كليهما عناصر مختلفة سواء تعلق الأمر بالتطرف نحو اليمين أم نحو اليسار . لذا ، فإن إطلاق الصفات يقصد به الطابع العام لكلا التيارين . ومعلوم فإن العناصر التي لعبت الدور الحاسم في تقرير مصير التيارين معا ، هي التي صنعت طابع تيارها العام ! ..

وعلينا أن نسجل هنا ، للرفيق جورج حبش دوره في حسم التناقض الذي حكم موقف التيار اليميني خلال الفترة الوجيزة التي أعقبت إنشقاق اليساريين عن حركة القوميين العرب ، فبفضل دوره وجدت فكرة حزب العمل الاشتراكي العربي طريقها إلى النور والترجمة العملية ! ..

هكذا لعبت تطورات الأحداث دورها في دفع تياري حركة القوميين العرب ، إلى عكس مواقفها السابقة : « اليساريون » ، إرتموا بأحضان الاقليمية ، إرتماء وجدوا أنفسهم معه ، واقفين على أرض مشتركة مع الأحزاب الشيوعية العربية التي طرحوا أنفسهم بديلا لها . « واليمينيون » تخلوا عن التزامهم الحركي وأسسوا حزب العمل الاشتراكي العربي ، الذي ولدت فكرته بإعتبارها ردة فعل التيار الحركي اليميني الرافض للاقليمية والداعي لوحدة الامة العربية ! ..

٤

يتضح مما تقدم ، أن فكرة حزب العمل الاشتراكي العربي ، لم تكن بنت وعي وتخطيط مسبقين بقدر ما كانت نتيجة قادت إليها التطورات الموضوعية لمرحلة التحول الاولى نحو الشيوعية التي كانت حركة القوميين العرب تعيشها ، دون وعي لكون الشيوعية ستكون هي التطور المحتوم ،

abou-adnan.org

والافق التاريخي الذي سيحكم مستقبلها ، وتطوراتها اللاحقة !..

لقد رفضنا الانشقاق ، دون أن نرفض الالتزام بالايديولوجية الشيوعية . فجاءت تطورات الاحداث والوقائع التي هي أشياء عنيدة لا ترحم ، لتكشف أمرين هامين : أولهما يتمثل في أن الانشقاق لم يكن مدفوعا بالالتزام الايديولوجي الجديد ، بقدر ما كان مدفوعا بالتخلي عن الايمان بوحدة الامة العربية القومية التي كانت حركة القوميين العرب تدعو لها . ولذلك قادته إقليميته إلى تسوية خلافاته مع الأحزاب الشيوعية العربية ، والتخلي عن التزامه العربي ...

وثانيهما يتمثل في كون اليمين الحركي ، كان هو الاخر سائرا بطريق التحول نحو الشيوعية ، ايضا . وفي هذه الحقيقة التي اكدتها تطورات وقائع الخمسة عشرة سنة الماضية ، برهان كاف على نفي الاتهام الذي وجهه « اليساريون » والذي يقول باستحالة تحول اليمين الحركي إلى الشيوعية ! ..

٥

هكذا ولدت فكرة حزب العمل الاشتراكي العربي ، في ظروه . الانشقاق ، وتحت ضغط الخيار بين حركة القوميين العرب وبين الانسجا مع عقيدتنا الشيوعية الجديدة . وجاء الاختيار الجديد ليؤكد على أننا اسرى العلاقات والظروف التي نخلقها بأنفسنا ...

وبعد مرور أكثر من عشر سنوات على ولادة فكرة الحزب ووضعها قيد التداول والترجمة العملية ، دعت التطورات إلى إعداد دراسة للعمل الشيوعي الثورى العربي الموحد . في حين أن المفروض أن تكون الدراسة هي الأساس النظرى لقيام الحزب ، لكي تشكل مرتكز خصوصية نشوئه الفكرية والتنظيمية العربية ودليل ممارسته العملية . وفي هذه الناحية يتجلى الجانب العفوى في عملية نشوء الحزب رغم أن فكرته عكست إدراكا واضحا للضرورة الموضوعية الداعية إلى جعل الشكل التنظيمي متطابقا مع مضمون التزامنا الايديولوجي الشيوعي الجديد .

abou-adnan.org

إلى أزمة أصبحنا مدركين أنها طبيعية . فالانجرار وراء العفوية له نهاية مثلما له بداية . وكما كانت بداية علاقة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين مع حزب العمل الاشتراكي العربي غير قائمة على أساس من الوعي والتخطيط ، فقد إنتهت إلى الانفصال عن الحزب والانصراف إلى ذاتها الحزبية . والتحقت بركب الأحزاب الشيوعية العربية كما التحق « غير » ها من قبل ! ..

لقد حددت الجبهة الشعبية نظرتها للعمل العربي على أساس أن الحركة في خدمة الجبهة ، وقد سحبت هذه النظرة نفسها على العلاقة مع الحزب لدى قيامه . ولذلك كانت « بعض » كوادر الجبهة الشعبية تتندر بالحزب قائلة : « البنت قد ولدت أمها » ، أي أن الجبهة الشعبية قد خلقت حزب العمل الاشتراكي العربي ، وعندما لم تعد النكتة كافية لمواجهة أعباء العلاقة بين البنت وأمها ، بادرت البنت إلى التحرر من أمها ! ..

وفي ظل ظروف تحرر الجبهة الشعبية من العلاقة مع حزب العمل الاشتراكي العربي ، نشأت فكرة ضرورة صياغة دراسة للعمل الشيوعي الثوري العربي الموحد . فكانت دراستنا هذه ، ردا منطلقيا على إنسحاب الجبهة الشعبية وتخليها عن التزامها العربي بالحزب ، مثلما جاءت فكرة حزب العمل الاشتراكي العربي ، ردا على تخلي المنشقين عن الالتزام بوحدة الأمة العربية ! ..

هنا يثار سؤال عن الفارق بين موقف الجبهة الشعبية الراهن ، وبين موقف اليسار الحركي من ناحية الالتزام بالعمل العربي ؟

الفارق بين الموقفين واضح . فالجبهة رغم إنسحابها من الحزب ما تزال تلتزم بفكرة العمل العربي ، وقد أقر مؤتمرها الرابع بالاغلبية هذا الالتزام العام . في حين أن رفض فكرة العمل العربي كان واحدا من حيثيات إنشقاق اليسار عن حركة القوميين العرب . بيد أننا نعتقد أن مجرد الالتزام العام ليس كافيا لعدم السقوط باحضان الاقليمية والالتحاق بركب اقليمية الاحزاب الشيوعية العربية ! ..

٧

ويبقى السؤال عن قصة نشوء فكرة صياغة هذه الدراسة ودوافعها .

abou-adnan.org

إن هذه الحقيقة تؤكد على أن مرحلة نشوء حزب العمل الاشتراكي العربي ، كانت نهاية مرحلة التحول الاولى وبداية المرحلة الثانية من مراحل التحول نحو الشيوعية . ولكي لا تبدو هذه الدراسة مقطوعة عن المحاولات التي سبقتها ، فلا بد من جلب الانتباه الى أن فكرة صياغة أساس أو دليل للعمل الشيوعي الثورى الموحد ، ليست بنت اليوم ، ولدى مطالعة ارشيف حزبنا نطالع دراسة تحت عنوان : « حزب العمل الاشتراكي العربي ، فصيل من فصائل الطبقة العاملة العربية » تناولت العلاقة بين حزبنا وبين الحزب الشيوعي العربي الموحد ، واقرها إجتماع اللجنة المركزية العربية في حزيران ١٩٧١ ، واقتطف بعض فقراتها التقرير السياسي الصادر عن مؤتمر الفرع اللبناني عام ١٩٧٢ ، بيد أن الازمة التي عصفت بالحزب وادت إلى الانشقاق الذي تعرضت له الجبهة الشعبية وبعض فروع الحزب ، خلال تلك الفترة ، قد حال دون نشر تلك الدراسة ، علما بأن الفروع حاولت إصدار العدد الثالث من أطريق الثورة ، غير أن إعتراضا تنظيميا أثاره الأمين العام الرفيق جورج حبش ، آنذاك ، عطل صدور العدد الذي كان مقررا نشر تلك الدراسة فيه ...

مما تقدم نلحظ أن فكرة صياغة اساس نظرى للعمل الشيوعي الثورى العربي الموحد ، قديمة ويمكن إعتبار شعار الحزب الشيوعي العربي الموحد الذي كان حزبنا اول من رفعه في الوطن العربي ، مؤشرا نحو هذا الاتجاه ، ولكن إذا جاز إعتبار تلك المحاولات مقدمات اولوية تصب في مجرى البحث المطروح للمداولة والحوار وإعادة الصياغة ، فلا تجوز مقارنتها بدراستنا هذه ، التي نعتبرها مشروعا متكاملا للعمل الشيوعي الثورى العربي الموحد ، وليس عملا خاصا بحزب العمل الاشتراكي العربي كما هو شان الدراسة التي اقرها إجتماع حزيران ١٩٧١

٦

وتطورت فكرة حزب العمل الاشتراكي العربي ، وأصبحت إحدى حقائق وضعنا العربي الراهن . ولكن الظروف التي حكمت نشأتها ، قادتها

abou-adnan.org

« ان العمل العربي الثوري سواء كان بورجوازيا ، أم بروليتاريا ، لن يكون أكثر من خديعة ومناورة رخيصة ما لم يرتبط بقوة وصلابة ، بالايمان بوجود الأمة العربية وبالنضال من أجل وحدتها القومية التقدمية وبالتالي بالايمان بوحدة ثورتها ووحدة أداة هذه الثورة العربية القومية »[٣] .

وإنطلاقاً من هذه القناعة فقد أولت فروع الحزب هذه الدراسة ما تستحقه من إهتمام وأجرت عليها بعض التعديلات وأقرت بالاجماع نشرها بإعتبارها مشروعا للعمل الشيوعي الثوري العربي الموحد معروضا لكافة الأحزاب والمنظمات والعناصر الشيوعية لتبدي فيها رايها وتقترح ما تراه من تصويب وتقويم وتعديل ، بغية اعتمادها لتكون أساسا نظريا لعمل الشيوعيين العرب بغض النظر عن حجم الخلافات فيما بينهم .

ويبقى علينا أن نشير إلى اننا طبعنا الدراسة مرتين ، وقد صححت الطبعة الثانية بعض الأخطاء التي تناولها الرفاق : الجبهة الشعبية في البحرين ، في رسالتهم النقدية القيمة للطبعة الأولى .

١٠

وبخصوص الدراسة فإنها تتكون من ثمانية فصول ، إهتم أولها بجلب الانتباه لمصاعب العمل العربي وحدد المقياس لمحاكمة تجربة حزب العمل الاشتراكي العربي ، فيما حاول الفصل الثاني إستعراض الواقع الموضوعي العربي وطبيعة علاقات الانتاج السائدة فيه ، وفيما إذا كانت مقومات العمل الشيوعي الثوري العربي متوفرة . واستناداً إلى الرؤية التي حددها الفصل الثاني تناولت الفصول : الثالث والرابع والخامس ، نقد تعريف ستالين وفهمه للأمة ، وبعد ذلك حددت فهمنا لكيفية تكوين الأمة ومقومات وحدتها القومية التي تنشأ في التاريخ ، وفي ضوء ذلك كله حددت الدراسة مهام الحركة الشيوعية العربية ، وبعد ذلك عرضت الفصول السادس والسابع والثامن ، تجربة حزب العمل الاشتراكي العربي باعتبارها تجربة شيوعية في إطار العمل الموحد ، وحددت صيغتي العمل الشيوعي العربي الموحد على أساس المركزية الديمقراطية والتنسيق ، وبذلك وضعت

abou-adnan.org

ففيها من متناقضات الجد والطرافة ما يحتم علينا كشفها وإطلاع المناضلين العرب عليها وإن بصورة مقتضبة ومجزوءة وبالحدود التي تسمح بها بقايا العلاقات الادبية التاريخية القديمة التي ما زلنا نحتفظ بها لرفاقنا في الجبهة الشعبية ! ..

خلال شهر أيار عام ١٩٧٩ ، إتخذ المكتب السياسي للجبهة الشعبية قرارا بانهاء عضوية الجبهة بحزب العمل الاشتراكي العربي . وباشرت الجبهة فور إتخاذها للقرار بالتبشير بموقفها قبل أن تعرضه على قيادة الحزب العربية ولو من الناحية الادبية والشكلية التي يفرضها الالتزام بالحزب ، مما أثار ردود فعل كان الاسف والمرارة والشعور بإستخفاف الجبهة الشعبية بمقتضيات الالتزام بالعمل العربي ، طابعها العام ، لان تصرفها لا يدل على اكتراثها بالعمل العربي القائم على اساس المركزية الديمقراطية ولا يشير إلى انها تعبأ بنمط المسلكية التي يتطلبها الالتزام به ، مما رسم علامة إستفهام جدية حول الثقة بكلامها عن العمل الثورى العربي الملتزم بالمركزية الديمقراطية وبعد مداولات وإتصالات إقتنعت الجبهة بحضور إجتماع للمكتب السياسي العربي . وبدلا من أن يأخذ الاجتماع طابعه الرسمي حسب الاصول التنظيمية المرعية ، أصرت « الجبهة » على الاكتفاء بعرض وجهة نظرها ، التي تناهت إلى سمعنا ، قبل شهور ،من خارج إطار علاقاتنا العربية الرسمية . وخلاصة ما بلغنا به انها (الجبهة) لا تعترف الا بفرع الحزب في لبنان فقط ، وهي على إستعداد للتعامل معه على أساس الصيغة التي يختارها . وبهذا اللقاء القصير كرست الجبهة الشعبية إنهاء عضويتها بالحزب ...

لقد إعتبرنا اللقاء مع الجبهة فاشلا ، وقد أجمعت الفروع على رفض نظرة الجبهة واسلوب تعاملها وإعتبرت مساكيتها منافية للمناقبية التي يجب أن يتسم بها السلوك الشيوعي القائم على اساس الالتزام بالمركزية الديمقراطية ، خاصة واننا نعتبر تجربة حزبنا ، إحدى أبرز تجارب العمل الشيوعي الثورى العربي الموحد ، وإن نجاحها من شأنه أن يوفر للمناضلين الشيوعيين العرب خطوة عملية يقتدون بها في توجههم للاسهام بالكفاح العربي المنطلق من الايمان بوحدة الأمة العربية ووحدة ثورتها القومية ..

abou-adnan.org

بعد الاخرى ، مع الاسف الشديد ! ..

ولكي لا يساء فهمنا ينبغي علينا أن نعرب عن إرتياحنا ، لتبني رفاقنا في الجبهة الشعبية لبعض افكارنا ، ونحن سعداء إذ قدمنا خدمة ساعدت فصيل أساسي من فصائل الثورة العربية على إمتلاك تصورا معينا للعمل العربي لذا، فإننا لا نعترض إطلاقا على الاقتطاف أو التبني لأي من آرائنا وافكارنا ، بل على العكس تماما ، فإننا نشعر بالثقة بأنفسنا وبرؤيتنا حين نلحظ التزامها وان بحدود معينة من قبل فصائل الثورة العربية ، فقيمة الافكار أن ينتشر تداولها واعتناق الناس لها ! ..

واذن ، فإننا لا نبدي إعتراضنا ، على الاقتطاف أو التبني ، وإنما نثير موضوعا نعتبره هاما ، يتعلق بامانة النقل وذكر المصدر ، وهذه القاعدة تقليدية ومعروفة ولا نظن رفاقنا محررى كراس « العمل العربي الثورى» يجهلونها ، فإذا أضفنا كون دراستنا قد عالجت الاساس الموضوعي لقيام عمل شيوعي ثورى عربي موحد ، وحددت أصول العلاقات التنظيمية بين الاحزاب والمنظمات الشيوعية العربية ... اذا اضفنا هذا الاعتبار لاعتراضنا ، فسندرك مدى الاستخفاف الذي طبع تصرف رفاقنا الذين أنهوا علاقتهم بالحزب وتصرفوا بأدبياته دون أى اعتبار ! ..

٩

إن العمل الشيوعي الثورى العربي الموحد ، يواجه مصاعب جمة وما لم يتمتع المناضلون الشيوعيون الثوريون العرب بمناقبية عالية والتزام صارم ، لا يمكنهم إطلاقا أن يقدموا اسهاما جديا بتحقيق أداة الثورة العربية . وكان الرفاق في الفرع اللبناني على كامل الحق حين تساءلوا عن « مصاعب العمل الشيوعي الثورى العربي الموحد ، وفيما إذا كنا على إستعداد لمواجهة التبعات المترتبة على الالتزام به ، وهل ان عزيمتنا ثابتة وتصميمنا أكيدا على مواصلة الكفاح والتضحيات في سبيل إنجاح التجربة ؟ »[٢] .

ومعلوم فإن ثبات العزيمة وجدية التصميم تعكس ثبات الايمان بوحدة الأمة العربية . وانه لتعبير صائب ذلك القول :

abou-adnan.org

abou-adnan.org

أساس لما يمكن إعتباره نظاماً داخلياً لهذا العمل وفي الختام حددنا أهم معطيات تجربتنا وشروط إستمرارها الفكرية والتنظيمية .

١١

هذه هي وجهة نظر حزب العمل الاشتراكي العربي ، مطروحة للنقاش والحوار ، بغية إغنائها وتطويرها وسنكون سعداء بأي نقد أو تصويب للجوانب الخاطئة فيها ...

إننا لا نعرض بضاعة للبيع أو الشراء ، وإنما نعرض أفكاراً ليتداولها الشيوعيون ويعيدوا صياغتها إنطلاقاً من كون هذه الدراسة والدراسات التي يتقدمون بها هي ملك لجميع الشيوعيين ولهم حق تصويبها وإغنائها .

ويهمنا ، هنا ، أن نؤكد على أن المسألة ليست مسألة تاريخ طويل أو قصير ،وصفوف من القيادات التي افرزها هذاالتاريخ على أهمية التراكم في حيز التجربة والخبرة . ولكن المسألة الأهم في راينا تتمثل فيمن يحمل المشعل في هذا المسار الشاق كي ينير الدرب للمناضلين الثوريين ، وبعد ذلك لا يضير إن كانت الانارة غير كافية أو مشوبة ببعض الضباب . وقد علمنا ماركس أن البداية وعرة في جميع العلوم ، كما أنه واجب على من يسير في هذا الدرب ، مثلما هو حق له ، أن يسهم في تقوية الانارة وإزالة الضباب وبلورة الرؤية . وبهذه العملية الجدلية التطورية الهادفة نتمكن جميعاً من شق طريق للعمل الشيوعي الثوري العربي الموحد ... إنه طريق طويل وشاق ، ولكنه يبدأ هكذا وبكل بساطة ... يبدأ بخطوة ، فالمسافات مهما كان طولها تبدأ بخطوة !..

فلتكن خطوتنا هذه اولى خطوات طريق الشيوعيين الطويل !..

تموز ١٩٨١

هيئة تحرير
طريق الثورة

ع

abou-adnan.org

الفصل الأول

مقياس تقييم تجربة عملنا العربي

● اولا : سؤال عن وعينا لمصاعب العمل الشيوعي الثوري العربي الموحد وتبعات الالتزام به ، والعزم على متابعته والتصميم على انجاحه ؟

● ثانيا : مصاعب العمل الشيوعي الثوري العربي الموحد وتجربتنا الخاصة .

● ثالثا : مقياس تقييم تجربة عملنا العربي وكيفية تحديده

abou-adnan.org

abou-adnan.org

اولا ـ سؤال عن وعينا لمصاعب العمل الشيوعي الثورى العربي الموحد وتبعات الالتزام به ، والعزم على متابعته والتصميم على انجاحه ؟

لعله ، تحصيل حاصل ، القول ان انطلاقة حزب العمل الاشتراكي العربي في اواخر عام ١٩٦٩ ، لم تكن واعية تماما للمصاعب التي ستنجم عنها ، الامر الذي جعلها (الانطلاقة) تتعثر منذ البداية ، وبعد مضي تسع سنوات على اطلاق « المفهوم » ووضعه موضع الترجمة العملية ، اصبحنا ملزمين بطرح سؤال عن مصاعب العمل الشيوعي الثورى العربي الموحد ، وفيما اذا كنا على استعداد لمواجهة التبعات المترتبة على الالتزام به ، وهل ان عزيمتنا ثابتة وتصميمنا اكيد على مواصلة الكفاح والتضحيات في سبيل انجاح التجربة ؟

إن الاجابة على هذا السؤال ، هي التي تقرر متابعة قراءة وجهة النظر هذه والاطلاع على محتوياتها أم لا . لذلك فإننا نطرحه كي نوفر على انفسنا ، وقتا قد نحتاجه في اداء عمل آخر ، إذا كان جوابنا ، رفضا لتحمل التبعات ، وتعذرا عن متابعة الكفاح واستنكافا عن دفع ضريبة التضحيات ! ..

ثانيا ـ مصاعب العمل الشيوعي الثورى العربي الموحد ، وتجربتنا الخاصة .

يقول لينين في رسالة تحيته الى الشيوعيين الايطاليين والفرنسيين والالمان : إن (المهام « السهلة » ، ووسائل النضال « السهلة » لا توجد على العموم ، ولا يمكن أن توجد في الثورة البروليتارية)[٤] .

وفي رسالته إلى العمال الاميركيين ، يحدد إحدى أهم صفات الانسان

abou-adnan.org

الثورى . بدقة ووضوح :

« إن النشاط التاريخي ليس مستقيما كرصيف جادة ليفسكي ، هكذا قال الثورى الروسى الكبير تشير نيشيفسكي . إن من لا « يقبل » ثورة البروليتاريا الا « شرط » أن تجرى بسهولة وبلا صدمات ، وأن يتأمن فورا عمل البروليتاريا المشترك من مختلف البلدان ، وان يستبعد سلفا احتمال الهزائم ، وان تسير الثورة في طريق رحبة ، حرة ، مستقيمة ، وان لا تكون ثمة ضرورة ، اثناء السير الى النصر ، لبذل أكبر التضحيات أحيانا ، إلى القبوع في قلعة محاصرة » أو لشق ممر عبر دروب جبلية ضيقة ، وعرة ، متعرجة ، محفوفة بالمخاطر ، ـ إن هذا الانسان ليس بثوري ، إن هذا الانسان لم يتحرر من حذلقة المثقف البرجوازى ، إن هذا الانسان سينزلق دائما ، بالفعل ، إلى معسكر البرجوازية المعادية للثورة »(*)

لدى مطالعة هذه البدهيات اللينينية ، قد يتبادر إلى الذهن سؤال : وهل ان العمل الشيوعي الثورى العربي الموحد ، بالضرورة يمثل « ثورة بروليتارية » كي يثير مثل هذه المصاعب ؟

إذا انطلقنا من ايماننا بعجز البرجوازية الوطنية عن السير بالثورة الوطنية الديمقراطية إلى نهاياتها الحاسمة ، الأمر الذي يدفعها ، في مرحلة معينة من مراحل تطور الثورة إلى الانحراف والارتداد والارتماء بأحضان اعداء شعبنا القوميين والطبقيين ...

واذا عبرنا عن رؤية فاحصة ودقيقة لطبيعة المرحلة الراهنة وآفاق تطور دور كل طبقة من طبقات مجتمعنا العربي ، واكتشفنا بأن الطبقة العاملة العربية هي المؤهلة من بين جميع الطبقات لانتشال الثورة العربية من مازقها الراهن وقيادتها نحو افقها التاريخي الحتمي ... نحو الاشتراكية ..

اذا انطلقنا من ايمان كهذا ، فسنرى ان العمل الشيوعي الثورى العربي الموحد ، سيبقى يدور في حلقة مفرغة ، كتلك التي دارت بهاالحركة الشيوعية العربية طيلة الستين سنة المنصرمة ، ما لم يشكل ثورة بروليتارية حقيقية تضع قضية استلام السلطة على جدول

abou-adnan.org

نضالها اليومي ...

أما إذا شعر البعض منا ، بحاجة لتوضيح العلاقة بين العمل الشيوعي الثورى العربي الموحد بمفهومه الشيوعي ، وبين تجربة حزب العمل الاشتراكي العربي ، فإننا نؤكد إيماننا الحاسم بأن تجربة عملنا العربي الخاصة ، بغض النظر عن النتائج التي افضت اليها ، لا تخرج عن اطار العمل الشيوعي الثورى العربي الموحد ، منذ انطلاقتها الاولى ، ورغم الفقر الايديولوجي الذي عانت منه التجربة ورغم العفوية التي حكمت نشأتها ، **فإن منطلقها وحافزها الاساسي تمثل في تعبئة كوادر حركة القوميين العرب وتجربتهم النضالية الوطنية ، في اطار حركة الطبقة العاملة العربية السياسية واستخدام هذه الطاقات في شق طريق ثورى للعمل الشيوعي الثورى العربي ...**

صحيح أن هذه الحوافز والمنطلقات ، كانت رغبات اكثر منها وعيا مبرمجا ومنظما ، وصحيح ، ايضا ، انها انطلقت عفويا باعتبارها ردة فعل على الانشقاق ، ولكنها رغبات مستمدة من تاريخ نضالي وطني متطور عمره ربع قرن من الزمن ، ومبررة بواقع عجز الحركتين القومية والشيوعية عن تحقيق اهداف شعبنا العربي في التحرير والديمقراطية والاشتراكية والوحدة والتضامن البروليتارى الاممي .

فإذا ، سلمنا بهذه البدهيات ، فإننا سندرك فورا المصاعب الجمة التي واجهت عملية تأسيس حزب العمل الاشتراكي العربي . واية نظرة موضوعية ترافق تطورات اخراج التجربة ونشوئها ومتابعتها لمسيرتها طيلة السنوات العشر الماضية ، لا بد أن تسلم بضخامة المصاعب التي رافقت التجربة واحتضنتها منذ البداية مرافقة واحتضانا كانا اكبر من قدرات الكوادر المسؤولة عن قيادة العمل ، واضخم من طاقاتهم المحدودة ، الأمر الذي جعل التعثر ابرز سماتها والتذبذب والذاتية من اسوأ خصائصها وصفاتها ! ..

وإذا تذكرنا أن الاحزاب الشيوعية العربية ، رغم استنادها الى الاممية الثالثة (الشيوعية) ، واعتمادها على الاتحاد السوفياتي ، فانها

abou-adnan.org

كررت تجربة ضياع قوم موسى ، واضافت اليها عشرين سنة اخرى ، فأمضت ستين سنة في الضياع والتخبط ... اذا تذكرنا تجربة الاحزاب الشيوعية العربية ، فإننا سندرك حجم المصاعب التي واجهت تجربتنا في العمل الشيوعي الثورى العربي الموحد . ورغم تلك المعيقات ، فإن الايجابيات الجزئية التي اعطتها التجربة ، اذا ما قورنت ، بين ما يمكن ان تعطيه محاولة كل رأسمالها الاخلاص والرغبة الذاتية في التحول من مواقع البرجوازية الى مواقع الطبقة العاملة ، وبين ما اعطته حركة شيوعية امتلكت ، منذ نشأتها ، ما فيه الكفاية من مقومات وشروط نجاح البناء الشيوعي ... اذا ما قورنت تجربتنا بالحركة الشيوعية العربية ، فإن إيجابياتها الجزئية جديرة بالدراسة والتأمل ! ..

ولكن ماذا تعني هذه البدهيات والحقائق بالنسبة لنا ، وما هو الغرض من الوقوف عندها واعتبارها إحدى مسائل الحوار والبحث والتقييم وإرساء العلاقة بيننا على اسس واصول ومبادىء مستفيدة من تجربتها الماضية وغنية بدروسها وعبرها ؟

إن أهم ما يجب أن تمثله ، هذه البدهيات والحقائق وتجسده أمام أنظارنا ، يتجلى في وعينا لنتائج العمل الشيوعي الثورى العربي الموحد وتبعاته التي ستلقى على عاتقنا جميعا كل من موقعه وحسب الدور المنوط به اداءه . وما لم ندرك مسبقا هذه النتائج والتبعات فإن تجديد نشاط تجربتنا في العمل الشيوعي الثورى العربي الموحد ، سوف يبقى ، كما كانت التجربة الاولى ، محكوما بالارتجال والعفوية ، مما يعيدنا ، بعد فترة ، الى عكس نقطة انطلاقتنا : **نريده عملا شيوعيا ثوريا عربيا موحدا ،لاينتهي الى نوع من انواع العمل القطرى ، الاقليمي البغيض** ! ..

لا ريب في أن الردة التي حدثت في اوساط حركة القوميين العرب نحو الاقليمية والتي مثلها المنشقون في بياناتهم وفي ممارساتهم العملية ، لا يمكن تبرئتها من طابع ردود الفعل العفوية الناجمة عن الفشل والعجز في خلق البديل الثورى !

abou-adnan.org

كما لا يمكن تغييب احتمال سقوطنا نحن أيضا بأحضان الاقليمية إذا ما استمرت حالنا على ما هي عليه الان. فكل النشاط الشيوعي العربي لا يعدو عن كونه نمطا من انماط التنسيق الذي لا يلزم أي طرف بأية التزامات سياسية معينة تجاهه !

إن ما يميز العمل الشيوعي الثوري العربي الموحد ، عن التنسيق يتجلى في شمولية الاول وثبات التزامه ، مقابل هامشية الثاني وعدم ثباته ، فالأول يشمل كل قضايا الوقت الراهن ومواضيع المستقبل ويرسم حلولا موحدة لها ، تلتزم بها كل اطرافه ، والثاني يقرر مواقف جزئية آنية حول بعض قضايا الساعة التي لا تختلف حولها القوى المجتمعة ، ولذلك فانه يضطر لأن يغض النظر عن قضايا هامة وينتقي ما يلائم مزاج الجميع ويوافق مصالحهم ، الاول يعطي الأولوية للمصلحة القومية على المصلحة الاقليمية ، والثاني يعطي الأولوية للمصلحة الحزبية الضيقة ، الأول نصيبه من العقيدة والتضحية في سبيلها كبير والثاني يستخدم العقيدة لنيل مكاسب حزبية ضيقة ، الأول ملزم لدرجة الخضوع والتضحية ، والثاني اختياري يعتمد على المزاج والنفعية ، الأول ينشىء عملاً شيوعياً ثورياً عربياً موحداً حقيقياً ، والثاني يجعل من وحدة الشيوعيين واجهة وستارا لاخفاء التجزئة والاقليمية ...

يتعرض لينين لنزعة «البوند» واعلانه إنشاء حزب سياسي للبروليتاريا اليهودية ، بالنقد والرفض الحازم ، فيقول :

... إن اعلان «البوند» حزبا سياسيا مستقلا هو بالضبط السير حتى الخرق بالخطأ الاساسي في مسألة القوميات الذي سيكون من كل بد وبصورة محتمة نقطة الانطلاق في انعطاف آراء البروليتاريا اليهودية والاشتراكيين ـ الديمقراطيين اليهود على العموم . إن «الاستقلال» في النظام الداخلي لعام ١٨٩٨ يؤمن للحركة العمالية اليهودية كل ما يمكن أن تحتاج اليه : الدعاية والتحريض باللهجة اليهودية ، والمطبوعات والمؤتمرات ، وطرح المطالب الخاصة تطويرا للبرنامج الاشتراكي ـ

abou-adnan.org

الديمقراطي المشترك الواحد ، وتلبية الحاجات والمطالب المحلية النابعة من خصائص المعيشة اليهودية . وفي كل ما تبقى ، ينبغي الاندماج التام والأوثق مع البروليتاريا الروسية ، وينبغي ذلك في مصلحة النضال الذي تخوضه كل بروليتاريا روسيا . وإنه لباطل ، من حيث جوهر الأمر ، الخوف من أي «تآمر» في ظل هذا الاندماج ، لأن الاستقلال على وجه الضبط هو الذي يضمن من التآمر في المسائل الخاصة المتعلقة بالحركة اليهودية ، أما في مسائل النضال ضد الاوتوقراطية والنضال ضد البراجوازية في عموم روسيا ، فإنه يجب علينا أن نعمل كمنظمة كفاحية ، مركزية ، واحدة ، يجب علينا أن نستند إلى البروليتاريا كلها ، بغض النظر عن الفرق في اللغة والقومية ، البروليتاريا التي يرص صفوفها الحل الدائم المشترك للقضايا النظرية والتطبيقية ، والتاكتيكية والتنظيمية ، لا أن ننشىء منظمات تسير كل منها بمعزل عن الأخرى ، كل في سبيلها ، لا أن نضعف قوة هجومنا بالتبعثر في احزاب سياسية مستقلة عديدة ، لا أن نجلب التشتت والعزلة ، لكي نعالج فيما بعد بلزقات «الاتحاد المزعوم المرض الذي طعمناه في جسمنا بصورة مصطنعة»[٦] .

ضعوا «الحركة الشيوعية الاقليمية أو القطرية «بدلا من» الحركة العمالية اليهودية» و «اللهجات القطرية» بدلا من «اللغة القومية» ، وستجدون انفسكم امام سؤال خلاصته :

إذا كان لينين يعتبر تشكيل أحزاب شيوعية «قومية» في بلد متعدد اللغات والقوميات ، ضعف وتبعثر ، افلا يستحق العمل الاقليمي اكثر مما قاله لينين ؟

إن الكلام عن مساوىء الاقليمية ، يطول ، خاصة وإننا نعتقد إن سبباً جوهرياً من اسباب عجز الحركة الشيوعية العربية ، يرجع إلى نهجها الاقليمي .

إننا مؤمنون ، بالعمل الشيوعي الثوري العربي الموحد ولدينا استعداد تام للالتزام بكل متطلباته وسنرمي بكل ثقلنا في سبيل انجاحه ، لاننا نعتقد ان المناضلين الذين لا يرون في تحرير

abou-adnan.org

السعودية ، مثلا ، خطوة كبرى على طريق تحرير فلسطين ، ويهملونها (السعودية) بسبب انصرافهم للنضال ضد اسرائيل ، سوف يعجزون عن تحرير السعودية وفلسطين في نهاية المطاف ، لان اسقاط الرجعية اهون من القضاء على الاغتصاب ، لذلك يفترض ان تكون همم وعزائم المناضلين ضد الصهيونية ، اقدر على الاطاحة بالرجعية وانجاز اهداف الثورة العربية التي يتقدمها هدف وحدة الامة العربية وتحرير فلسطين .

وانطلاقا من ايماننا ، بوحدة امتنا العربية ، وبضرورة العمل على ايجاد اداة ثورتها الموحدة وانطلاقا من الاجتماع العربي الأخير ، وبناء على المداولات التي تمت بيننا وبين الرفيق الأمين العام جورج حبش فاننا نشارك رفاقنا ، قيادة الجبهة الشعبية قناعتهم بضرورة مراجعة التجربة وتقييمها ووضع اسس واصول ومبادىء كفيلة بإستمرار عملنا ومتابعة بلورة تجربتنا العربية الوحدوية ، ولكننا مثلما نعتقد إن الضرورة تدعو إلى جعل متابعتنا لعملنا ، مستندة إلى غنى تجربتنا بالدروس والعبر ، فإننا نعتقد أيضا بضرورة التنبه منذ الآن ، إلى مصاعب العمل الشيوعي الثوري العربي الموحد وتبعاته ، لأن وعي هذا الدرس شرط اساسي من شروط استمرار التجربة ونجاحها !

كانت وما تزال الممارسة العملية ، هي صاحبة الدور الأول في عملية التاثير المتبادل بينها وبين النظرية ، فهل يحالفنا النجاح في ان نكون ابطال ممارسة شيوعية ثورية عربية موحدة ملموسة ؟

يقول انجلز :

«إذا ظهرت في المجتمع حاجة تكنيكية فإنها تدفع العلم إلى الامام اكثر مما تدفعه عشر جامعات.»[٧]

فهل تدفعنا حاجة امتنا العربية إلى خلق حركة شيوعية ثوريه عربية موحدة ، إلى عمل اكثر جدية ، واقدر على كفالة نجاح تجربتنا ؟

abou-adnan.org

ثالثا ـ مقياس تقييم تجربة عملنا العربي ، وكيفية تحديده !

إن السؤال الذي يواجهنا ، عندما نقف امام تجربة حزب العمل الاشتراكي العربي ، وقفة تقييم لتحديد إيجابياتها وسلبياتها ، يتعلق بالمقياس الذي يجب اعتماده لعملية التقييم المطلوبة إذ من الوجهة العلمية ، لا يصح اطلاقا ، تقييم اي شيء بدون مقياس ، هذا إذا تجنبنا الاعتباطية في الحكم والارتجال في اصدار الاحكام دون التقيد بحدود المسؤولية التي تلقيها على عاتقنا عملية التقييم هذه :

ما هو المقياس الواجب اعتماده لتقييم تجربة عملنا العربي ؟

هذا هو السؤال الذي يكتسب اهميته الكبرى من طبيعة واهمية الموضوع المطروح .

إن الرفاق الذين يكتفون بحسم قضية التقييم ، بأخذ الصورة ... صورة واقع الحزب القائمة حالياً ، ليخرجوا بعد ذلك بنتيجة تتضمن حكماً بالفشل المطلق أو بالنجاح المطلق ، على التجربة ، لا يفعلون شيئاً اكثر من العبث بقضية ، هي مسؤولية تاريخية ، قبل أن تكون ممارسة عملية لعدد من الافراد ، حاولوا خلالها ان يجتهدوا بطرح صيغة للعمل الشيوعي الثوري العربي الموحد .

وإذن ، فإن عملية التقييم تفرض علينا تحديد مقياس لمحاكمتها واستخراج ايجابياتها وسلبياتها ، قبل تقرير ما إذا كانت التجربة ، فاشلة او ناجحة او تقف بين النجاح والفشل . ولكي نستخرج ، أو نضع مثل هذا المقياس ، علينا أن نجيب على السؤال التالي :

ما هي خصائص العام الذي افرزته ، وما هي صفات الخاص الذي جسدته ؟

أمور عديدة يساعدنا على اكتشافها وتحديدها من الوجهة العلمية ، وجود مقياس لتجربتنا العربية ، فما هو مقياسنا للقيام بهذه العملية ؟

قبل كل شيء يجب الانتباه إلى أن **«المقياس هو احدى مقولات الديالكتيك المادي الهامة»**[٨] ، **التي تتمثل في وحدة الكمية والكيفية ، العام والخاص ، النجاح والفشل ، الايجابيات والسلبيات ، وتفاعلها .**

abou-adnan.org

تاثيرها المتبادل ، اي انه الشيء المراد تقييمه او تحديده على وجه الدقة . وضرورة المقياس تنبع من كونه يضبط عملية التقييم والتحديد ، ضمن اطار الشيء ذاته ، اي ضمن «حدوده في العلاقة المشروطة المتبادلة للكيانين الكمي والكيفي ، وهي حدود لا يمكن تخطيها دون المس بالشيء ، ذلك ان تخطي هذه الحدود ، تخطي حدود المقياس يجعل الشيء يتوقف عن كونه الشيء المعني ، ويتحول إلى شيء آخر ، إن المقياس يعين ، بدقة ، الحد الذي لا تؤدي معه التبدلات الكمية إلى حدوث تبدلات نوعية . وعندما تتخطى هذه التبدلات الكمية ذلك الحد ، يكف المقياس عن ان يصبح مقياس هذا الشيء ، ويحدث تبدل نوعي في هذا الاخير»[٩] .

وبما ان خرق المقياس ، يلغي «الشيء» المقصود ، فإن عدم اعتماد مقياس محدد ، يفقد عملية التقييم موضوعيتها ، وبالتالي علميتها . بحكم كونه (خرق المقياس) يبتعد بها عن حدود الشيء ، التجربة ، الفرد ، الحزب ، النظام ، المراد تقييمه . وعلى سبيل المثال وليس الحصر ، فحين نحاكم تجربة حركة القوميين العرب ، بمقياس الاشتراكية العلمية ، أي الشيوعية ، فإن محاكمتنا ، تقييمنا يشكل خرقا لحقيقة الحركة، لمقياسها ، لكيانيها الكمي والكيفي ، لطبيعتها ، لعموميتها وخصوصيتها ، لايجابياتها وسلبياتها . وبذلك الخرق ، يصبح تقييمنا يحمل حكما مسبقا على الحركة بالفشل والادانة ، لأن أي تقييم يتم بموجب مقياس لا يمت بصلة لحقيقة الحركة وطبيعتها ، لن يكون غير حكم مسبق صادر بدون محاكمة ، وإن النتائج التي تخرج عنه (الحكم) لا تعدو عن كونها رغبات ذاتية غير واقعية ، ولا قيمة اطلاقا لاي منها ، فهي ستكون عواطف واحلام قومية ، إن كللت الحركة بغار المجد الذي لا يعلو عليه مجد ، وهي ستكون شتائم وهجاء حاقد إن طمست كل ما هو ايجابي فيها !

إن مقياس محاكمة حركة القوميين العرب ، يتحدد بمفهومي «التقدمية والثورية» ، فبموجب «التقدمية»

abou-adnan.org

، تتحدد وطنيتها وعدم رجعيتها ، أو العكس ، وبموجب «الثورية» يتحدد التزامها بالعنف الثوري وعدم اصلاحيتها أو العكس ، وبموجب هذا المقياس يمكننا الحكم عليها ، بإعتبارها جزءاً ، قوة ، فصيلاً ، من فصائل البديل القومي التقدمي الذي تصدى لعناصر وقوى وفصائل القومية العربية التقليدية الرجعية التي ارتضت احلال المستعمر الاوروبي الغربي ، محل المستعمر العثماني ، يمكننا الحكم عليها إن كانت فصيلة تقدمية وثورية أم لا ! ..

هل كانت حركة القوميين العرب ، تقدمية وثورية ، ؟

هذا هو السؤال ، وعملية التقييم مطالبة بالاجابة عليه . أما إذا قلنا :

«هل كانت حركة القوميين العرب ، شيوعية» ، فإن عملية التقييم مطالبة ، وملزمة مسبقاً بالنفي ، وليس امامها خياراً اطلاقاً ، لأن الحركة بكل تأكيد لم تكن شيوعية ، ولأن السؤال لم يشكل مقياسا وإنما شكل خرقاً لمقياس الحركة ونقلها بقفزة اعتباطية ذاتية ، إلى حقيقة غير حقيقتها ، وشكل بذلك الخرق تناقضاً مع طبيعة الحركة ، (قوميين عرب) !

واذن ، فإن مقياس تقييم تجربة عملنا العربي ، يجب أن ينحصر في حدود تجربة حزب العمل الاشتراكي العربي ، كي يجسم ايجابياتها وسلبياتها ، للدرجة التي تتمكن معها الرؤية من تحديدها والالمام بحقيقتها . وبما أن تجربة حزبنا ليست محصورة بفرع واحد من فروعه ، وإنما تشمل جميع الفروع من وجهة الحدود المطلقة ، ولكنها في الوقت نفسه تقوم على اساس حقائق نسبية تختلف من فرع لآخر ، بحكم اختلاف عملية تأسيس الفروع ، من جميع النواحي ، الموضوعية والذاتية ، بما أن حدود تجربة الحزب عامة وخاصة ، مطلقة ونسبية ، **فإن مقياسها المعبر عن حقيقتها ، مطلق ونسبي في آن معاً** ! ...

واذن ، فإن المقياس المطلوب ، موضوعياً وعلمياً ، لمحاكمة تجربة حزب العمل الاشتراكي العربي ، مطلق ونسبي في الوقت نفسه لأنه حقيقة موضوعية لها خصائص متبلورة واضحة ، واخرى ما تزال في قيد التطور

abou-adnan.org

والتحديد . ولا يجوز اعتباره (المقياس) مطلقا فقط ، او نسبي فقط . **فهو مطلق من حيث تحديده للتجربة ، وفيما إذا كانت تصلح لأن تشكل نموذجاً للنجاح او الفشل تحفز الشيوعيين العرب للعمل على هداها والاقتداء بها ، او تحذرهم من مغبة التورط في تكرارها . وهو نسبي ، من حيث تحديده لتجربة كل قطر على انفراد ، وفيما إذا كانت ناجحة او فاشلة ، وهل فيها ما يمكن تعميمه على بقية تجارب عملنا الشيوعي الثوري العربي في الاقطار العربية الاخرى ، ام لا ؟**

من هنا ، يتبين إن الماركسية ـ اللينينية ، اي الشيوعية ، لا تصلح أن تكون مقياساً لتقييم تجربة الحزب ، لانها لم تكن متمثلة فيه لدى قيامه ، وإنما كانت هدفاً يسعى لتحقيقه . ولذلك فإن «نظرية ، مفهوم التحول» هي المقياس الإيديولوجي لمحاكمة التجربة ، فبموجب هذا المقياس نستطيع على ضوء النتائج ، ومعطيات التجربة أن نحكم على التجربة ، ونحدد درجة التطور نحو الهدف أي العقيدة الشيوعية ، التي بلغتها مسيرة الحزب ككل ، أي التي قطعها هذا الفرع او ذاك ، إذ قد يكون فرعاً من الفروع يتمتع بكل مقومات الحزب الثوري من ناحية الممارسة ، ولكنه ما يزال متخلفاً من الناحية الايديولوجية ، وقد يكون فرعاً آخر يمتلك كل مقومات الوعي الشيوعي من الناحية الفكرية ، ولكنه ما يزال غير قادر على ترجمة عقيدته الشيوعية على صعيد واقع الفعل الثوري ، وقد يكون فرعاً ثالثا غنيا أو فقيرا من الناحيتين الايديولوجية والممارسة الثورية ...

واذن ، فإن مفهوم او نظرية التحول هو المقياس الايديولوجي ، اما الممارسة الكفاحية الثورية فهي المقياس العملي ، لمحاكمة تجربة الحزب .

عربياً تحاكم ادبيات الحزب ومفاهيمه وسياسته ، وقطرياً تحاكم الفروع من الناحيتين الفكرية والعملية ، وعلى ضوء المحاكمة تتحدد العضوية العاملة التي يحق لها الاسهام في تقرير مصير تجربة الحزب ، وغير العاملة التي يمنحها الحزب رعايته ودعمه ، كيما يمكنها من امتلاك حقها في اكتساب عضويتها العاملة

abo-adnan.org

abou-adnan.org

الفصل الثاني

مقومات العمل الشيوعي الثوري العربي الموحد وحيثياته

أولا ـ الوضع العالمي أثناء المباشرة بتجربة الحزب .

ثانيا ـ الأوضاع العربية الراهنة .

abou-adnan.org

abou-adnan.org

أولا ـ الوضع العالمي اثناء المباشرة بتجربة الحزب :

١ ـ احتضار الامبريالية

منذ قيام ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى والرأسمالية العالميـة تعاني من تفاقم ازمتها العامة . وكانت صورة التدهور الذي تعانيه الامبريالية ، واضحة أمام انظارنا ، ولم نكن بحاجة إلى مثل يهدينا اكثر من مثل الفيتنام وثورتها ضد زعيمه الامبريالية العالمية . أما نجاح الثورة الكوبية فكان حافزا يدعونا إلى الالتحاق بركب الطبقة العاملة وثورتها الاشتراكية الأممية ، ويتذكر الرفاق الذين واكبوا تجربة عملنا العربي ، كم كان لكاسترو تأثيراً بالغاً على توجهنا . وكنا نحفظ عن ظهر قلب مقولة كاسترو :

«من المستحيل على انسان ذي طموح ومزايا وشروط ثورية ، الا يصل إلى الماركسية»[١٠] . ومنذ ذلك التاريخ والتطورات اللاحقة على الصعيد العالمي تؤكد على ان الراسمالية الامبريالية تعيش مرحلة احتضارها ، بعد ان افلست وأصبحت أسيرة إرادة حتمية التاريخ ، وباتت عاجزة عن القضاء على الشيوعية التي هي نقيضها وحفارة قبرها .

إن اميركا التي خرجت من الحرب العالمية الثانية ، باعتبارها أقوى الأنظمة الرأسمالية في المعسكر الامبريالي ، تحولت إلى اداة قمع عالمية لكل شعب يريد التحرر من الاستعمار وينشد التقدم وصنع حياة جديدة تليق بالإنسان ، تحولاً ، أصبحت معه بلدان القارات الثلاث ميادين لحروبها العدوانية ، لدرجة باتت معها اميركا رمزاً للعدوان وحاملة لراية الحروب المحدودة . وكانت الفيتنام مقبرة حقيقية للأميركيين حيث كان الثوار يذيقون الموت لجيشهم الغازي الأمر الذي مرغ هيبـة زعيمة الامبريالية العالمية بوحل الهزائم المتلاحقة التي كانت تكشف للعيان حالة الانحدار والاحتضار التي تعانيها الامبريالية !..

٢ ـ صعود الاشتراكية :

كان واضحا لدينا ، الفارق في معدلات النمو والتطور بين البلدان

abou-adnan.org

الاشتراكية والبلدان الراسمالية ، وكنا على اطلاع . وقمنا بتدريس مواد تتعلق بأزمة الراسمالية ونهوض الاشتراكية في مدرسة الكادر في الاغوار . فمقابل الأزمة الاقتصادية والمالية وانخفاض معدلات النمو في البلدان الراسمالية كانت البلدان الاشتراكية تضاعف من مداخيلها الوطنية ، وتتطور بوتائر نامية وثابتة . وكنا ، كلما طالعنا كلام ماركس : «إن البلد الأكثر تطورا في الصناعة من شأنه أن يبين لتلك البلاد التي تتبعه على صعيد الصناعة ، صورة مستقبلها الخاص»[١١] ...

كنا نتساءل : أي من المثلين : الراسمالي أم الاشتراكي ، يجب «أن يبين» لبلادنا العربية «صورة مستقبلها الخاص» ؟

٣ ـ واخترنا الشيوعية :

كنا اذن ، نشهد ظاهرتين بارزتين على صعيد العالم : ظاهرة الامبريالية المتداعية ، وظاهرة الاشتراكية النامية . ونظراً لعداءنا اللامحدود للامبريالية والصهيونية والرجعية فقد اخترنا الاشتراكية والشيوعية ...

ولكن لا مثل الفيتنام . ولا مثل كوبا . ولا نجاح ثورة اكتوبر ، ولا مطالعاتنا اللينينية ، كانت تقنعنا وتهدينا إلى الانتساب إلى الاحزاب الشيوعية العربية . فنحن هاربون ، إن صح التعبير من الفشل الذي منيت به حركتنا وطبقتنا ومن غير المعقول ان نهرب من النار إلى الرمضاء . وليس منطقياً ان يكون تحولنا من مواقع البراجوازية العاجزة إلى المواقع الاصلاحية في حركة الطبقة العاملة الشيوعية ..

كنا ، نحلم بقيام حركة شيوعية ثورية عربية موحدة . ومع اننا أكدنا منذ البداية إن «حزبنا ليس بديلاً للاحزاب الشيوعية العربية ، بل أنه فصيلة من فصائل الطبقة العاملة»[١٢] ... مع ذلك فقد رفضنا دعوة الاحزاب الشيوعية العربية لأن ننخرط في صفوفها ، وقلنا بوضوح : «إننا نسعى لعضوية ـ شيوعية ـ فاعلة لا تصبح القضية معها قضية بضعة مندوبين يذهبون لمؤتمر أو لجنة مركزية أو مكتب سياسي . إن الماركسية ـ

abou-adnan.org

اللينينية مثلما برهنت على إنها نظرية الحياة ، التي تتعامل مع الواقع الموضوعي ، تعاملاً يحدث فيه انقلابا جذريا يعيد صنع حياة البشر من جديد ، فإن الوقائع قد برهنت بدورها ايضا على إن الماركسية ـ اللينينية يمكن أن تتحول إلى جثة هامدة أو مجرد لافتة اعلان كبير ، إذا ما حرمت من مصل الحياة المستمد من الممارسة والفعل الثوري»[١٣] ..

وكنا مقتنعين بـ «أن عملية تأسيس تنظيم سياسي جديد يمكن ان تكون عملية ذاتية سخيفة ، إذا ما تمت نتيجة ارادة اعتباطية ، او ردود فعل عاطفية ، ولكنها يمكن أن تكون بداية مرحلة جديدة في تاريخ الحركة الوطنية والعمل الثوري إذا جاءت تلبية لاوضاع جديدة وحاجات جديدة ..الخ» «وأن تنظيم حركة القوميين العرب ، بتفاعله العلمي مع هذه الظروف (هزيمة حزيران) ، وهذه الرؤية ، يتحول اليوم إلى تنظيم سياسي جديد ، باسم جديد ، هو : حزب العمل الاشتراكي العربي ، ليكون هذا الاسم معبراً عن حقيقة التغيير الجذري في البنية النظرية والطبقية لحركة القوميين العرب»[١٤] .

واذن ، فإن الظرف العالمي ، بقدر ما كان يحفزنا إلى الانتقال إلى صفوف الطبقة العاملة ، فإنه كان يدفعنا للخوض بتجربة جديدة تختلف عن تجربتي الحركة القومية والحركة الشيوعية العربية .

هكذا ، كان الوضع العالمي ، ابان اقدامنا على تأسيس حزب العمل الاشتراكي العربي ، وقد جاءت التطورات اللاحقة لتزيد من وضوح صورة الوضع العالمي وبالتالي تزيد قناعتنا بصواب تحديد طبيعة العصر ، بكونه عصر انتقال من الراسمالية إلى الاشتراكية ، الأمر الذي يؤكد على أن الأولى في حالة احتضار دائم ومستمر لا مناص منه ، حتى هلاكها وتلاشي وجودها وتحرر البشرية من شرورها ، أما الاشتراكية فهي البديل التاريخي الحتمي .

ثانيا ـ الاوضاع العربية الراهنة :

الغرض من هذا المدخل أن نسجل الطابع العام الذي يجمع في اطاره

abou-adnan.org

كل الاقطار العربية الأساسية ، والذي تتحدد بموجبه السمة العامة المشتركة لكل مجتمعات الاقطار العربية .

إن أهمية السمة الاقتصادية الاساسية العامة المشتركة ، لا تتجلى في كونها تدلنا على الرابط المادي العام ، فحسب ، وإنما تتجلى أهميتها أكثر ما تتجلى في كونها تبرز بوضوح حالة العجز التي تعانيها البرجوازية من جهة وتظهر الضرورة الملحة لان تنهض الطبقة العاملة ، بمهمة قيادة تطور مجتمعنا العربي ، من جهة أخرى .

سنلحظ هذه الحقائق من خلال عرضنا للعناوين التالية :

١ ـ بنية المجتمع العربي :

معلوم أن بنية كل تشكيلة اجتماعية تتمثل في أساسها الاقتصادي المادي ...

ومعلوم ، ايضا ، إن اسلوب الانتاج هو الذي يحدد بنية المجتمع الاقتصادية ، أي قاعدته المادية . فما هو اسلوب الانتاج السائد في مجتمعات اقطار وطننا العربي ؟

لسنا بحاجة للبحث عن أدلة لتأكيد كون اسلوب الانتاج الراسمالي هو الاسلوب السائد ، إذ يكفي أن نعرف أن النفط يشكل أهم مصادر الدخل القومي العربي وإن بلداننا باتت أسواقا تجارية مفتوحة للبضائع الراسمالية ... يكفي أن نلقي نظرة على حصة التجارة والخدمات والنفط ، لنتأكد من **أن السمة الاساسية العامة التي تشترك فيها جميع مجتمعات اقطار وطننا العربي ، هي الراسمالية . وبالتالي فإن اسلوب الانتاج الراسمالي هو الاسلوب السائد .**

إن الخدمات والنفط أهم مكونات الاقتصاد العربي ، فإذا أضفنا الصناعة ودخول الراسمالية إلى الزراعة ، فستتضح امام انظارنا هيمنة الطابع الراسمالي على المجتمع العربي .

ولكن بقدر ما نلحظ طغيان الراسمالية باعتبارها سمة عامة تدمغ طبيعة المجتمع العربي بطابعها العام ، **فاننا نلحظ التخلف الاجتماعي**

abou-adnan.org

يشكل سمة اساسية مشتركة عامة اخرى لهذا المجتمع ، الأمر الذي يؤكد على أن رأسمالية مجتمعنا العربي متخلفة . وحين ندقق في عوامل هذا التخلف وأسبابه ، فسنجد إن تبعية الأنظمة العربية الاقتصادية للراسمالية العالمية ، هي السبب الاساسي الكامن وراء تخلف بلداننا رغم كون وطننا العربي يحسب بعداد المناطق الغنية في العالم . **لذلك فان التبعية هي السمة الثالثة من سمات مجتمعنا العربي الاساسية .**

فإذا كانت بنية المجتمع العربي الاقتصادية ، تتمثل في راسمالية متخلفة ، فما هي بنيته الطبقية ياترى ؟

لدى البحث عن جواب لهذا السؤال ، **تبرز للعيان سمة اساسية رابعة ، تمت بصلة وثيقة للتخلف الذي يعاني منه مجتمعنا . عنينا ، سمة قلة عدد طبقتي البراجوازية والبروليتاريا الصناعيتين ، وكثرة جماهير الفلاحين رغم ضآلة حصة الزراعة في الدخل القومي العربي ،** بالنسبة للنفط والتجارة وبقية فروع الخدمات ...

لهذه الاسباب ، فإن المهام المطروحة على جيل مرحلتنا الراهنة ، هي مهام وطنية ديمقراطية رغم الشوط الكبير الذي قطعته بعض الاقطار العربية في ميدان التطور الاقتصادي الراسمالي . إن بلدانا ، كمصر والعراق وسوريا والجزائر ولبنان وتونس والسودان والاردن والمغرب ، قد توفر لها اساس اقتصادي راسمالي ، رغم عدم استكماله ، إلا انه يسمح لسلطة الطبقة العاملة بالمباشرة بالتحويل الاشتراكي للعديد من فروع الاقتصاد الاساسية ، كالزراعة والصناعة ...

قلنا إن اسلوب الانتاج الراسمالي ، هو الاسلوب السائد في المجتمع العربي ، وبهذا فإننا غضضنا النظر عن اساليب الانتاج الاخرى الموجودة إلى جانبه في الوطن العربي مثل اسلوب الانتاج الاقطاعي الشرقي وشبه الاقطاعي والرعوي ، حيث توجد مناطق ما يزال ابناؤها يمارسون نشاطهم المعيشي ونمط حياتهم وفق اسلوب بدائي جدا ! ..

ولكن اذا جاز أن نتعامل مع أساليب الانتاج التي ما تزال تلعب دورها الى جانب اسلوب الانتاج الراسمالي الذي يحدد طبيعة بنية مجتمعنا

abou-adnan.org

الاقتصادية ، وبشكل اساسه المادي ... اذا جاز أن نتعامل مع هذه الأساليب باستخفاف يدعونا اليه هامشية دورها (الأساليب) ، فاننا ملزمين بأن نخص تجربة اليمن الديمقراطية الشعبية باهتمام خاص ، يفرضه علينا كون اسلوب الانتاج السائد فيها ، ليس راسماليا رغم أن المجتمع اليمني الديمقراطي لم يبلغ الاشتراكية بعد ، بل ورغم تخلفه ايضاً !..

ان طبيعة اسلوب الانتاج السائد لا تتحدد بطبيعة الاقتصاد السائد ، فحسب ، وانما هي تتحدد أول ما تتحدد بطبيعة القوى الطبقية السائدة ، وعلى سبيل المثال ، فان الطبقة العاملة في بلداننا تضطر بحكم الضرورة الموضوعية الى القيام بانجاز مهام الثورة الوطنية الديمقراطية نيابة عن البرجوازية ، وهي مهام برجوازية بطبيعة الحال . ولكن الطبقة العاملة تنجز هذه المهام على أساس اسلوب الانتاج الاشتراكي ، ولذلك فان الاصلاح الزراعي ، رغم أنه يبدأ بداية راسمالية ولكن هذه البداية لم تكن سوى مرحلة أولية سرعان ما تنحسر أمام زحف التعاونية الجماعية والمزارع الاشتراكية ، والأمر نفسه نجده في حقول الصناعة والتجارة وما شابه .

ان تفسير هذه التحولات يتجلى في كون سلطة الطبقة العاملة تعتمد اسلوب الانتاج الاشتراكي منذ البداية ولكنها تصطدم بواقع المجتمع المتخلف ، فتضطر الى التدرج في تطبيق اسلوبها الخاص . وما يتراءى للعيان من علاقات انتاج راسمالية تظهر في ظل سلطة العمال والفلاحين الديمقراطية الثورية ، انما هو احدى نتائج التخطيط ومراعاة مستوى درجة تطور المجتمع . ومعلوم ان مهمة التخطيط الاشتراكي ، تتاكد في تحويل المجتمع الى الاشتراكية ، أما مراعاة جوانب التخلف في المجتمع ، فليست سوى دليل على طبيعة التكتيك المتبع والذي يفرضه التطبيق الخلاق للشيوعية ، بغية تحرير المجتمع منه (التخلف) بكل تاكيد .

« ان اسلوب الانتاج هو شكل معين لنشاط الأفراد المعيشي ونمط حياتهم المعين . وحسبنا ، اذا ما اردنا أن نعرف من هم الناس أن نعرف

abou-adnan.org

كيف ينتجون وكيف يحددون حياتهم وبمساعدة أي اسلوب في الانتاج»[١٥] .

وحين نحاول معرفة الشعب اليمني ، فسنلحظ انه شعب اشتراكي بطموحه الراهن وبنظرته للمستقبل وبالكيفية التي ينتج وفقها وبالطريقة التي يحدد حياته بموجبها ، وباسلوب الانتاج الاشتراكي الذي يحكم تطوره ... سنلحظ هذه الخصائص كلها رغم التخلف والمعاناة التي يصارعها !..

وسيسهل علينا ادراك هذه الحقيقة التي ما تزال غير جلية أمام أنظار العديد من القوى العربية والعالمية ، عندما نعلم « ان اسلوب الانتاج هو وحدة قوى الانتاج وعلاقات الانتاج ، اي وحدة جانبي الانتاج المعبرين عن نوعين من العلاقات : علاقة الانسان بالطبيعة ، وعلاقة الانسان بالانسان»[١٦] .

واضح أن كل القوى بغض النظر عن طبيعتها الطبقية تحاول تسخير علاقة الانسان بالطبيعة لصالح التطور الاجتماعي الذي تقوده ، ولكن الفرق يكمن في الوجهة التي يخدم فيها هذا التطور ، فهل يسخر لخدمة طبقة معينة من طبقات المجتمع ، أم انه يسخر لصالح المجتمع بأسره ؟

هنا تتجه البرجوازية لجعل أهم نتائج التطور ومعطياته لصالحها هي ، في حين أن الطبقة العاملة توظف معطيات التطور ونتائجه لصالح الانسان وبالتالي لصالح المجتمع كله . في ظل القيادة البرجوازية ، واسلوب انتاجها تستخدم نتائج علاقة الانسان بالطبيعة لتمكين فئة قليلة من الرأسماليين الاحتكاريين ، كي يخضعوا الغالبية العظمى من ابناء المجتمع لسلطانهم ، لذلك يعيش المجتمع الرأسمالي ظاهرة استغلال الانسان للانسان .

أما في ظل القيادة البروليتارية فيتجه التطور نحو الغاء الاستغلال والاضطهاد وجعل المساواة والرفاهية ظواهر أساسية للحياة الاجتماعية .

ان علاقة الانسان اليمني بأخيه الانسان اليمني ، محكومة بأفق

abou-adnan.org

التطور الوطني الديمقراطي الاشتراكي السائد اليوم هناك ، وستنتهي قطعا كل اشكال الاستغلال والراسمالية في يمننا الديمقراطية الشعبية ، بفضل وبمساعدة اسلوب الانتاج الاشتراكي السائد فيها ...

٢ ـ آفاق تطور اسلوب الانتاج الراسمالي والاشتراكي :

اتضح مما تقدم ، أن مجتمعنا العربي ، يخضع ، من حيث الهيمنة العامة ، لاسلوب الانتاج الراسمالي ، وإلى جانبه تعمل اساليب اخرى للانتاج ، وصفناها بالهامشية ، وقد استثنينا من بينها اسلوب الانتاج الاشتراكي رغم انه ، من حيث الهيمنة ، ما يزال هامشيا ايضا ، ولكنه يتميز عن بقية الأساليب الثانوية ، بكونه الأسلوب الوحيد الذي بوسعه منافسة اسلوب الانتاج الراسمالي والحلول محله ، لأنه الأسلوب الذي تدفع باتجاه هيمنته حركة الواقع الموضوعية وكفاح الجماهير العربية ، إنه اسلوب المستقبل ...

انه (اسلوب الانتاج الاشتراكي) ، ما يزال ثانويا من حيث هيمنته الجزئية في الفترة الراهنة ولكن قوته تكمن في كونه الأسلوب الذي يستحيل بلوغ التطور الاجتماعي- الاقتصادي العربي ، آفاقه الرحبة بدونه ، في حين أن اسلوب الانتاج الراسمالي رغم سيادته في الوقت الحاضر ، فانه مسؤول عن كل التخلف والارتداد عن الثورة ، الذي حدث في مجتمعاتنا .

ان اسلوب الانتاج الراسمالي ، مهما حقق من تقدم فانه ينتهي حتما لخدمة فئة قليلة من ابناء المجتمع ، ويمكنها من السيطرة على الغالبية الساحقة فتستغلها وتضطهدها وبذلك يعرض وحدة الأمة للتجزئة والتمزق ويجعل من المجتمع طبقات متصارعة يتراكب بعضها فوق بعض ، فيتدهور ويتخبط ..

أما اسلوب الانتاج الاشتراكي ، فعلى العكس من ذلك تماماً ، لأنه يقود التطور باستمرار صعوداً الى امام ، ويقضي على تمزق الأمة ، ويحررها من الصراع الطبقي ويعزز وحدتها ويقضي على الاستغلال وبالتالي الاضطهاد ..

لسنا نلقي كلاما جزافا ، ولا نرمي المفاهيم على عواهنها ، وإنما

abou-adnan.org

نبسط حقائق علمية أكدتها الوقائع الموضوعية . ويكفينا لتأكيد ما يتميز به اسلوب الانتاج الاشتراكي عن غريمه اسلوب الانتاج الرأسمالي على الوجه التالي :

معلوم أن طابع ملكية وسائل الانتاج هو الذي يقرر طبيعة علاقات الانتاج . فحين يكون طابع الملكية خاصا ، تكون العلاقات قائمة على الاستغلال والاضطهاد ، كما هو الحال في المجتمعات الرأسمالية ، وحين يكون طابع الملكية اجتماعيا ، تكون العلاقات قائمة على التعاون والتآخي والمساعدة المتبادلة بين ابناء المجتمع وفئاته ، كما هو الواقع في المجتمعات الاشتراكية . ولسنا بحاجة للقول ، أن طابع ملكية الوسائل ، يفرض نفسه على كافة الجوانب المتصلة بعلاقات الانتاج ، كالعلاقات بين أبناء المجتمع خلال عملية الانتاج ، والتعاون المتبادل ضمن نطاق ممارساتهم العملية ، وتوزيع الخيرات وما شابه .

ولكن ملكية وسائل الانتاج ، لا تقرر طبيعة علاقات الانتاج ، فحسب ، وانما هي تلعب دورها المؤكد في اخضاع قوى الانتاج برمتها لسلطان من يملك هذه الوسائل ، لأن من يملك وسائل العمل وموضوعه ، يهيمن بالضرورة على المنتجين ، العمال ، الفلاحين ، الناس الذين يشكلون العنصر الحاسم في عملية العمل ، هيمنة تجعل قوى الانتاج بمجموعها تحت تصرفه . وبما أن قوى الانتاج هي التي تشكل محتوى الانتاج الاجتماعي ، فان من يهيمن عليها ، يستطيع أن يحدد طبيعة شكل الانتاج المادي ، أي طبيعة علاقات الانتاج ، أيضاً !..

هكذا ، يحدد طابع ملكية وسائل الانتاج ، طبيعة علاقات الانتاج . وهكذا يخضع المنتجون لسلطان مالكي هذه الوسائل .

ومعنى هذا ، ان اسلوب الانتاج الذي يشكل الأساس المادي لكل تشكيلة اجتماعية ، والذي يشكل بدوره قانونا للتطور الاجتماعي ، هو الآخر ، تتحدد طبيعته ، تحت تأثير طابع ملكية وسائل الانتاج ...

من هنا يتبين ، أن اسلوب الانتاج الرأسمالي هو المسؤول عن تخلف بلداننا وتعثر التطور فيها . بحكم كونه يمكن فئة قليلة من الهيمنة على

abou-adnan.org

وسائل الانتاج ، في حين أن اسلوب الانتاج الاشتراكي الذي يمنع تسلط اقلية من المستغلين والمتحكمين هو الأسلوب الوحيد القادر على تمكين شعبنا وقواه المنتجة من تحقيق تطورها المنشود ...

يتضح ، مما تقدم ، وبشهادة كل الوقائع أن حل معضلات التطور الاجتماعي ـ الاقتصادي والثقافي والسياسي التي تعانيها مجتمعاتنا ، يرتبط ويتوقف على سيادة اسلوب الانتاج الاشتراكي وأن تطور قوى مجتمعنا المنتجة لا تجد بغير علاقات الانتاج الاشتراكية ، ظروفا ملائمة لاطراد نمو تطورها .

ان آفاق تطور اسلوب الانتاج الراسمالي محدودة جداً وضيقة جداً ، الأمر الذي يعيق اطراد نمو تطور القوى المنتجة ..

اما آفاق تطور اسلوب الانتاج الاشتراكي ، فرحبة وواسعة ، وتتناسب مع الاتجاه العام لحركة التطور في مجتمعنا العربي .

اذا كانت هذه هي آفاق التطور التي تحكم مستقبل شعبنا العربي ، فما هو دور البرجوازية الوطنية في المرحلة القادمة ؟ وما هي مسؤولية الشيوعيين، وما هو الدور التاريخي الذي يجب أن يلعبوه ، وما هي علاقة ذلك كله بموضوع بحثنا : « العمل الشيوعي الثوري العربي الموحد » ؟

٣ ـ مأزق الطبقة البرجوازية وحركتها القومية :

كانت الحركة القومية العربية التي نهضت بقيادة الثورة ضد العثمانيين ، تعيش أزمة مكبوتة اما مكمن تلك الأزمة ، فيتمثل في تركيبتها القيادية غير المتجانسة ، اذ كان رجال الدين والاقطاعيون والتجار الكبار ، يشكلون العنصر الطاغي الى جانب المثقفين والبرجوازيين الوطنيين . كما كانوا يخوضون النضال وينطقون باسم الثورة وحركتها القومية ، وكان طبيعيا أن تتعرض تلك التركيبة الخليطة للانهيار ، بمجرد تغير الظروف التي فرضتها ..

وجاءت ظروف هزيمة العثمانيين ونكث المستعمرون الانكليز والفرنسيون بوعودهم واصرارهم على أن يقيموا استعمارهم على انقاض

abou-adnan.org

الاستعمار العثماني ... جاءت تلك الظروف ، لتهز كيان تلك الحركة القومية ، وتدخلها في ذروة تفاقم أزمتها !..

ان الأزمة التي عاشتها حركة القومية العربية والتي أدت بها الى أن تنقسم الى جناحين : جناح فقد القدرة على التعبير باسم الأمة العربية ، بسبب ارتباطه بالاستعمار وخيانته لقضايا الأمة وأهدافها الاجتماعية والقومية ، وبذلك فقد وطنيته وتقدميته ، وجناح بقي ملتزما بقضية الثورة وأهداف الأمة العربية في الاستقلال والتحرر والوحدة ... ان تلك الأزمة ، قد خلقت مناخا مناسبا للشيوعيين لأن يطرحوا برنامجهم القومي والطبقي ليحمل طموح الأمة العربية ويحدد أهدافها وأساليب الكفاح القادرة على تحقيقها ، وقد تنبهت الاممية الثالثة الى ذلك وبادرت لتوجيه دعوة لشعوب منطقتنا كي تثور وتقيم سلطتها السوفيتية على غرار المثل الذي جسدته ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى[١٧] .

ان تفاقم الأزمة وانفجارها باستشهاد يوسف العظمة ورفاقه ، قد فرض على الحركة القومية ضرورة تجديد نفسها ، بحيث تتخلص من كل العناصر المتنافرة وغير المنسجمة ، وبما أن الشيوعيين رغم نداء الاممية الثالثة ودعوتها ، لم يطرحوا انفسهم باعتبارهم الناطقين باسم الأمة العربية فان الحركة القومية العربية قد وجدت نفسها سائرة في طريق تطورها المستقل عن الحركة الشيوعية ، الأمر الذي دق اسفين الانقسام بين الحركتين ، واتاح للعناصر القومية الوطنية والتقدمية لأن تقود الثورة الوطنية الديمقراطية وتجدد حركتها القومية البرجوازية ، بمعزل عن الحركة الشيوعية !..

وما ان وقعت هزيمة القوى والطبقات الرجعية عام ١٩٤٨ ، حتى انفتح الباب على مصراعيه أمام البرجوازية الوطنية العربية لأن تفجر ثورتها وتستقطب الجماهير وتقود كفاحها ...

ولكن الحركة القومية البرجوازية الحديثة ،هي الأخرى كانت وما تزال تعيش أزمة متفاقمة ، وقد تجلت أزمتها هذه المرة في التناقض بين طبيعتها الطبقية البرجوازية ، واسلوب انتاجها الراسمالي ، وبين

abou-aman.org

طبيعة الافق التاريخي لتطور الثورة الوطنية الديمقراطية في بلداننا ...

وفي وقت كانت فيه هذه الحركة تفجر الثورات وتقود الكفاح ضد الاستعمار والصهيونية والرجعية .. في ذلك الوقت كانت تعتمد اسلوبا راسماليا للانتاج ، وكان طبيعيا ان يجري التطور ضمن افق هذا الاسلوب العاجز عن نقل مجتمعنا الى مصاف المجتمعات المتطورة ، وعلى امتداد ربع قرن نشأت طبقة جديدة ، تألفت من الفئات الادارية والراسمالية وبقايا الطبقات الرجعية ، نشأة تحولت وستتحول راسمالية الدولة على يدها ، الى وسيلة لحرف الثورة واجهاضها والارتماء بأحضان الامبريالية والصهيونية والرجعية ...

ان انسانا ، يعرف لماذا يحمل رأسه ، لا يمكن أن يتوهم بامكان قيام ، اية فئة من فئات البرجوازية بانجاز مهام الثورة الوطنية الديمقراطية على الوجه الأتم ، مهما تطرفت في اصلاحاتها ومهما حققت من مشاريع اقتصادية اجتماعية ، وثقافية ، لأن مسألة بلوغ الثورة الى نهاياتها الحاسمة لا تتعلق بالنوايا ولا بالاصلاحات الاجتماعية ، الاقتصادية ، الناجمة عنها ، وانما هي تتحقق أساسا بمساعدة وعلى أساس اسلوب الانتاج الملتزم من قبل قيادة الثورة الطبقية ...

ان اية فئة برجوازية ، قد تنجح باحداث تغييرات في حياة المجتمع وقد تحقق انجازات هامة ولكنها لن تخرج عن نطاق عجز اسلوب الانتاج الراسمالي ، ولن تفلت من قبضة التطور ونشوء فئة جديدة من فئات البرجوازية ، تشاركها المغانم ومراكز النفوذ يمكن تسميتها ببرجوازية الدولة تتكون وتتبلور خلال فترة معينة لتهيمن فيما بعد على زمام القيادة وتعطيل الثورة والارتداد بها ، وحرفها ثم اجهاضها ، والفرق الوحيد بين برجوازية هذا البلد العربي أو ذاك ، لا يتعدى حدود النسبة الزمنية ، بحيث تتمكن فئة برجوازية في قطر عربي من البقاء ضمن اطار حركة التحرر الوطني العربية ، فترة أطول من فئة أخرى ، ولكنهما كلتيهما عاجزتان لا محال ، ومرتدتان عن الثورة بدون جدال ، ومنحرفتان بكل تأكيد عن

abou-adnan.org

أهداف الثورة الوطنية والديمقراطية !..

ان البرجوازية العربية ، على مختلف فئاتها ، كأسلوب انتاجها ، عاجزة عن قيادة تطور مجتمعنا ، وليس أمام الفئات البرجوازية الوطنية ، سوى طريقين : أما أن تبقى تراوح مكانها وتنتقل من فشل الى فشل ، وأما أن تتحالف مع الطبقة العاملة وحركتها الشيوعية على أساس الالتزام ببرنامج العمال والفلاحين للثورة الوطنية الديمقراطية .

٤ ـ الطبقة العاملة ومأزق الثورة العربية :

أ ـ يتساءل لينين : « ان مآل الثورة يتوقف على ما يلي : أتقوم الطبقة العاملة بدور المساعد للبرجوازية ، مساعد قوى من حيث شدة هجومه على الاوتوقراطية ، ولكنه عاجز من الوجهة السياسية ، أم أنها ستضطلع بدور القائد للثورة الشعبية »[١٨]

واضح أن لينين لم يطرح سؤاله اعتباطا ، وانما أراد أن يضع الأمور في نصابها ، ويحدد للطبقة العاملة الروسية دورها الذي كان لينين يتبينه من مجمل التطورات وصور الوقائع التي حملتها ثورة ١٩٠٥ ، وقد مهد لسؤاله هذا بادانة واضحة لأولئك الذين يرجعون الفشل الى الجماهير ويوصمون الطبقة العاملة باللاثورية . ان « الطبقة العاملة ـ تطمح ـ بالغريزة الى العمل الثوري السافر . ويجب علينا أن نعرف كيف نطرح أهداف هذا العمل طرحا صحيحا ، لكي نعمل فيما بعد على تعريفها وافهامها على اوسع نطاق ممكن . ولا يجوز أن ننسى أن التشاؤم الدارج ازاء صلتنا مع الجماهير يخفي اليوم ، في كثير من الحالات ، افكارا برجوازية عن دور البروليتاريا في الثورة. ولا ريب أنه لا يزال علينا أن نعمل الكثير الكثير من أجل تربية الطبقة العاملة وتنظيمها ، ولكن كل ما في الأمر الآن ، **أن نعرف أين يجب أن يكون مركز الثقل السياسي الرئيسي في هذه التربية وهذا التنظيم . أفي الجمعيات الشرعية والنقابات أم في الانتفاضة المسلحة** ، في قضية انشاء جيش ثوري وحكومة ثورية ؟ان الطبقة العاملة تتربى وتنتظم في الحالتين . وبديهي أن هاتين الحالتين ضروريتان . ولكن كل ما في الأمر الآن في الثورة الحالية ، أن نعرف في اي نقطة ، الاولى أم الثانية ،

abou-adnan.org

سيكون مركز الثقل في تربية الطبقة العاملة وتنظيمها »[١٩] .

وفي معرض شرحه لفكرة تربية الجماهير في الانتفاضة وانشاء جيش ثوري ، فند الآراء الانتهازية وعارض موقف أولئك الشيوعيين الاصلاحيين الذين كانوا « يخافون من فكرة ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديمقراطية الثورية ، هذه الفكرة التي تنبثق بالضرورة من كل المفهوم الماركسي »...[٢٠] ، والذين يتذرعون ، لتبرير خوفهم ، بالزعم أن طرح هذا الشعار سيفصل البرجوازية عن الثورة ويدفعها لمناهضتها ، الأمر الذي يؤدي الى تقلص مدى الثورة ، على حد زعمهم !..

لقد فند لينين ادعاءات الاصلاحيين ، تفنيداً حسم معه الموقف ، وحدد الخيار الثوري ، لروسيا بأسرها :

« ينبغي على البروليتاريا أن تقوم بالانقلاب الديموقراطي الى النهاية ، بان تضم اليها جماهير الفلاحين ، لسحق مقاومة الأوتوقراطية بالقوة وشل تذبذب البرجوازية . وينبغي على البروليتاريا أن تقوم بالانقلاب الاشتراكي بان تضم اليها جماهير العناصر نصف البروليتاريا من السكان ، لسحق مقاومة البرجوازية بالقوة وشل تذبذب الفلاحين والبرجوازية الصغيرة . تلك هي مهمات البروليتاريا ..»[٢١]

ومعلوم ، ان لينين لم يكن يمزح ، او يلعب ، لأن قضية الانتفاضة والثورة ، لا تتحمل مزاحا او لعبا ، كان يرسم نهجا ثوريا ، رغم أن البلاشفة خلال انتفاضة عام ١٩٠٥ لم يتمكنوا بعد من تكوين حزبا بالمعنى الذي يسمح بالقول إنهم (البلاشفة) ، كانوا على ابواب احداث الثورة ، او حتى قيادة الأحداث ، وإنما كانوا تجمعا ، او كتلة او فريقا ماركسيا يعاني من انشقاق واسع ، يقف في كفته الثانية المناشفة . ولكن ذلك كله لم يمنع لينين من طرح المفهوم وتحديد الموقف وبلورة الخيار ، ورسم البرنامج ...

فشلت انتفاضة ١٩٠٥ ، ولكن الفشل دعم رؤية لينين وأكد وجهة نظره ، القائلة بأن البروليتاريا وليست البرجوازية هي الأقدر على إنجاز الثورة الوطنية الديمقراطية ، ولم تكن معارضة البلاشفة للسير بركاب

abou-adnan.org

البرجوازية ، اعتباطية وإنما استندت إلى رؤية حالة العجز التي كانت البرجوازية الروسية تعانيها ، مما يجعل السير بركابها لا يعني غير التخلي عن قضية الجماهير ... عن الثورة ، ولذلك جاء فشل ثورة ١٩٠٥ تأكيدا لراي لينين والبلاشفة بالبرجوازية .

وتابع البلاشفة بقيادة لينين نهجهم وانجزوا اعظم ثورة في تاريخ البشرية قاطبة . ومرت الذكرى الرابعة للثورة واعاد لينين تاكيد برنامجه :

(إن مهمة الثورة في روسيا المباشرة والقريبة كانت مهمة ديمقراطية برجوازية قوامها القضاء على بقايا القرون الوسطى ، وإزالتها إلى الأبد ، وتنظيف روسيا من هذه البربرية ، من هذا العار، مما كان يعيق إلى ما لا حد له كل ثقافة وكل تقدم في بلادنا)[٢٢] .

إن هذا الادراك الواعي لطبيعة المهمة الأولى التي واجهت ثورة اكتوبر قد أكدت صحته الوقائع العملية . فلينين قد حدد طبيعة مهمة الثورة الروسية منذ عام ١٩٠٢ ؟ حين قال : « إن التاريخ يلقي على عاتقنا الآن مهمة مباشرة هي اكثر ثورية ، من جميع المهمات المباشرة الموضوعة أمام البروليتاريا في اي قطر آخر ، وإن إنجاز هذه المهمة ، اي **تحطيم اقوى حصن للرجعية الأوروبية بل وهو شيء نستطيع قوله الآن - للرجعية الاسيوية ايضا** ، سيجعل من البروليتاريا الروسية طليعة البروليتاريا الثورية في العالم »[٢٣] .

عام ١٩٠٢ ، يتحدث لينين بحذر ، عن إمكانية قيام البروليتاريا بالثورة الوطنية الديمقراطية نيابة عن البرجوازية وعام ١٩٠٥ ، يتخذ مع البلاشفة موقفا معارضا لقيادة البرجوازية للثورة ، رغم انهم (البلاشفة) ما يزالون في أولى خطى طريقهم الجديد على الماركسية وحركة البروليتاريا العالمية . وعام ١٩١٧ ، يقودون اعظم ثورة في التاريخ ، وتحتشد ضدهم كل الامبريالية وكل الرجعية والانتهازية والاصلاحية الروسية ، وتتألب عليهم عناصر وقوى كانت قبل الثورة قريبة منهم ، ومع ذلك تسير الثورة بخطى ثابتة نحو أهدافها ، تستمد ثباتها واطراد نجاحها من ثقة قيادتها وتصميمها .

abou-adnan.org

« المهم أن يكون المرء على ثقة بأنه اختار السبيل القويم . وهذه الثقة تضاعف مئة مرة من العزيمة الثورية والحماسة الثورية ، اللتين تستطيعان اجتراح العجائب »[٣٤] .

وقد اجترح البلاشفة العجائب فعلا ، وغيروا وجه التاريخ وطبيعة العصر ...

أما القانون الذي يحكم المسيرة ، والشرط الذي يقرر النجاح ، فيحدده لينين بوضوح :

« مع الفلاحين ، إلى نهاية الثورة البرجوازية ، مع الفئة الفقيرة ، البروليتارية وشبه البروليتارية ، من الفلاحين إلى الأمام نحو الثورة الاشتراكية ! تلك كانت سياسة البلاشفة ، وكانت تلك السياسة الماركسية الوحيدة »[٣٥] .

لاحظ تعبيره : « ... وكانت تلك السياسة الماركسية الوحيدة » . والتنكر لها ، لن يكون سوى كاوتسكية ، انتهازية ، تحريفية ، سموها ما شئتم فليست التسمية هي المهمة ، إنما المهم هو المضمون ، أما لينين فيقول :

« إن ما يطلبه كاوتسكي ، إنما هو ثورة بدون ثورة ، بدون نضال ضار ، بدون عنف ، فكأنه يطلب اضرابا لا يرافقه انفلات المشاعر والأهواء عند العمال وأرباب العمل . فحاول التمييز بين مثل هذا « الاشتراكي » وأي موظف ليبرالي عادي !»[٣٦] .

ولكن ، علام كان يعتمد لينين ؟

على أقلية بالنسبة لبقية القوى « إن حزبنا أقلية ، وأقلية ضعيفة في الوقت الحاضر ـ نيسان ١٩١٧ ـ في معظم سوفيتيات نواب العمال ، أمام كتلة جميع العناصر البرجوازية الصغيرة الانتهازية ...

وما دمنا أقلية ، فإننا نقوم بالانتقاد وتوضيح الأخطاء ، مروجين في الوقت نفسه لضرورة انتقال كل سلطة الدولة إلى سوفيتيات نواب العمال ، لكي تتحرر الجماهير من أخطائها بالتجربة »[٣٧] .

abou-adnan.org

ونجح تكتيك البلاشفة ، واستلموا السلطة وبرهنوا عمليا على صحة النظرية اللينينية القائلة بإمكانية تحول الثورة الوطنية الديمقراطية إلى الاشتراكية بدون المرور بمرحلة الرأسمالية ، شريطة قيادة الطبقة العاملة وحربها الشيوعي لها .

« لقد طرحت المسألة بالشكل التالي : هل يمكننا أن نعتبر أن التأكيد القائل بأن المرحلة الرأسمالية في تطور الاقتصاد الوطني محتومة بالنسبة للشعوب المتأخرة التي تتحرر الآن والتي تلاحظ في أوساطها بعد الحرب حركة في اتجاه التقدم ، هو تأكيد صحيح؟ وقد كان جوابنا على هذا السؤال سلبيا . فإذا ما قامت البروليتاريا الثورية الظافرة بدعاية منتظمة بين هذه الشعوب ، وإذا ما ساعدتها الحكومات السوفييتية بجميع الوسائل الموجودة تحت تصرفها ، عندئذ يصبح من غير الصحيح التأكيد على أن مرحلة التطور الرأسمالي هي مرحلة محتومة بالنسبة للأقوام المتأخرة . إن واجبنا في جميع المستعمرات والبلدان المتأخرة لا يقتصر على تكوين ملاكات مستقلة من المناضلين ، لا يقتصر على تشكيل المنظمات الحزبية والقيام حالا بالدعاية من أجل تنظيم سوفييتات الفلاحين والسعي كي تصبح هذه السوفييتات ملائمة لظروف ما قبل الرأسمالية ، إنما يتوجب على الأممية الشيوعية أن تقر وأن تثبت نظريا أنه بمساعدة البروليتاريا في البلدان المتقدمة ، يمكن للبلدان المتأخرة أن تنتقل إلى النظام السوفييتي وإلى الشيوعية عبر درجات معينة من التطور ، **متجنبة مرحلة التطور الرأسمالي** .

ويستحيل أن نشير سلفا إلى الوسائل اللازمة لهذا الأمر . وستنبئنا بذلك الخبرة العملية . ولكن من الثابت أن جميع جماهير الكادحين بين أبعد الشعوب تفهم فكرة السوفييتات ، وأن هذه المنظمات ، هذه السوفييتات ، ينبغي أن تتكيف وفقا للظروف الاجتماعية لنظام ما قبل الرأسمالية ، وأن عمل الحزب الشيوعي في هذا الاتجاه ينبغي أن يبدأ على الفور في جميع أنحاء العالم .

ويبودي أيضا أن أنوه بأهمية عمل الأحزاب الشيوعية الثوري لا في بلدانها وحسب ، بل أيضا في المستعمرات »[٢٨] .

abou-adnan.org

ب ـ مما تقدم اتضح أن اللينينية تشكل اساسا نظريا تستند إليه الطبقة العاملة لدى قيامها بقيادة الثورة الوطنية الديمقراطية ، في حال عجز البرجوازية عن القيام بها . ومعلوم أن بلداننا تدخل ضمن منطوق النظرية اللينينية القائلة بتحول الثورة البرجوازية إلى ثورة اشتراكية دون المرور بالمرحلة الرأسمالية ، شريطة أن ينهض الشيوعيون بتربية الجماهير في الانتفاضة المسلحة وليس في البرلمانية والنقابات التي هي مؤسسات مطلبية اصلاحية .

أما الذي يؤكد كون بلداننا تدخل ضمن نطاق النظرة اللينينية ، فيتجلى في دعوة الأممية الشيوعية وندائها إلى شعوب منطقتنا : « يا عمال وفلاحي الشرق الأدنى وحدوا صفوفكم ، أقيموا سلطة العمال والفلاحين ... » ، وانعقاد مؤتمر باكو الذي شكل منطلقا وخطوة على طريق انشاء أحزاب شيوعية عربية . ولسنا بحاجة إلى التأكيد على أن تطورات الأحداث منذ ما يقرب من ستين عاما ، جاءت مصداقا لنظرة الأممية الثالثة ، مما يغنينا عن اثبات كون النجاح كان ، وما يزال مؤكدا ، للشيوعيين ، فيما لو تسلحوا بالنظرية اللينينية ومارسوا كفاحهم على أساسها . أما اليوم ، وبعد عجز البرجوازية وحركتها القومية عن تحقيق مهام الثورة الوطنية الديمقراطية العربية ، فإن نداء الأممية يعود من جديد ليدوي في صفوف الشيوعيين العرب كي يفيقوا من غفلتهم ويتحسسوا بمسؤولياتهم التاريخية ، وينهضوا بما يمكن الطبقة العاملة العربية من القيام بدورها الطليعي التاريخي في انتشال الثورة العربية من مأزق العجز الذي تعانيه .

إن الشيوعيين ، مطالبون ، بإدراك كون الفارق بين حركة الطبقة العاملة الشيوعية ، وبين حركة الأمة القومية في مرحلة التطور الديمقراطي ، هو ذات الفارق بين الثورة الديمقراطية والثورة الاشتراكية ، وبالاستناد إليه (الفارق) ، لعبت الطبقة البرجوازية دورا طليعيا قائدا ، في الثورة الأوروبية ، وساندتها الطبقة العاملة ودعمت نضالها التحرري ضد الاقطاعية . وقد تحقق بفضل الدور القائد والدور المساند ، مجمل التطور الراسمالي والتقدم الى الذي حققته البلدان الرأسمالية المتطورة ...

abou-adnan.org

فإذا كانت حركة الطبقة البرجوازية القومية تفرض على الطبقة العاملة وكل قوى الأمة الوطنية والتقدمية تأييد نضالها الثوري في مراحل صعودها ، وبذلك تمثل (البرجوازية) إرادة كل قوى الأمة الخيرة ، وتقودها نحو تقدم المجتمع وتطوره ...

إذا كان هذا الأمر لا مناص منه في مرحلة التطور الديمقراطي بقيادة البرجوازية ، أفلا يكون من المفروض أيضا على الطبقة العاملة أن تمثل إرادة الأمة بأسرها في مرحلة اضطرارها لقيادة الثورة الوطنية الديمقراطية نتيجة عجز البرجوازية الوطنية عن النهوض بأعباء انجاز مهام ثورتها ؟

بعبارة أخرى ، إذا كانت البروليتاريا قد اضطرت بحكم مقتضيات التطور إلى تأييد البرجوازية في أوروبا يوم كانت هذه البرجوازية ثورية ، أفلا يتوجب على برجوازية بلداننا العاجزة عن أداء دورها التاريخي أن تؤيد قيادة الطبقة العاملة لثورتها الوطنية الديمقراطية ؟

وإذا كان الجواب يؤكد ، أيضا أن لا مهرب للبرجوازية من تأييد الطبقة العاملة ، إذا ما أرادت متابعة أداء دورها الوطني والتقدمي ، فإن السؤال يعود من جديد ، ليطرح نفسه على الطبقة العاملة وطليعتها الشيوعية : هل بالامكان إجبار البرجوازية الوطنية على التزام برنامج الثورة التي تقودها الطبقة العاملة ، ما لم تلمس كل قوى الأمة وتشهد بكفاءة الطبقة العاملة وقدرتها على التعبير عن مشاعر الجماهير الشعبية القومية والطبقية ونهوضها بأعباء النضال في سبيل الأهداف القومية والطبقية معا ؟

وإذا كان الجواب ، مرة أخرى ، لا مفر من التسليم به ، فإن السؤال نفسه ، يعود ليطرح نفسه مرة أخرى : هل يمكن للطبقة العاملة أن تكون قادرة على عكس مشاعر الجماهير القومية والتعبير عن آمالها ومطامحها الوطنية والديمقراطية ، ما لم تكن هي حركة الأمة القومية ، بالمعنى البروليتاري للكلمة بطبيعة الحال ؟

إن برجوازية بلداننا عاجزة عن تحقيق مهام ثورتنا الوطنية - الديمقراطية ، وبالتالي فهي (البرجوازية) عاجزة عن جعل حركتها القومية

abou-adnan.org

حركة شاملة للأمة العربية بأسرها ، لذلك فإن التطور التاريخي يلقي على عاتق الطبقة العاملة العربية مسؤولية قيادة الثورة الوطنية الديمقراطية نيابة عن البرجوازية ، وبالتالي فإنها (البروليتاريا العربية) مطالبة بأن تجعل من حركتها السياسية حركة للأمة العربية بأسرها ، بحيث لا يبقى مجال لأي طبقة أو فئة اجتماعية ـ اقتصادية أو قوة فكرية أو سياسية إذا ما رغبت في العمل الوطني والتقدمي ، غير مجال التحالف مع الشيوعيين والتعاون معهم في سبيل صياغة برنامج الثورة وقيادة كفاح الجماهير الشعبية الثوري ...

إذا كان الشيوعيون ، يضطرون إلى الاستعاضة عن برنامجهم الاشتراكي ، بتطبيق برنامج وطني ديمقراطي يتناسب مع طبيعة المرحلة الوطنية الديمقراطية ، عندما تدعوهم الظروف لاستلام السلطة وقيادة الثورة نيابة عن البرجوازية ، وإذا كانت الأهداف القومية كهدف وحدة الأمة وتحريرها من الاستعمار والتخلف ، تفرض على الشيوعيين أن يعكسوا ويعبروا عن مشاعر الجماهير الغفيرة القومية ، أفلا يتحتم عليهم والحالة هذه ، أن يكونوا هم قادة الحركة القومية ، وهم الممثلون لجماهير الأمة الفلاحية وسائر فئاتها الكادحة والمثقفة ؟

إذا انطلقنا من اعتبار الشيوعيين هم المسؤولين عن تحقيق أهداف الأمة القومية ، وعن التعبير عن مشاعر الجماهير وقيادتها نحو أهدافها القومية والطبقية ، أفلا يتوجب على الشيوعيين ، والحالة هذه أن يدركوا أن القضاء على الاستعمار وتحرير الأمة من هيمنته البغيضة ، وتصفية التجزئة وتحقيق وحدة الأمة ... إن هذه الأهداف هي أهداف قومية ، ترتبط بالأهداف الطبقية الاجتماعية ـ الاقتصادية ، ارتباطا يتطلب كفاحا ثوريا تحرريا وحدويا شاقا ومريرا ، من قبلهم وأن تقاعسهم عن خوض هذا الكفاح من شأنه أن يبقي أمتهم معرضة لاحتمال طمسها والقضاء عليها ؟

إن الأمة مفهوم تاريخي ، ليس مجردا ، وإنما يرتبط بواقع تاريخي معين ، ومعنى الاقرار بهذه الحقيقة ، أن عوامل وجود الأمة ، مثلما تنشأ وتتبلور ويتأكد وجودها وفعلها الايجابي في تحقيق وحدتها (الأمة) أو في

abou-adnan.org

تكريس هذه الوحدة وتعزيزها ، في ظروف تاريخية ملائمة معينة ... مثلما يتحقق هذا المجرى التاريخي لتطور مفهوم الأمة وتعزيزه ، فإن تغيير الظروف الموضوعية الملائمة لفعل عوامل وجود الأمة من شأنه أن يعيق هذه العوامل ويعرض وجود الأمة للضمور وربما للتلاشي الذي قد يتحقق بفعل ضعف العامل الذاتي وتضافر العوامل الخارجية العاملة على تحطيم الأمة وطمس وجودها ، لذلك فإن حل المشكلات القومية بما فيها مسألة وحدة الأمم المجزأة ـ كما هو شأن الأمة العربية ، التي يناضل ابنائها من أجل إعادة وحدتها ـ يجب أن يفهم على أساس أنه يتحقق بتوفير ظروفه التاريخية ، التي تحدد مجرى التطور التاريخي لكل أمة ، سواء كانت في طور التكوين أو في مرحلة إعادة وحدتها بعد أن تعرضت للتجزأة والتمزق بسبب طغيان العوامل الخارجية المضادة ، الأمر الذي لا يجعل حلول تلك المشكلات مرتبطة بطبيعة الظروف التاريخية الملموسة لكل أمة من الأمم ، فحسب ، وإنما يجعل مصير الأمة برمته مرتبطا سلبا أو إيجابا بظروفه التاريخية ...

مما تقدم نفهم أن وجود أمة من الأمم واستمرار هذا الوجود مرهون بوجود ظروفه التاريخية وباستمرارها (الظروف) .

إن مسؤولية الشيوعيين عن تحرير وطنهم وتوحيد امتهم ، مسؤولية كبيرة ، طالما أنهم مسؤولون عن تحقيق الثورة الوطنية الديمقراطية وانجاز مهماتها . ولسنا نعبر عن عواطف أو رغبات قومية لا تمت للنظرية الماركسية ـ اللينينية بصلة ، فاللينينية كما اطلعنا عليها ، تؤكد هذه المسؤولية . كما أن دور الطبقة العاملة تجاه الأمة بأسرها محدد بأول وثيقة اعتمدتها أول رابطة للشيوعيين العلميين ، نعني البيان الشيوعي الذي صدر عام ١٨٤٨ ، والذي حدد ، نظرة الطبقة العاملة وطليعتها الشيوعية وموقفهامن قضية الوطن والأمة . ومع أنه (البيان الشيوعي) يعكس التجربة الأوروبية من تطور الأمم ، إلا أن تحديده لمسألتي الوطن والأمة كان وما يزال تحديدا صحيحا وقد اكده لينين في نظرته للمسألة الوطنية . فقد جاء فيه ردا على اتهام الشيوعيين (في الغاء الوطن والقومية) ، وتوضيحا للفارق بين نظرة الشيوعيين وغيرهم إلى القضية القومية ما يلي

abou-adnan.org

« ليس للعمال وطن ، فليس في الاستطاعة ، إذن ، سلبهم ما لا يملكون ، وبما أن على البروليتاريا أن تستولي أولا على السلطة السياسية ، وأن تشيد نفسها **بحيث تغدو الطبقة القائدة للأمة . وأن تصبح هي الأمة** ، فهي ما تزال بعد ، إذن ، وطنية ، ولكن ليس بالمعنى البرجوازي لهذه الكلمة »[٢٩] .

في هذه الفقرة ، كما في السرد الواضح والمحدد لمضمونها في البيان الشيوعي وغيره من أدبيات التراث الماركسي ـ اللينيني ، موضوعين رئيسيين من الموضوعات التي شغلت في مرحلة لاحقة الأممية الشيوعية ، وهذان الموضوعان هما حدود وطن العمال ومعناه ، وعلاقة العمال بأمتهم وثورتها القومية . فالعمال ليس لهم وطن بالمعنى البرجوازي لهذا المفهوم ، لأن وطن العمال هو العالم كله ، ولكن بعد أن تزول عن أرضه البرجوازية وسلطتها .

وبما أن الواقع الموضوعي ، يتمثل في تجزئة البشرية والكرة الأرضية إلى أوطان قومية موروثة فإن العمال يعتبرون الوطن القومي الموروث ، هو وطنهم ، وأن الأمة التي ينتمون إليها هي أمتهم ، وأن ثورتها هي ثورتهم ، بيد أن هذا الاعتبار لا يعني ولن يعني توقف كفاح العمال من أجل قيام وطنهم الأكبر الذي يشمل العالم بأسره . فهم وحدويون أمميون وإن اضطروا للانصياع لواقع موضوعي قائم فإن اضطرارهم ، لا يمثل سوى خطوة يحققونها على طريق مسيرتهم الوطنية الأممية الكبرى ، لأن الشيوعية باعتبارها طليعة الطبقة العاملة ، تناضل من اجل تحقيق الشيوعية التي هي الهدف النهائي لمجمل النضال البروليتاري ، وبما أنها (الشيوعية) تساوي محو الطبقات والغاءها أي محو الملكية البرجوازية وهذه هي « الصيغة الوحيدة » للنظرية الشيوعية : « القضاء على الملكية ـ البرجوازية ـ الخاصة »[٣٠] ، وتحرير المجتمع من المفهوم البرجوازي للعمل الذي لا يعني في ظل المجتمع الرأسمالي سوى « وسيلة لانماء العمل المتراكم ، أما في المجتمع الشيوعي فليس العمل المتراكم إلا وسيلة لتفريج حياة الشغيلة وإغنائها وترفيهها »[٣١] ... بما أن الاشتراكية تزيل الطبقات وتمحوها فإنها تفتح الباب على مصراعيه أمام ظهور الوطن الأممي .

abou-adnan.org

إن محو الملكية البرجوازية الخاصة وبالتالي محو الطبقات ، سيؤول حتما إلى زوال « تناحر الطبقات في قلب كل أمة »[٣٢] ، وعندما يزول الصراع الطبقي فإن زواله سيؤول حتما أيضا إلى زوال « الحقد بين الأمم »[٣٣] ، لأن الشعوب لا تعود تجد سببا يدفعها للحقد ! فتنساه وتشطب الكلمات الدالة عليه من معاجمها و قواميس لغتها الأممية ، وتعيش بوئام وسلام بعد أن تصفي عوامل الصراع الطبقي واسبابه وتنهي بذلك الحرب الطبقية وكل أنواع الحروب واشكالها .

« أزيلوا استثمار الانسان للانسان ، تزيلوا استثمار أمة لأخرى »[٣٤] . !..

وإذن ، فإن زوال البرجوازية وتحرير الأمم من التمزق وبالتالي الصراع الطبقي ، سوف يؤول قطعا إلى زوال المفهوم البرجوازي للوطن وسيادة المفهوم البروليتاري له . بحيث تصبح الأمة موحدة والوطن القومي جزءا من الوطن الأشمل الذي يضم البشرية جمعاء اي العالم بأسره ...

ولكن الوصول إلى مرحلة زوال البرجوازية وتحقيق الشيوعية وسيادة المفهوم البروليتاري للوطن ، يتطلب زمنا طويلا لا تستطيع البروليتاريا أن تقفز عليه . ومع أنها تناضل من أجل تغيير الواقع الموضوعي القائم الذي يفصلها عن مرحلة الشيوعية ، بيد أنها سوف تبقى « وطنية ، ولكن ليس بالمعنى البرجوازي لهذه الكلمة » ...

وإذن ، فإن التزام البروليتاريا بمفهوم « الوطن القومي » ، يعني التزامها بهوية وطنها وقوميته ومعلوم أن الأوطان الاشتراكية القائمة اليوم ، لم تكن من صنع الشيوعيين وإنما هي من صنع الطبقات السابقة المنهارة ، ومع ذلك فإنهم (الشيوعيون) ما يزالون وسيبقون يحتفظون بأوطانهم حتى يتمكنوا من تحقيق وطنهم الأشمل ... وطنهم الأممي الذي يشمل كل الأمم والقوميات والشعوب ، بعد زوال المفاهيم البرجوازية للأمم والقوميات والأوطان وتحول البشرية إلى جماعة تاريخية ثابتة واحدة ، وطنها واحد ، هو الكرة الأرضية بأسرها ، ولغتها واحدة ، هي لغة الأممية الشيوعية ...

abou-adnan.org

وماذا يعني هذا كله ؟

إنه يعني أن الشيوعيين قد يضطرون لخوض حروب ضارية دفاعا عن وطنهم وصونا لكل ما هو نبيل وشريف في تراثه القومي ، لأنهم أكثر إخلاصا واشد التزاما وأكثر حرصا على وطنهم وسلامته من ممثلي الطبقات الأخرى !

فإذا كانت حدود وطن العمال الراهنة هي الحدود الموروثة والمتكونة تاريخيا ، وإذا كان معناه (الوطن) في أذهان الشيوعيين ، إنه جزء من الوطن الأممي الأشمل ، فما هي علاقة العمال وطليعتهم الشيوعية بأمتهم وبثورتها القومية ؟

عند العودة للنص ـ القاعدة الماركسية ـ ، يمكننا قراءة تفكير ماركس وانجلس حسب الترتيب التالي : إن البروليتاريا كي تتمكن من تحقيق مسألة استيلائها على « السلطة السياسية » فإنها مطالبة بأن تصبح هي « الطبقة القائدة للأمة » ، وبدهي أن قيادة الأمة ، أية أمة تحتم،على الطبقة القائدة ، أن تعبر عن مشاعرها (الأمة) ومطامحها ومصالحها القومية والطبقية ، والطبقة العاملة اكثر من أية طبقة اخرى مطالبة بمثل هذا التعبير الطبقي والقومي . لماذا ؟

لأن كل الحركات التي سبقت حركة الطبقة العاملة كانت « حركات قامت بها أقليات أو جرت في مصلحة الاقليات . أما حركة البروليتاريا فهي حركة قائمة بذاتها للاكثرية الساحقة في سبيل مصلحة الأكثرية الساحقة . والبروليتاريا ، التي هي طبقة سفلى في المجتمع الحالي ، لا يمكنها أن تهب وتقوم عودها إلا إذا نسفت كل الطبقات المتراكب بعضها فوق بعض والتي تؤلف المجتمع الرسمي .

وبالرغم من أن نضال البروليتاريا ضد البرجوازية ليس في أساسه نضالاً وطنياً ، فهو مع ذلك يتخذ هذا الشكل في بادىء الأمر . إذ لا حاجة للقول أن على البروليتاريا في كل قطر من الأقطار أن تقضي قبل كل شيء على برجوازيتها الخاصة »[٣٥] .

abou-adnan.org

معنى هذا الكلام ، أن الطبقة العاملة ، (تغدو هي الطبقة القائدة) ، فانها مطالبة باستقطاب كل طبقات وفئات الأمة وقيادة معركتها الطبقية والوطنية ضد الطبقة البرجوازية المهيمنة على السلطة ، أي أنها (البروليتاريا) ، مطالبة بالتعبير عن مشاعر الأمة ومصالحها الطبقية والقومية طيلة فترة كفاحها المناهض للبرجوازية ولسلطتها الرجعية ، وبما أنها (البروليتاريا) مطالبة بـ « أن تصبح هي الأمة » ، فعليها أن تسقط سلطة البرجوازية ونظامها الرأسمالي ، وأن تقيم سلطتها ونظامها الاشتراكي على إنقاضه ، « فهي ما تزال بعد ، إذن ، وطنية » ! ..

مرة أخرى ، ماذا يعني هذا كله ؟ : باختصار ، إنه يعني أن الطبقة العاملة مطالبة بأن تنطق وفقاً لعقيدتها الشيوعية طبعاً ، باسم الأمة وتقودها وتجسد مصالحها الطبقية والقومية طيلة مرحلة الكفاح ضد البرجوازية ونظامها الرأسمالي وبعد إسقاطها (البرجوازية) حتى إنتهاء مرحلة الانتقال إلى الشيوعية ، أي مرحلة ديكتاتورية البروليتاريا ، حتى قيام الوطن الأممي ...

هذه هي باختصار معاني توجيهات ماركس وانجلس وهي توجيهات ترجع إلى ما يزيد على قرن وثلث القرن . والسؤال هو :

إذا كانت البروليتاريا الصناعية تبقى وطنية حتى في المجتمع الرأسمالي المتطور الذي تجاوز مرحلة التطور القومي الديمقراطي البرجوازي ، أفلا يجدر بها (البروليتاريا) وبطليعتها الشيوعية أن تكون هي القائدة لحركة الأمة القومية التحررية في مجتمع متخلف يتوقف تطوره وتقدمه على قيادتها لحركته الوطنية الديمقراطية ؟

هذه هي نظرة الماركسية التقليدية ، وقد جاءت تطورات الاحداث مؤكدة صوابها ، وملقية مهمة جديدة على عاتق الحركة الشيوعية . ففي حين رأت الماركسية أن مهمة البروليتاريا تتلخص في إسقاط سلطة البرجوازية ونظامها الرأسمالي ، وإقامة دكتاتوريتها بغية إنجاز مهام مرحلة الانتقال إلى الاشتراكية والشيوعية ، **فإن الماركسية ـ اللينينية وأمميتها الشيوعية ، أضافت مهمة قيادة الثورة الوطنية الديمقراطية إلى مهام**

abou-adam.org

البروليتاريا التقليدية . وبهذه الاضافة اصبح واجباً على الطبقة العاملة ان تقود نضال الامة وان تكون هي الامة قبل بلوغ المرحلة الاشتراكية وما لم تتمكن الطبقة العاملة وحركتها الشيوعية من قيادة النضال الوطني الديمقراطي وتحقيق الثورة القومية ، فإن وضع النظرية اللينينية موضع تطبيق ، يصبح امراً مستحيلاً ، ولعل عدم نهوض الحركة الشيوعية العربية بمهمة قيادة نضال الامة العربية وبالتالي عجزها عن أن تكون طليعة الامة العربية نفسها ، دليل يؤكد إستحالة وضع النظرية اللينينية في الثورة موضع تطبيق عملي وترجمة حسية .

إن الاستحالة تتأتى من كون قيادة نضال الامة ، تعني قيادة النضال الاقتصادي ـ الاجتماعي والفكري والسياسي ، وإجبار قوى الأمة الأخرى على الانخراط ضمن نطاق الحركة العامة للطبقة العاملة والالتزام ببرنامجها المرحلي ، لذلك فأن تقاعس الشيوعيين عن صياغة مثل هذا البرنامج لا يمكن تفسيره بغير إشاحة وجوههم عن القضايا القومية ، هرباً من مصاعبها وتبعات النهوض بها وتقليص مهمتهم إلى درك المطلبية النقابية الاصلاحية ، وهي مهمة سهلة وثمنها بخس جداً إذا ما قيس بالثمن الباهظ الذي يدفعه الشيوعيون حين ينهضون بقيادة الامة كما هو الحال في الفيتنام مثلاً . ولكن لماذا نذهب بعيداً وأمامنا جبهة التحرير الجزائرية والجبهة القومية في اليمن الديمقراطية الشعبية والمقاومة الفلسطينية ، هذه الحركات القومية قدمت جهداً وتضحيات تفوق بما لا يقاس الجهد والتضحيات التي قدمتها الحركة الشيوعية في بلدانها . فكيف يمكن لحركة بلداننا الشيوعية أن تقود نضال الامة العربية وتصبح هي الامة العربية وهي تهرب من اداء مهمتها التاريخية وتبحث عن مهمة هي أقرب إلى مهام النقابات ونضالها المطلبي ؟

هل يمكن أن يكون الحزب الشيوعي ـ الجزائري ـ مثلاً قائداً لنضال الشعب الجزائري وهو يتبنى النظرية الاستعمارية القائلة باعتبار الجزائر جزءاً من فرنسا ، في وقت يقاوم فيه الشعب الجزائري عملية الالحاق هذه ؟

وهل يمكن أن يكون الشيوعيون قيادة لكفاح الامة العربية ضد الصهيونية وهم يهتفون بحياة الاخوة العربية اليهودية وبسقوط

abou-adnan.org

الحرب بين العرب واليهود ، في وقت تفتح فيه مكاتب التطوع في جيش الانقاذ واعلان حرب التحرير الشعبية ضد الصهيونية والامبريالية ؟ لو كان الموضوع المطروح فعلاً ، هو التعايش بين العرب واليهود لكان لمنطق الاحزاب الشيوعية ما يبرره ، اما أن القضية ، قضية إغتصاب وطن وتشريد شعب من وطنه ، فأن منطق الدعوة للأخوة يفقد موضوعيته وعلميته ويصبح تبريراً للاستعمار وحيلولة دون دحره !

على كل حال ، كان موقف ستالين من قضية إغتصاب فلسطين واعترافه باسرائيل ، إحدى الوقائع **التي تكشف الخلل في تعريفه للامة ، من يدري ربما غير رايه وادرك ان اليهود يشكلون امة ؟**

إن الطبقة العاملة وحركتها الشيوعية في بلداننا لا تستطيع أن تلعب دورها التاريخي على الوجه الأتم ، ما لم تعتمد أساساً على تحالفها مع الفلاحين ، كي تجعل من حركتها حركة للأغلبية الساحقة للامة ، ولذلك فانها مطالبة بأن تكون فعلاًهي حركة الامة إذا فهمنا الحركة القومية هي الانعكاس الفكري والسياسي والثقافي لوجود الامة الاقتصادي ـ الاجتماعي والتاريخي والجغرافي .

وإذن ، فان الطبقة العاملة العربية ، مطالبة بتصحيح خطاها ، وتلافي تقصيرها ، ونفض غبار التقاعس عن كاهلها ، كي تنهض بدورها التاريخي الطليعي ، وتبادر إلى إنتشال الثورة العربية من مازقها القاتل ...

ولكن على من تقع مسؤولية ذلك كله ؟ ومن هي الجهة المعنية اكثر من غيرها به ؟

٥ ـ الاحزاب الشيوعية العربية والدور القومي الذي أناطته اللينينية بالطبقة ا عاملة :

ا ـ إحتفل بعض الاحزاب الشيوعية العربية ، بالذكرى الستين لقيامه ، وكالعادة فقد تلقى سيلاً من برقيات التهنئة بـ « عيد ميلاده المجيد » . وإذا لجانا إلى عملية حسابية تطرح السنوات الستين من مدى

abou-adnan.org

قرننا العشرين لا تضح لنا أن الحركة الشيوعية العربية ، قد دخلت الوطن العربي سنة قيام الاممية الثالثة وقبل إنعقاد مؤتمر باكو بسنتين تقريباً ! ..

ب ـ إن النظرية اللينينية تحمل الحركة الشيوعية مسؤولية توجيه الأمة وإرشاد حركتها القومية ، بحيث لا يعود للحركة القومية متسع لرفض التحالف مع الشيوعيين والسير بركاب حركتهم ونشاطهم ، ومعلوم أن قضية قيادة حركة تحررية لا تتحقق إعتباطاً ولا تتم بنداءات أو مساومات وإنما هي تتحقق بفضل فعل الحركة الشيوعية وثوريتها لدرجة لا تترك مجالاً لأي عمل وطني وتقدمي خارج إطار حركة الأمة القومية التي يقودها الشيوعيون ، إذ (لا يكفي إتخاذ إسم « الطليعة » أو الفصيلة الأمامية ، بل ينبغي أن نعمل بشكل يحمل جميع الفصائل الأخرى على أن ترى وعلى أن تعترف بأننا نسير في المقدمة)[٣٦] .

وهل كان ، مثلاً ، بوسع قوى تقدمية أو وطنية العمل في الفيتنام ، خارج إطار التحالف مع الشيوعيين ؟ أما في كوبا فإن حدوث العكس أكد إصلاحية أولئك الشيوعيين الذين لم يتعلموا ما فيه الكفاية ، كي يتحمسوا لاداء مهماتهم التاريخية !

ج ـ إن قراءتنا للنهج اللينيني ، تؤكد على أن الاحزاب الشيوعية العربية لم ترتفع إلى مستوى الدور القومي الذي حددته اللينينية للطبقة العاملة . أما سبب ذلك فيرجع ، برأينا ، إلى أنها أرست وجودها منذ الاساس على خطأ . فيوم نشوئها (الاحزاب الشيوعية) قبل ستين سنة ، كانت الحركة القومية البرجوازية تعيش أزمة عامة . **وبدلاً من أن ترسي الاحزاب الشيوعية العربية وجودها على أساس قراءة أزمة الحركة القومية البرجوازية وتطبيق المنهج اللينيني . وطرح نفسها طليعة بروليتارية عربية تملأ الفراغ وتستقطب الكوادر الوطنية والتقدمية في صفوف الامة العربية الثائرة ، وتعبيء الجماهير الشعبية ، إستقطاباً وتعبئة تبلور الاحاسيس والمشاعر وتجسم المطامح القومية والطبقية ، وتغتنم الظروف التي خلقتها هزيمة الطبقات الرجعية عام ١٩٤٨ ، لتضرب ضربتها وتحدث الثورة الوطنية الديمقراطية العربية ، كما حدث في العديد من البلدان الأخرى ... بدلاً من ذلك ،**

abou-adnan.org

اقامت وجودها على أساس إدارة الظهر وإشاحة الوجه عن القضايا القومية ، وراحت تتمنطق بمنطق اوروبي غريب سمح بوجود قيادات لا تعرف اللغة العربية تربعت على رأس أحزاب شيوعية اقل ما يفترض فيها انها ناطقة بالعربية !

إننا نعلم ، كيف إنفضت الجماهير (١٩٤٨) عن الشيوعيين والتحقت بركب التضليل الرجعي ، والتطبيل للحرب وتحرير القدس من الرجس « اليهودي » . ولكننا نعلم ايضاً ان خداع الحكام الرجعيين وتواطؤهم وخيانتهم سرعان ما انكشفت للعيان ، وبدلاً من أن تكون الحركة الشيوعية هي قائدة عملية الفضح تلك ومستثمرتها ، نهضت بتلك المهمة العناصر والفئات البرجوازية الوطنية عامة ، والبرجوازية الصغيرة على وجه الخصوص ، وراحت قصص وحكايات « الاسلحة الفاسدة » التي كانت تقتل الجنود المصريين ، وبرقيات « ماكو اوامر » التي كانت الرجعية العراقية ترد بها على مطالبة الجنود بالقتال تسرى بين اوساط الجماهير سريان النار بالهشيم ، الامر الذي ساعد هذه العناصر والفئات البرجوازية على إستغلال الفراغ النضالي الناجم عن عزلة الشيوعيين وخيانة الرجعيين ، والقيام بتجديد حركة القومية العربية ، وانتهاج طريق وسطي ، تحت مظلة الحياد الذي كانت شعاراته ومفاهيمه تجد سوقاً رائجاً : « وحدة وحدة عربية ... لا شرقية ولا غربية » ، اي لا شيوعية ولا راسمالية وإنما وحدة بورجوازية وسطية تنتشر بين صفوف الكادحين محدثة حركة استقطاب شعبية واسعة من حيث المظهر ، في حين ان مضمونها وجوهرها كان بورجوازياً ، وقد إتضح ذلك للجماهير ولكن بعد حين ... بعد أن إنحرفت البورجوازية ودفعت الجماهير الثمن غالياً : إضطهاداً واستغلالاً وسجوناً واعدامات ! ..

هكذا ادى إنعزال الحركة الشيوعية العربية عن قضايا فلسطين والوحدة العربية ، إلى تفرد البورجوازية الوطنية العربية عامة والبورجوازية الصغيرة خاصة بتوجيه الجماهير الشعبية ونشر الديماغوجية وصرف الانتباه عن النضال الطبقي وإغراقه بالشعارات القومية والمكاسب الاقتصادية الآتية : إصلاح زراعي هامشي في الغالب ، ومشاركة في الارباح

abou-adnan.org

لم يجن العمال منها شيئاً بسبب إرتفاع الاسعار واتخاذها ستاراً لتوزيع الارباح على البورجوازية الادارية واستغلال ذلك كله لطمس الفوارق الطبقية بين العمال والفلاحين وبين البورجوازية الحاكمة من جهة ، والدعوة إلى التعاون الطبقي وإنكار موضوعة الصراع الطبقي واعتباره جريمة يعاقب عليها القانون ، **الامر الذي إضطر بعض الاحزاب الشيوعية للتخلي عن الشيوعية والاقدام على حل نفسها والاندماج مع حركة البورجوازية او السير بذيلها ، من جهة اخرى !** ..

إننا لا نلقي مهمة قيادة حركة الامة القومية وثورتها الوطنية الديمقراطية على عاتق الحركة الشيوعية جزافاً ، وإنما إنطلاقاً من الشيوعية ... إنطلاقاً من ماركس وانجلز ولينين ، اولاً ، وتاكيداً لمسؤوليتنا باعتبارنا شيوعيين نرفض تكرار العجز وتبرير التقاعس عن أداء المهمة التاريخية ،ثانياً ، أن التحديد اللينيني للمهمة ـ الثورة الملقاة على عاتق الطبقة العاملة ، لم ترغب أحزابنا الشيوعية ولم تحاول إستيعابه وامتلاكه ليس في مرحلة ما قبل الثورة في بلداننا ، فحسب ، بل وبعد قيام الثورة ايضاً إذ راحت هذه الاحزاب تكد ذهنها من أجل أن تؤكد للجماهير على صحة إدعاءات القيادات البورجوازية ، ولعل إطلاق مفهوم التطور اللارأسمالي على الثورات العربية وخاصة الثورة المصرية ، يمثل بينة كافية لعدم رغبة هذه الاحزاب في إستيعاب التحديد الماركسي ـ اللينيني للعلاقة بين الثورة البورجوازية الديمقراطية والثورة الاشتراكية البروليتارية !

قد يقول قائل أن ظروفا موضوعية وأوضاع ذاتية قد حالت دون قدرة الاحزاب الشيوعية على القيام بالثورة واستلام السلطة ... وإذا جاز أخذ مثل هذا القول بنظر الاعتبار ، فكيف تبرر ، أخطاؤها الفكرية التي لا يمكن تفسيرها بغير الابتعاد عن النهج اللينيني ؟

وإذا قيل أن كلام لينين يخص الثورة الروسية ، وبالتالي يتعذر تطبيقه على الاوضاع العربية وقت نشأة الاحزاب الشيوعية ... إذا قيل مثل هذا الكلام وهو كلام خاطيء بكل تاكيد ، فأننا نتساءل الم تدعو الاممية الثالثة عام ١٩٢١ ، شعوب بلداننا للثورة ؟ ...

abou-adnan.org

وإذا قيل أيضاً أن دعوة الأممية الثالثة كانت متسرعة وغير ملمة بالظروف العربية آنذاك .. إذا قيل مثل هذا القول وهو قول خاطيء ، أيضاً ، مع أن تلك الدعوة كانت خطوة هامة لتأكيد التوجه لانشاء أحزاب شيوعية في بلداننا المتخلفة فإننا نتساءل أيضاً ألم يشترك العديد من الاحزاب الشيوعية العربية في المؤتمر السابع للاممية الشيوعية ، وبالتالي ألم توافق هذه الاحزاب على تقرير ديمتروف الذي أقره المؤتمر المذكور ؟

لقد حذر ديمتروف أولئك الشيوعيين الذين يتجاهلون المشاعر القومية لدى الجماهير ، حين نبه أعضاء المؤتمر السابع للاممية الشيوعية عام ١٩٣٥ ، إلى الخطأ الفادح الذي يمكن أن يرتكبه الشيوعيون حين يتيحون الفرصة للقوميين أن (ينبشوا تاريخ كل شعب ، ليظهروا بمظهر الورثة والمواصلين لكل ما هو سامي وبطولي في ماضيه ويستغلون كل ما هو مشين ومهين لمشاعر الشعب القومية كسلاح ضد)[٣٧] الشيوعيين ... حذر ديمتروف من أمثال هذه المواقف الخاطئة ، بقوله : أن (الشيوعيين الذين يظنون ، أن ذلك كله لا صلة له بقضية الطبقة العاملة والذين لا يفعلون شيئاً ، ليضيئوا أمام الجماهير الشعبية ، ماضي شعبهم ، بطريقة صحيحة تاريخية ، وبالروح الماركسية الحقة ، الماركسية ـ اللينينية الحقة ، لربط نضالهم الراهن بتقاليده الثورية في الماضي ... إن أولئك الشيوعيين يقدمون عن طواعية إلى المزورين الفاشيست ، كل ما هو ثمين في تاريخ الامة ، لتضليل الجماهير الشعبية . كلا أيها الرفاق ، **اننا نهتم بكل مسالة خطيرة ، لا في حاضر ومستقبل شعبنا فحسب ، بل وفي ماضيه ، ايضاً ، ونحن الشيوعيون ، لا ننتهج سياسة ضيقة الافق ، سياسة المصالح اليومية للعمال ، لاننا لسنا مناضلين نقابيين محدودين ، ولسنا كقادة الحرفيين في القرون الوسطى ، وإنما نحن ممثلين لمصالح طبقية لاهم واعظم طبقة في مجتمعنا المعاصر** ... الطبقة العاملة ، المكلفة بمهمة تحرير البشرية من أهوال النظام الراسمالي والتي أطاحت بنير الراسمالية وباتت الطبقة العاملة في سدس الكرة الأرضية (بعد قيام المعسكر الاشتراكي إزدادت هذه المساحة طبعاً) . إننا حماة المصالح الحيوية لجميع فئات الكادحين المستغلين ، أي لأغلبية

abou-adnan.org

الشعب الساحقة في كل بلد راسمالي .

إننا نحن ، الشيوعيون ، لخصوم مبدئيون الداء للقومية البورجوازية بكل اشكالها غير اننا لسنا انصاراً للعدمية القومية ، ولا يجوز لنا ان نتصرف هكذا ابداً . وأن مهمة تربية العمال وسائر الكادحين بروح الاممية ، هي من المهام الأساسية لكل حزب شيوعي ، لكن من يظن ، أن ذلك يسمح له وحتى يلزمه بأن يبصق على كل المشاعر القومية للجماهير الكادحة فهو بعيد عن البولشفية الحقة ، ولم يدرك شيئاً من تعاليم لينين وستالين فيما يتعلق بالمسالة القومية)[٣٨] .

اين احزابنا الشيوعية العربية من هذه التوجيهات الواضحة ؟

لقد عجزت الاحزاب الشيوعية العربية عن إدراك مضمون النهج اللينيني ، خاصة فيما يتعلق الامر بالتعبير عن المشاعر القومية اولاً ، وبفهم إرتباط الثورة الوطنية ـ الديمقراطية بالثورة الاشتراكية وضرورة قيادة الطبقة العاملة لحركة التحرر الوطني لكي تتمكن الثورة من بلوغ نهاياتها الحاسمة التي تنقلها إلى الاشتراكية ثانياً ، وعندما نطالع تعاليم لينين حول هذه المسائل ونستقرىء تاريخ الاحزاب الشيوعية العربية ونهجها على إمتداد السنوات الستين الماضية ، نجد هوة واسعة بين النهجين ! ..

يقول ديمتروف : (اننا نريد من شيوعيي كل بلد أن يستخلصوا ويستفيدوا في الوقت المناسب من جميع العبر التي توفرها تجربتهم الخاصة باعتبارهم طليعة ثورية للبروليتاريا ، ونريد لهم أن يتعلموا باسرع ما يمكن كيف يخوضون غمار الصراع الطبقي ، لا أن يقعدوا على الشاطيء ليراقبوا ، ويسجلوا تلاطم الامواج ، بانتظار الطقس الجميل)[٣٩] .

هذا هو النهج اللينيني ، وهذه هي نظرته إلى العلاقة بين الثورة الوطنية الديمقراطية والثورة الاشتراكية . ومعلوم أن لينين هو القائل : (لا يتوجب علينا ، بوصفنا شيوعيين، أن نؤيد ولن نؤيد الحركات التحررية البورجوازية في المستعمرات إلا في الحالات التي تكون فيها هذه الحركات ثورية حقا وفي الحالات التي لا يعيقنا فيها ممثلوا هذه الحركات عن تربية وتنظيم جماهير الفلاحين والجماهير الغفيرة من المستثمرين تربية ثورية

abou-adnan.org

وتنظيماً ثورياً ، وفي حالة إنعدام هذه الظروف يتوجب على الشيوعيين في هذه البلدان أن يناضلوا ضد البورجوازية الاصلاحية التي ينتمي إليها أبطال الاممية الثانية أيضاً)[٤٠] .

د ـ لقد تبلور وجود الحركة الشيوعية ، بلورة إتسمت منذ البدء بسمة التبعية لحركة الطبقة البورجوازية الاقليمية وبنعرة العداء للحركة القومية العربية ، لذلك وجدناها (الحركة الشيوعية) تندمج أكثر فأكثر باطار علاقة التبعية للبورجوازية الاقليمية الوطنية ، كلما تصاعدت حركة الكفاح الوطني الديمقراطي ، وتنكشف أكثر فأكثر أمام القوى الرجعية الحاكمة ، كلما إشتدت وتيرة القمع وتراجعت البورجوازية عن دورها الطليعي السياسي الذي تلعبه في مراحل النهوض الكفاحي ، والذي يشكل غطاء سياسياً لنشاط الحركة الشيوعية وعلى أساس هذا النهج كانت حركة التحرر الوطني العربية تعيش إنقساماً قاتلاً !

إن تخلي الحركة الشيوعية عن دورها القومي الذي أناطته بها النظرة اللينينية ، جعل تصادمها مع الرجعية العربية يقوم على أساس قطري يرتبط بعلاقة عداء مع البورجوازية الوطنية ذات الاتجاه القومي ، من جهة ، ويرتبط بعلاقة تحالف تبعي مع البورجوازية الوطنية ذات الاتجاه القطري ، من جهة ثانية ، مما جعلها (الحركة الشيوعية) تعجز عن طرح نفسها بديلاً طبقياً وايديولوجيا للرجعية ، بحكم تخليها عن دورها القومي من ناحية وبحكم تبعيتها للبورجوازية الاقليمية من ناحية ثانية ، الامر الذي فسح في المجال أمام البورجوازية الوطنية القومية لأن تقود حركة الثورة على الرجعية من ناحية ثالثة !

إن الحركة الشيوعية لن تكون بديلاً طبقياً وايديولوجيا للرجعية بمجرد التزامها لفكر الطبقة العاملة ، لأن الشيوعية تصبح مجرد يافطة لا مضمون لها ما لم ترتبط بقضية الثورة واستلام السلطة . لذلك جاء حكم التطور التاريخي قاسياً على الحركة الشيوعية العربية التي تلقت وما تزال تتلقى الصفعات من لدن حركة التطور التاريخي بسبب عدم ثباتها على النهج اللينيني الثوري .

abou-[illegible]an.org

إن آفاق تطور كفاح الحركة الشيوعية ، كانت محددة بطبيعة الدور الذي إختارته ، والذي لا يمت للنهج اللينيني بصلة ، والذي جعل نشاطها يتصاعد ويتسع خلال مراحل تصاعد نشاط البورجوازية الوطنية الاقليمية ويتقلص في مراحل تراجع البورجوازية الاقليمية امام إشتداد وتيرة القمع الرجعي وفي مراحل نهوض الحركة القومية البورجوازية ! ..

نظرة سريعة لمرحلة الأربعينات ، حيث تراجعت الحركة الشيوعية وانحسرت عن مواقعها امام الهجمة الرجعية، تؤكد صحة هذه الحقائق، اما حالة العزلة الشديدة التي بدأت تعيشها الحركة الشيوعية امام مد الحركة الناصرية فتكفي للتدليل على تراجعها (الحركة الشيوعية) باعتبارها تياراً إقليمياً ، أمام تيار قومي صاعد يقود ثورة وطنية ديموقراطية ...

ولدى العودة إلى مراحل نشوء الحركة الشيوعية ومتابعة نشاطها المجسد لنظرتها ودورها ، نلحظ أن نهج الحركة الشيوعية الاقليمي ، قد ساعد على إطالة عمر الجناح الرجعي في الحركة القومية التقليدية ، من ناحية ، وترك فراغاً نضالياً على الصعيد القومي مما أبقى الباب مفتوحاً على مصراعيه أمام الجناح الوطني التقدمي القومي ، ليبادر إلى ملئه وطرح نفسه بديلا سياسياً للرجعية العربية ، من ناحية ثانية . لذلك لحظنا أن الطابع الطبقي الذي تعكسه قضايانا القومية قد استثمرته الحركة القومية البورجوازية الحديثة ، واستغلته لاحداث ثورتها الوطنية الديموقراطية .

إن ردود الفعل الشعبية الغاضبة التي شهدتها الأقطار العربية عامة والمجاورة منها لفلسطين خاصة ، اثناء الحرب واثر هزيمة الطبقات الرجعية عام ١٩٤٨ ... إن ردود الفعل الجماهيرية تلك ، قد وفرت ظرفاً مناسباً ومحفزاً للثورة التي باتت مطلباً شعبياً وشعاراً جماهيرياً ينتظر من يقوم بترجمته من القوى الوطنية والتقدمية ، إذ كانت قضية « الأسلحة الفاسدة » وهزيمة ١٩٤٨ عاملا من العوامل التي دفعت الضباط الأحرار لتحدي الملك فاروق واعوانه علناً بموضوع انتخابات نادي الضباط ، ولم يكن ذلك التحدي مفصولا بطبيعة الحال عن الأوضاع الداخلية ولكنه بقدر ما كان تعبيراً عنها فإنه كان تعبيراً غاضباً ضد خيانة الملك واعوانه ، هكذا انتقلت القضية الفلسطينية إلى قلب المجتمع المصري محمولة على جثث الشهداء الذين ذهبوا ضحية « الأسلحة الفاسدة » ، والأمر نفسه يمكن أن

abou-adnan.org

يقال عن موقف الجيش العراقي الذي كان يتلقى رداً عاجلا من بغداد يقول له « ماكو اوامر » ، كلما طلب أمراً بمهاجمة العصابات الصهيونية . وعاد الجيش حاملا معه قصته مع أهل النظام العملاء ، لدرجة باتت معها قضية رفض أهل النظام إعطاء أمر بالقتال ، القشة التي قصمت ظهر النظام وأهله ...

لا ريب في أن « الاسلحة الفاسدة » و « وماكو اوامر » ، ما كان يمكن أن يحدثا ردود فعل كتلك التي حدثت لولا أنهما عبرا عن موقف القوى الطبقية الرجعية الحاكمة وخيانتها ، لذلك اكتسبت تلك الوقائع مضامين قومية عكست نفسها على الأوضاع الطبقية ، عكساً زاد من تفاقم أزمة تلك الأنظمة الاقتصادية الاجتماعية ودفعها للسقوط ...

لقد استغل الفكر القومي أحداث الحرب اللاوطنية عام ١٩٤٨ ، وراح يعيد من جديد طرح قضية وحدة الأمة العربية ، مؤكدا على أن التجزئة هي سبب الهزيمة الأساسي ، « فلو لم يكن العرب سبعة جيوش لاستحال وقوع الهزيمة » ! ، وانتشرت هذه المقولة انتشار النار بالهشيم لتكون حجة إدانة للحكام وجواباً للجماهير على سؤالها : « لماذا انهزمنا ، كيف انهزمنا ، أمام عصابات محدودة العدد والعدة ؟ » طبعاً أن الهزيمة لم تقع بسبب وجود الجيوش السبعة فقط ، ولكنها وقعت أساساً بسبب ارتباط الحكومات العربية بالامبريالية التي خلقت اسرائيل . ولكن دلالة الجواب « الجيوش السبعة » الذي أعطاه الفكر القومي ومغزاه يتجلى في ربط العمالة والخيانة وبالتالي الهزيمة بالتجزئة ورموزها الذين يتحملون المسؤولية الكاملة . وبما إن البرجوازية الكبيرة والاقطاع ، هم رموز التجزئة والعمالة والخيانة وبالتالي الهزيمة ، فإن ارجاع الهزيمة إلى وجود سبعة جيوش بدلا من جيش واحد ، ربط قضية تحرير فلسطين بوحدة الأمة العربية ! ..

بدهي القول ، أن هذه الشعارات : الوحدة ، جيش واحد لا سبعة جيوش ، التحرير ... الخ ، كانت تحمل مضامين ثورية تنامت وتصاعدت لتبلغ الذروة خلال فترة الأربعينات والخمسينات الأمر الذي مكن البورجوازية الوطنية من ملء الفراغ النضالي القومي ، وقيادة الثورة الوطنية الديموقراطية ، متجاوزة الرجعية العربية والأحزاب الشيوعية في آن

abou-adnan.org

سوية ، بحيث دفعت الأولى ثمن خيانتها وجنت الثانية حصيلة نهجها الاصلاحي وموقفها الخاطيء من القضايا القومية ، ومعارضتها للحرب ودعوتها للأخوة العربية اليهودية في ظروف كانت خلالها مشاعر الجماهير تتأجج حماساً قومياً مدفوعاً بالعديد من العوامل والأسباب الموضوعية والذاتية ! ..

هكذا وجدت الحركة الشيوعية العربية نفسها ضحية نظرتها الشيوعية الأوروبية للقضايا القومية ، مثلما وجدت الرجعية نفسها أسيرة تخليها عن شعاراتها وارتمائها بأحضان العمالة للامبريالية والصهيونية ...

إن الحركة الشيوعية العربية ، بالتزامها للنظرة الاوروبية ، لم تتخل عن مسؤوليتها تجاه القضايا القومية فحسب ، وإنما التزمت من الناحية العملية باسلوب الانتاج الرأسمالي للتطور ، دون ان تدرك إنه (الاسلوب) عاجز عن تحقيق تطور مجتمعاتنا ، لذلك أرست نضالها على أساس من العفوية وعدم الادراك لآفاق التطور اللاحقة لمجتمعاتنا ...

إذا انطلقنا من هذه النظرة ، فإننا سنقف أمام أمرين هامين : اولهما يؤكد على تخلف الأحزاب الشيوعية وعجزها عن اداء مهمتها الثورية التاريخية التي تتقدمها مهمة قيادة النضال الوطني التحرري وتحقيق ثورة الأمة القومية ، اما ثانيهما ، فيتعلق بنا وبدورنا !

إذا اعتبرنا نداء الأممية الشيوعية لشعوب منطقتنا منطلقاً ، ودعوتها لعقد مؤتمر باكو تاريخاً لانطلاقة الشيوعية في منطقتنا ، فإن الحركة الشيوعية العربية ، مدانة بإهمال مهمتها الثورية الأساسية ! ..

إن الحركة الشيوعية العربية ، قد حددت لنفسها هدفاً متواضعاً دون هدفها التاريخي الذي اناطته الأممية الشيوعية ، بدرجة كبيرة جداً ، لا نبالغ إذا ما قلنا إنها انحدرت بمهمتها التاريخية الكبرى إلى مستوى النقابات الحرفية في القرون الوسطى ، ونتيجة لتواضعها غير المبدئي وغير المنطقي ، حددت لنفسها دوراً ثانوياً وارتضت السير بذيل

abou-adnan.org

الأحداث الكبرى التي قادتها البورجوازية القومية ، فاستحقت بذلك عقاب التاريخ ، وتلقت الصفعات من يد القوى التي كان مفترضاً خضوعها (البورجوازية) لقيادة الشيوعيين وبرنامجهم الثوري ! ..

إذا حاكمنا الحركة الشيوعية العربية ، بمقياس المهمة التاريخية الثورية التي تخلت عن ادائها ، وبمقياس كونها تمتلك النظرية الشيوعية العلمية ... إذا حاكمناها بهذا المقياس ، سنرى أن المهمة النضالية التي اختارتها ، تمثل في بعض وجوهها ، نتاجاً لتخلف الأوضاع العربية ورغبات عمال الخدمات ومثقفي الاقليات ، الاصلاحية ، وحتى تضحياتها (الحركة الشيوعية) وممارستها كانت عبارة عن ردود فعل لمواقف وتصرفات القوى الرجعية التي تضطهد الشيوعيين لأنهم شيوعيون فقط ، وليس لأنهم ثوريون . ولو إنها (الرجعية) ارتضت بهم أحزاب معارضة علنية ، لقبلوا بالتعايش مع الرجعية على أساس النضال الوطني البرلماني . (لنتذكر موقف الحزب الشيوعي الأردني بعد هزيمة ١٩٦٧ ، وموقف حزب علي يعتة في المغرب حالياً) . ولعل الهدف الذي حددته الأحزاب الشيوعية لنفسها والذي يمحور نضالها كله حول مطالبتها بممارسة حقها باعتبارها أحزاب أقصى المعارضة الوطنية . لعل هذا الهدف يؤكد نظرتنا لمهمتها المتواضعة فوق اللزوم .

لقد فزمت الحركة الشيوعية العربية مهمتها بمحض اختيارها الذي هو تعبير واضح عن واقع نشأتها وطبيعة العوامل التي حكمت انطلاقتها . وحين نرجع إلى مرحلة الأربعينات ، ونشهد الحركة الشيوعية العربية ، تتظاهر ضد الحرب وتدعو للاخوة العربية اليهودية ، وتتأرجح بين رفض التقسيم والموافقة عليه ، وتدخل نتيجة ذلك كله المعتقلات والسجون ... وحين نلقي نظرة اخرى إلى موقع الجماهير ونشهدها تلبي الجهاد وتهرع للذود عن قدسية بيت المقدس وفلسطين . ظناً منها ان الرجعية تقاتل من اجل الحفاظ على حق العرب في فلسطين والقدس ، ولكن ظنها قد خاب بعد ان بلغت ميدان المعركة ضد العصابات الصهيونية ، واكتشفت أنها ممنوعة من ممارسة القتال الذي دعيت للمشاركة فيه ، وإن أسلحتها فاسدة ، الأمر الذي مكنها من كشف خداع الرجعية وتضليلها ، والذي جعلها تدرك

abou-a...n.org

أن الرجعية التي تخلت عن الوحدة والاستقلال قد تخلت أيضاً عن القدس وفلسطين ، وخانت دينها وقوميتها ، خيانة باتت مفضوحة ، ولم يعد ينفع معها التهريج الرجعي بالغيرة على الدين والقومية ، لأن الذين يدعون التمسك بالدين ويخونون دينهم وقوميتهم لا يمكنهم أن يكونوا صادقين في ادعاء الحرص عليهما ...

حين نرجع لمشاهدة تلك المواقف ونلحظ العزلة القاتلة التي أحاطت بالحكام الرجعيين والتي أدت إلى قيام الثورة وسقوط الرجعية ، اداء سجل نهاية مرحلة وبداية مرحلة جديدة ... حين نرجع إلى تلك الوقائع كلها ، **ألا نلحظ كم هي متواضعة المهمة التي اختارتها الحركة الشيوعية العربية ، وكم هو هامشي ذلك الدور الذي ارتضته لنفسها ؟**

قد تقولون أن تلك الوقائع بالنتائج التي انتهت إليها ، وبالدروس التي سجلتها قد كانت وراء عملية المراجعة التي قامت بها الحركة الشيوعية العربية إبان مرحلة الستينات ! ..

إذا قلتم مثل هذا القول ، فستكونون مطالبين بإدراك أن تلك المراجعة لم تكن أكثر من قفزة في المازق نفسه ، وخطوة في متاهة الضياع ذاته ، فقد انتقلت من موقع المهمة المتواضعة جداً إلى موقع التبعية للبرجوازية العاجزة ، لذلك لم تكن تلك المراجعة غير مراوحة في المازق ذاته ! ..

قلنا أن انطلاقنا من نظرتنا هذه ، يضعنا وجها لوجه أمام ، أمرين هامين ، أولهما يؤكد على تخلف الاحزاب الشيوعية العربية عن اداء مهمتها الثورية التاريخية التي تتقدمها مهمة قيادة النضال القومي وتحقيق ثورة الأمة العربية ، ...

أما ثاني ذينك الأمرين ، فيتعلق بنا ، فلكي نكون منطقيين ومنسجمين مع أنفسنا وقناعاتنا ، فإننا مطالبون ليس بالاكتفاء بنقد الأحزاب الشيوعية العربية على عدم قيامها بتحمل أعباء قيادة الثورة العربية ، منذ ستين سنة ، وإنما الأولى بنا ، وقد أدركنا هذه الحقائق كلها وفرضنا أنفسنا على حركة الطبقة العاملة العربية ، أن نطرح برنامجاً

abou-adnan.org

بروليتارياً على كل الأحزاب والمنظمات والعناصر الشيوعية في الوطن العربي ، وأن نحدد صيغ العمل العربي الطبقية والقومية ، على الأقل بعناوينها العريضة كي يغنيها النقاش وينضجها الحوار بين كل العناصر والقوى المعنية .

ولكن الا يحق لنا ، انطلاقاً من فهمنا لدور الشيوعيين هذا ، أن نعتبر مبادرة تشكيل حزب العمل الاشتراكي العربي ، على عفويتها ، ظاهرة تعكس شعورنا بضرورة المبادرة لاداء دور شيوعي ثوري عربي ؟

٦ ـ طبيعة المرحلة الراهنة ومسؤولية تحقيق مهام حركة التحرر الوطني العربية :

أ ـ إن استراتيجية وتاكتيك الحزب الماركسي ـ اللينيني (متصلان اتصالا وثيقاً بالمسلمات الأساسية لنظريته المادية الديالكتيكيةوالتاريخية) ولقد أشار لينين أكثر من مرة ، إلى أن سياسة الحزب الشيوعي لا تقوم على موضوعات ذاتية ، وإنما على مراعاة صارمة مادية للظروف الموضوعية وخاصة نسبة القوى الطبقية . إن الحزب ، إذ يرسم استراتيجيته وتاكتيكه يدرس الطبقات والتناسب بينهما لا في حالة الركود وإنما في الحركة ، وليس فقط من وجهة نظر الماضي وإنما من وجهة نظر المستقبل أيضاً ، كما يقتضي الديالكتيك الثوري .

وفي فترة التبدل السريع للأحداث والتغيير الحاد في الظروف وفي القوى المتصارعة ،يجب بشكل خاص أن يجري بتحديد تاريخي دقيق تقييم الأحداث ومسائل الصراع الطبقي »[٤١] .

انطلاقاً من هذه البدهيات ، فإننا نعتقد أن تحديد طبيعة المرحلة الراهنة ، يتيح لنا تحديد الطبقة الاجتماعية المسؤولة تاريخياً عن تحقيق اهداف ومهام حركة التحرر الوطني العربية .

ب ـ باديء ذي بدء لا بد من الاعتراف بأن تطور البلدان العربية لا يجري على وتيرة واحدة من حيث مستويات سلم التطور . الأمر الذي يخلق بالضرورة نمطاً من التفاوت في نضج المقدمات المادية الموضوعية والشروط

abou-adnan.org

الذاتية للثورة ، ولكن رصد هذه الظاهرة ، إن أفادنا في استغلال التناقضات الثانوية التي قد تنشب بين البورجوازيات العربية ، بسبب سمة التفاوت في تطور بلدانها الاقتصادي ـ الاجتماعي والسياسي ، من جهة ، وإن ساعد (الرصد) الرؤية السياسية ، على ادراك أن هذا التفاوت يخلق أيضاً ، استحالة تحقيق الأهداف القومية ، وخاصة هدف الوحدة العربية ، دفعة واحدة ، وإنما يتطلب إنجازها مرحلة إنتقال تبدأ مع بداية التطبيق العملي السليم للوحدة وتنتهي باكتمال وحدة الأمة العربية الشاملة وقيام نظامها الاقتصادي ـ الاجتماعي والسياسي الموحد ، من جهة ثانية ..

إن افادتنا رؤية التفاوت في تطور البلدان العربية الاقتصادي ـ الاجتماعي والسياسي ، في تحديد التناقضات الثانوية بين الطبقات الحاكمة وفي فهم شروط تحقيق أهدافنا القومية ، فانها (رؤيتنا للتطور المتفاوت) ستلحق بنضالنا ضرراً فادحاً وستقودنا إلى الارتماء بمأزق الأقليمية ، إن هي أعمتنا عن رؤية الظاهرة الأبرز والأقوى في تطور الأوضاع العربية ، عنينا **السمة المشتركة التي تتجلى في ازدياد هيمنة العلاقات الراسمالية على اوضاعنا العربية الاقتصادية والاجتماعية في مدن وارياف مختلف البلدان العربية ، ابتداء من مصر وانتهاء بالسعودية الثيوقراطية ، والتي تؤكد على ان التطور الراسمالي يفرض نفسه على البلدان العربية بدون استثناء** . اي حتى على اكثرها رجعية وتخلفاً كالسعودية وبلدان الامارات العربية وسلطنة عمان ...

لا ريب في أن احداً لا يجادل في كون الراسمالية العربية السائدة ، تتسم بتخلف شديد ، جعلها تتعايش مع بقية العلاقات والعادات والتقاليد المتخلفة ، تعايشاً ابقى قوى الانتاج في حالة تخلف ، وعرض الجماهير الغفيرة من العمال والفلاحين لا فقار متزايد ، وخاصة في الريف ، حيث أصبحت العلاقات الراسمالية قيداً ، جديداً إلى جانب القيود القديمة ، يعيق تطور القوى المنتجة في الريف ويبقيها في حالة استغلال دائم ينهك قواها ويحول دون تطورها ...

ولكن سمة التخلف التي تطبع الراسمالية العربية ، قد باتت عاملا

abou-adnan.org

مساعداً على انتشارها (الرأسمالية) ودخولها إلى البلدان الرجعية بحكم كونها تجلب الاطمئنان للحكام الرجعيين وتدعوهم إلى الاستفادة وإن بحدود من إدخال الرأسمالية إلى بلدانهم ، دعوة تذكرنا بانصياع الاقطاعيين في القرون الوسطى لنمو التطور الرأسمالي في ظل عهودهم وسيطرتهم الطبقية !

ج ـ مما تقدم نلحظ أن التطور الرأسمالي ، يطبع ببصماته التطور العام في مختلف أقطار الوطن العربي ، وإن التفاوت بقدر ما يبلور مصالح طبقية اقليمية للبرجوازيات القطرية ، وبالتالي يخلق تناقضات ثانوية بينها تزيد من عجزها عن تحقيق الوحدة العربية ، فإنه يجعل تحقيق الأهداف القومية ، متدرجاً تدرج حدوث الثورة ونجاح نهجها القومي التقدمي .

ولكن الاعتراف بكون الرأسمالية ، طابعاً عاماً لتطور البلدان العربية بما فيها البلدان الرجعية التي ما تزال خاضعة لسلطات ثيوقراطية (الحكم الالهي) واتوقراطية (الحكم المستبد) رجعية ، كما هي الحال في السعودية وامارات الخليج العربي وسلطنة عمان ... إن الاعتراف بالطابع الرأسمالي للتطور يثير أمرين ، يتعلق أولهما بالبلدان البورجوازية الدكتاتورية ، أما ثانيهما فيخص البلدان الرجعية الاتوقراطية والثيوقراطية ...

إننا نلحظ أن التطور الرأسمالي في بلدان المجموعة الأولى المحكومة من قبل دكتاتوريات الأفراد أو فئات قليلة من أبناء البورجوازية المتوسطة والصغيرة العليا الذين تمكنوا ، عبر استخدام مؤسسة الجيش والانقلابات العسكرية من استلام السلطة ... إن التطور الرأسمالي في هذه البلدان يمثل مؤشراً لحالة الارتداد والانحراف عن الثورة ، أي أنه يعكس ظاهرة مناقضة للتطور الرأسمالي الذي يجري في بلدان المجموعة الثانية ! ..

أما الرأسمالية التي تنمو في البلدان الرجعية ، وبالتالي الطبقة البرجوازية، فرغم وجود السلطات الفردية الملكية أو السلطانية أو الأميرية، فإنها (الرأسمالية) تمثل ظاهرة تقدمية، بحكم موقعها في الصراع الطبقي والسياسي الدائر هناك ، بينها (الرأسمالية) وبين العلاقات الرجعية الاقطاعية أو البطريركية (الأبوية) السائدة رغم اهترائها وتخلفها .

abou-adnan.org

فالعلاقات الراسمالية وبالتالي الطبقة البورجوازية تمثل حالة صعود ومع أنها ما تزال مظهراً ثانوياً ، ولكنها تدل على اتجاه التطور وافقه العام الذي يشير إلى قرب نهاية هذا النمط من الانظمة ، وحدوث الثورة الوطنية الديموقراطية فيها .

وأمام هاتين الظاهرتين اللتين يعكسهما التطور في البلدان العربية ، لا بد من الاشارة السريعة إلى مفهوم التطور اللارأسمالي الذي نشرته الأحزاب الشيوعية العربية وفسرت بموجبه طبيعة الثورة الوطنية الديمقراطية ، حيث اعتبرتها سائرة نحو الاشتراكية ، وحددت بموجب تفسيرها لهذا المفهوم ، افق تطور الثورة العام ، بشكل خاطيء ، الحق ضرراً فادحاً بالطبقة العاملة وحلفائها الفلاحين ..

إن التطور اللاراسمالي لن يكون إلا باتجاه الاشتراكية وبالتالي فهو ، باعتباره نمطاً للتطور يقوم بحكم الضرورة على اساس اسلوب الانتاج الاشتراكي لذلك فإنه يمثل مرحلة انتقالية من الأوضاع ما قبل الراسمالية أو الراسمالية المتخلفة ، إلى الاشتراكية ، أي انه المرحلة التي تتم خلالها عملية بناء الأساس المادي والتكنيكي الذي يسمح بالشروع بمباشرة انجاز مهمات الثورة الاشتراكية ، من هنا فإن قيادة الطبقة العاملة وحزبها الشيوعي لمرحلة التطور اللاراسمالي شرط ضروري ولا يمكن أن يتحقق هذا النمط من التطور بدون توفر شرطه الطبقي التاريخي ، هنا قد يتساءل البعض عن سند هذا الجزم والقطع الذي نشدد عليه ؟

إن مراحل التطور التاريخي لا تتحق اعتباطاً ، وإنما يستند تحقيقها إلى طبيعة اسلوب الانتاج السائد ، التي تحدد جميع جوانب حياة المجتمع وترسم آفاق تطوره . وبما أن طابع علاقات الانتاج السائدة ، هو الذي يحدد بنية المجتمع الاقتصادية ، فإن نظرة سريعة إلى العلاقات في البلدان العربية من المجموعة الأولى ، تكفي لتأكيد طابعها الرأسمالي ، إذا استثنينا طبيعة العلاقات في اليمن الديمقراطية التي ما تزال هي الأخرى في إطار التطور الديمقراطي .

وحين تسمى مرحلة من مراحل التحولات التاريخية بأنها تطوراً لا

abou-adnan.org

راسمالياً ، في وقت أن القوى الطبقية التي تقود هذا التطور هي قوى بورجوازية فإن هذه التسمية لا تكون صائبة ، لسبب هام يتعلق بطبيعة هذه القوى وأسلوب الانتاج الملائم الذي يخدم مصالحها والذي يحدد في نهاية المطاف جوهر علاقات الانتاج وطبيعتها الاقتصادية ، وبالتالي يحدد طبيعة المجتمع وتركيبته الاقتصادية ، فحين تكون الطبقة او الطبقات المسيطرة بورجوازية فإن اسلوب الانتاج الذي يسود هو اسلوب الانتاج الراسمالي مهماً كان شكل التعاون والمشاركة الذي يتخذه في بعض المراحل .

إن الاشكال او الالتباس الذي يحدث احياناً بذهن الشيوعيين الذين يجهلون الشيوعية يتاتى من طبيعة الاجراءات والانجازات والمفاهيم التي تتحقق وتطرح إبان ظروف الثورات الوطنية الديمقراطية في البلدان المتخلفة . ففي ظل ظروف التخلف واختلاط الحدود بين الطبقات بسبب ضعف التمايز الطبقي والتخلف الاجتماعي في مثل ظروف كهذه تتشابك المفاهيم والاهداف والمصالح الطبقية والفئوية ، تشابكا ناجماً عن شدة التخلف وسعة هوامش التقاء مصالح طبقات وفئات شعبية عريضة ، والتحامها في موقف موحد وجبهة متراصة ضد عدو شرس يفرض عليها تناسي خلافاتها وتجاوز تعارضاتها بغية توحيد جهودها وتحقيق هدفها الطاغي على جميع الأهداف الأخرى ، نعني هدف الثورة واسقاط الخصم الوحيد والعدو المباشر الذي تواجهه ... وحين تتحقق الثورة وترتفع شعاراتها عالياً وتصبح اغنيات ترددها الجماهير وأهازيج ترقص على انغامها الطبقات والفئات الشعبية ، رقصاً تتصاعد وتائره عندما تباشر الثورة بضرب الاقطاع بالاصلاح الزراعي وضرب الاحتكار الراسمالي باجراءات التاميم وهيمنة الدولة على المؤسسات الاقتصادية والمالية الكبيرة ...

في ظل ظروف كهذه ، يلعب عدم الوعي والنزعة الاصلاحية المسالمة ، دورهما في دفع الشيوعيين الذين يجهلون الشيوعية الى الوهم بان الثورة الوطنية الديمقراطية التي تقودها البورجوازية الوطنية ، عامة وعناصر البورجوازية الصغيرة البارزة على وجه الخصوص ، سائرة نحو الاشتراكية ، لذلك يطلقون عليها خطأ ،

abou-adnan.org

مفهوم « التطور اللارأسمالي » !..

ان ما يتراءى لهؤلاء الشيوعيين الذين يجهلون الشيوعية لا يعدو عن كونه وهما ، لأن السلطة البورجوازية ، على مختلف فئاتها ، لا تسمح للثورة بتجاوز حدود مصالحها الطبقية الضيقة ، ومهما بلغ اندفاع البورجوازية في اتخاذ الاجراءات التقدمية الاصلاحية ، فانها (البورجوازية) ، ستجد نفسها مضطرة لمراجعة حساباتها في فترة من الفترات ، ووضع حد لاندفاعها ، فتتوقف وترتد وتنحرف !..

ان سبب عجز البرجوازية عن قيادة ثورة مجتمعنا الوطنية الديمقراطية يرجع الى عوامل موضوعية وذاتية تتعلق بالبرجوازية نفسها ، فهي قد نشأت في ظل الهيمنة الاستعمارية نشأة جعلتها تنقسم الى قسمين : قسما دفعته مصالحه الى الارتباط مع الاستعمار بعلاقة تبعية وعمالة ، وقسم آخر دفعته مصالحه الى معاداة الاستعمار والارتباط بالجماهير الشعبية ونتيجة هذا الانقسام نشأ واقع موضوعي وذاتي يختلف عن واقع نشوء البورجوازية في أوربا وأميركا واليابان ، فهناك نشأت البرجوازية في أحشاء الاقطاع وثارت عليه ، في حين أن برجوازيتنا انقسمت الى رجعية عميلة للاستعمار ، ووطنية معادية له ، وكان طبيعيا أن تتحالف الرجعية مع الاقطاعية ، وتقف الوطنية في صف الجماهير وحركتها التقدمية . ونتيجة احتدام الصراع وتفاقم أزمة الطبقات الرجعية ، وتصاعد حركة الجماهير التحررية الديمقراطية يصبح الحل الوحيد أمام المجتمع متمثلا بحدوث الثورة الوطنية الديمقراطية . وبما أن هذه الثورة تقوم ضد واقع طابعه الموضوعي العام رجعي ، فان قيامها يخلق تناقضا جديدا ، بين طبيعتها الوطنية الديمقراطية وبين طبيعة الواقع الرجعي الذي قامت ضده . وهذا التناقض هو عبارة عن التناقض القديم الذي كان قائما بين الرجعية والجماهير الشعبية . والجديد فيه أن القوى التقدمية والوطنية قد تبادلت المواقع مع الرجعية وأصبحت هي المظهر الرئيسي للتناقض بعد أن كانت مظهرا ثانويا . ومعلوم فان حل التناقض بين الثورة والواقع الذي ثارت عليه ، يحتل أهمية قصوى في سلم مهمات الثورة ، بحيث تكون المهمة الأولى والمباشرة والملحة متمثلة في قلب الواقع

abou-adnan.org

وتغييره ، كي يصبح وطنيا ديمقراطيا منسجما مع طبيعة الثورة .

ان هذه البدهية (تغيير الطابع العام للواقع) لا تتحقق فورا وبمجرد قيام الثورة ، وانما يتطلب تحقيقها فترة انتقالية تستغرق سنوات عدة يتم خلالها تغيير الطابع العام للواقع الموضوعي باجراء اصلاح زراعي بغية ضرب الاقطاع وتصفية هيمنته الكلية على الريف ، وتأميم المصانع والمؤسسات الصناعية والمالية والاقتصادية الكبيرة بغية ضرب الرأسمالية الرجعية وتصفية هيمنتها الكلية على السوق والانتاج وخلق رأسمالية الدولة الجديدة التي اقامتها الثورة ، ونتيجة الانقلاب السياسي والتغييرات التي يحدثها في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية تتمكن الطبقات والفئات التقدمية والوطنية من الحلول محل الطبقات والفئات الرجعية في مواقع السلطة وقيادة تطور المجتمع وادارة الصراع مع أعدائها ...

واذن ، فان المهمة الأولى والمباشرة والملحة للثورة الوطنية الديمقراطية تتمثل في تغيير الطابع العام الرجعي للواقع الموضوعي للمجتمع ، ولكن بما ان عملية التغيير هذه ، هي عبارة عن حل للتناقض بين طبيعة الثورة الوطنية والديمقراطية وبين طبيعة الواقع الرجعي الذي قامت ضده ، فانها ستقود الثورة حتما الى واحد من خيارين ، فاما أن تخلق عملية التغيير الوطني والديمقراطي هذه ، انسجاما بين طبيعة الثورة وقيادتها ، واما أن تخلق تناقضا جديدا بين طبيعة الثورة وقيادتها يقوم على انقاض التناقض الذي تم حله .

هذان هما الخياران اللذان يواجهان تطور الثورة الوطنية الديمقراطية ، واللذان يتحكمان بمصيرها ويقرران بجميع بلدان القارات الثلاث والبلدان المشابهة لها .

ان مرحلة تصفية التناقض بين طبيعة الثورة الوطنية والديمقراطية وبين طبيعة الواقع الرجعي ، هي مرحلة انتقالية . فان قادتها البرجوازية ، فان الانسجام بين طبيعة الثورة وقيادتها سيتحقق خلال هذه الفترة ، وإن قادتها الطبقة العاملة فإن تناقضا جديدا يقوم على انقاض التناقض القديم بين طبيعة الثورة الوطنية والديمقراطية أي البرجوازية، وبين طبيعة قيادتها

abou-adnan.org

البروليتارية ـ الاشتراكية ...

وأمام هذين الخيارين ، فان التطور الذي تسير الثورة في مجراه الموضوعي والذاتي ، ينحصر في اطار احدهما خلال المرحلة الانتقالية ، فان كانت البرجوازية هي قيادة الثورة الوطنية الديمقراطية فان عملية الارتداد عن مجرى الثورة تبدأ ، من الناحيتين الموضوعية والذاتية عند بلوغ الثورة مرحلة الانسجام بين طبيعتها الوطنية الديمقراطية وبين طبيعة قيادتها البرجوازية ، التي تصبح عاجزة عن تجاوز ما انجزته ، وتنصرف للصراع مع جماهير العمال والفلاحين ، وان كانت الطبقة العاملة هي قيادة الثورة الوطنية الديمقراطية ، فان تصفية الواقع الرجعي ، تنقل الثورة الى مرحلة جديدة ، يتم خلالها حل التناقض بين طبيعة الثورة الوطنية الديمقراطية وبين قيادتها البروليتارية ، حلا يتوفر بفضله الأساس المادي والتكنيكي للثورة الاشتراكية . ولكن نجاح القيادة البروليتارية بقيادة الثورة الوطنية الديمقراطية وايصالها الى نهاياتها الحاسمة يتوقف على توفر شرطين هامين جدا : أولهما يتمثل في قدرة هذه القيادة على استيعاب واقعها الموضوعي وقيادة عمليات تحوله بعلمية وموضوعية تتمثلان في التخطيط وتعبئة الجماهير ومعرفة كيفية ادارة الصراع مع قوى الثورة المضادة ، أما ثاني الشرطين المطلوب توفرهما ، فيتمثل في نجاح هذه القيادة بتعزيز تضامنها البروليتاري الأممي مع الحركة الشيوعية الأممية عامة ومع البلدان الاشتراكية وطليعتها الاتحاد السوفياتي على وجه الخصوص ، بغية ضمان الدعم الأممي وامتلاك الخبرة التي تكدست لدى الأحزاب الشيوعية .

د ـ إذا كانت سيادة العلاقات الرأسمالية المتخلفة في غالبية البلدان العربية ، تجسم الطبيعة الاقتصادية ـ الاجتماعية العامة لمجتمعنا العربي ، فان التراجع عن الثورة وبالتالي عن التقدمية والوطنية ، يمثل السمة الفكرية ـ السياسية العامة لمرحلتنا الراهنة ...

إن التراجع هو السمة الأساسية التي تطبع المرحلة الراهنة ،

abou-adnan.org

وما اتفاقات « معسكر داوود » سوى عنوان أساسي من عناوين هذه المرحلة ...

ان تثور البورجوازية على طبقات الاقطاع والكومبرادور ، وتدينها بالرجعية ، وبالعمالة للامبريالية وبالتواطؤ مع الصهيونية ، وتحملها مسؤولية تخلف مجتمعنا وضياع فلسطين وعدم تحقيق الوحدة العربية ... إن تفعل البورجوازية ذلك كله وتسمح لنفسها ، بعد أكثر من عشرين سنة من تحمل مسؤولية القيادة ، بالارتداد عن الثورة التي فجرتها ، وبالاعتراف باسرائيل والانحراف بالصراع مع الصهيونية إلى دائرة ضيقة إسمها « السلام العادل والدائم » ... إن حصول ذلك كله ، يجسم أمام انظارنا دليلا ملموسا عن حالة العجز الموضوعية التي تعانيها البورجوازية العربية ، والتي هي خارجة عن إرادتها ورغبتها الذاتية !..

إن ظواهر التخلف ، رغم مضي ربع قرن على قيام الثورة الوطنية الديمقراطية ، والارتداد عن الثورة والارتماء بأحضان الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية ... إن هذه الظواهر لا تكشف تخلف البورجوازية العربية ولا تفسر عجزها عن قيادة الثورة الوطنية الديمقراطية إلى نهاياتها الحاسمة فحسب ، وإنما (الظواهر) تعيد التأكيد على أن ثورة بلداننا تولد عاجزة عن إنجاز كامل أهدافها عندما تقودها الطبقة البورجوازية . لذلك كان العجز مأزق الثورة التي تحققت وسيكون مأزقها في البلدان التي لم تتحقق فيها بعد إذا ما قادتها البرجوازية أيضاً ، الأمر الذي يؤكد على ضرورة أن تتحمل الطبقة العاملة مسؤولية قيادة الثورة العربية وتحقيق مهامها الاقتصادية ـ الاجتماعية والثقافية والسياسية ...

إن قيادة الطبقة العاملة للثورة ، ليست رغبة ذاتية يطرحها الشيوعيون بقدر ما هي رؤية علمية لانتشال الثورة ، من مأزق العجز الذي تقودها إليه الطبقة البورجوازية ، لذلك فان واجب الشيوعيين أن يضعوا كل العناصر والقوى الوطنية الديمقراطية المخلصة والحريصة على تقدم مجتمعنا أمام مسؤوليتها التاريخية وفق برنامج جذري قادر على حل معضلات الأمة العربية القومية والطبقية ... **إن واجب الشيوعيين أن**

abou-adnan.org

يضعوا كل عناصر الامة وقواها الشريفة امام مسؤوليتها التاريخية في الخيار بين الوطنية والتبعية للامبريالية بين التقدمية والرجعية ، بين استمرار الثورة وإطراد نجاحها وبين التعثر والعجز والارتداد والارتماء باحضان أعداء الشعب القوميين والطبقيين .

abou-adnan.org

الفصل الثالث

مفهوم الامة في التاريخ وتعريف ستالين للامة

اولاً ـ إيضاح .

ثانياً ـ ما هي الأمة ؟

ثالثاً ـ نقد تعريف ستالين :

رابعاً ـ تعريف العلماء السوفيات للأمة .

abou-adnan.org

abou-adnan.org

أولاً - إيضاح :

إن العمل العربي الموحد ، سواء كان قوميا برجوازيا ، أم كان قوميا بروليتاريا ، يعتمد وينطلق من الايمان بوحدة الأمة العربية ، التي تمثل ، الحيثية الأساسية الأولى لاي توجه نضالي عربي ، يستهدف تحقيق وحدة الأمة العربية ووحدة اداتها الثورية ...

لذا ، فاننا نجد لزاما علينا ، باعتبارنا من المعنيين بقضية وحدة الأمة العربية ، أن نولي موضوع الأمة وتاريخية ظهور مفهومها ، اهتماما مكثفاً ، نظرا لعلاقته بقناعتنا ، بتاريخية عوامل وجود الأمة العربية وتكون وحدتها في التاريخ البعيد ، قبل ظهور الانتاج البضاعي الرأسمالي في الوطن العربي ...

لقد درسنا ، بعناية العديد من الموضوعات والمؤلفات التي لها علاقة بمفهوم الأمة ، ومع اعترافنا بأن الموضوع واسع ويحتاج إلى دراسة أعمق وأكثف ، بيد أن الحدود التي بلغتها مطالعاتنا تسمح لنا بالخوض بهذا الموضوع ، على أمل أن يوليه رفاقنا ما يستحق من عناية ودرس . إنه ، برأينا،أهم من كل الموضوعات التي تشغل كوادرنا ، لأنه يتعلق بالقضية العربية الكبرى التي نلتزم بها والتي تميزنا عن غيرنا من المناضلين !

ما هي الأمة ؟ : سؤال سنبدأ به البحث ...

ثانياً - ما هي الأمة ؟

إن أهم الوثائق التقليدية (الكلاسيكية) في التراث الماركسي - اللينيني ، التي تتحدث عن الأمة ، هي مؤلف ستالين المعنون : « الماركسية والقضية القومية » ، الذي كتبه في ١٣ / ١ / ١٩١٣. والذي تضمن تعريفا موسعا عن الأمة :

إن «الأمة جامعة من الناس ثابتة تألفت تاريخيا ونشأت على أساس جامعة اللغة والأرض والحياة الاقتصادية والخصائص النفسية التي تبرز

abou-adnan.org

في جامعة الثقافة . ومن المفهوم بداهة إن الامة شأن كل ظاهرة تاريخية تخضع لقانون التغيير وان لها تاريخها ولها بدايتها ونهايتها .

وهنا يجدر بنا أن نشير وبالحاح إلى أن دليل من الدلائل المذكورة آنفاً غير كاف لتحديد مفهوم الامة إذا أخذ ذلك الدليل على حدة ، **اضف إلى ذلك ان انعدام وجود اي دليل من هذه الدلائل كاف لكي تكف الامة عن كونها امة** .[٤٢]

واضح من هذا التعريف أن الأمة حقيقة موضوعية يتطلب تكونها وظهورها إلى الوجود ، خمسة شروط أساسية ، هي : وحدة اللغة ، ووحدة الأرض ، ووحدة الحياة الاقتصادية ، ووحدة التكوين النفسي والثقافي ، وبما أن هذه الشروط لا تتكون دفعة واحدة ، ولا يمكن وجودها سوية بدون مدى تاريخي كاف لبلورة الوحدة القومية باعتبارها ثمرة تطور تاريخي طويل ، لذلك فان الشرط الخامس يتاكد في وحدة التكوين التاريخي المستقر ...

ثالثاً ـ نقد تعريف ستالين :

١ ـ ظهور المفهوم ومفهوم الأمة :

أ ـ نشوء المفهوم :

معلوم ، أن المقولات والمفاهيم ، ليست إختراعات لفظية ، يبادر هذا الاديب او ذاك إلى صياغتها ، وإذا حدث شيء من هذا القبيل ، فان وقائع التطور التاريخي كفيلة بطمرها ودثرها (المقولات والمفاهيم) . وليس هذا **هو شان مفهوم الامة الذي جاءت وقائع التطور لتعززه وتبلور مضمونه باكمل صورة واجلاها في قرون النهوض الراسمالي** .

إن المفاهيم والمقولات ، هي نتيجة تعميم تجربة الانسان ، منذ بدء التاريخ حتى يومنا هذا ، وسيستمر الانسان في معاناته هذه وسيزداد اهتمامه باغناء معارفه باضافة ما يتعلمه من ممارسته العملية وكفاحه الشاق والدائم ، وما يستخلصه من نتائج يلخصها ويصوغها على شكل

abou-adnan.org

مقولات ومفاهيم ، وعلى سبيل المثال **وليس الحصر** ، فقد توصل الانسان عبر تجربته الحية ، وعلى إمتداد فترة طويلة ، اصطدم خلالها مليارات المرات مع الأسباب التي أعطت ، وولدت نتائج مفيدة أو ضارة ... قد توصل نتيجة اصطدامه (تجربته) ، بتلك الأسباب إلى معرفة إن لكل **نتيجة أسباب** ، الأمر الذي جعله يصوغ مما تعلمه مفهومي : **السبب والنتيجة** . وهذه هي الحال بالنسبة لكل المقولات والمفاهيم ، التي توصلت إليها معرفة الانسان ...

وحين نطالع ، « مفهوم الأمة » ، في كتب التاريخ والفلسفة ، السابقة للعصر الراسمالي ، لا بد أن نتساءل ، من أين جاء هذا المفهوم ، وهل سقط سهوا في هذه المؤلفات ، أم أنه تكون مثلما تكون غيره من المفاهيم والمقولات الفلسفية ، في وعي الانسان نتيجة تطور موضوعي وتجربة خاضها الانسان على مدى الآف السنين ؟!...

ب ـ تاريخية مفهوم الأمة .

إن البحث عن تاريخ مفهوم الأمة ، يدلنا على أنه (المفهوم) ، حصيلة ادراك الانسان لضيق مفهوم القبيلة ، وعدم كفايته للتعبير عن شكل التجمعات البشرية التي بدأ التطور يفرزها ، فبعد توسع علاقات الجماعات القبلية ، ونشوء الصلات بين قبائل متعددة واندماجها في تجمع جديد اوسع من نطاق القبيلة ـ كما حدث للقبائل العربية اثر ظهور الدعوة الاسلامية وقيام الدولة والنظام العربيين ـ الاسلاميين مثلا ـ ظهرت الحاجة لوجود مفهوم أوسع فكان مفهوم الأمة الذي هو نقيض لمفهوم القبيلة ، مثلما ظهر مفهوم القبيلة باعتباره نقيضا لمفهوم العشيرة . ذلك أن وعي الأمة والعقيدة التي تنشأ عنه ، يتناقض مع وعي القبيلة والتعصب القبلي الضيق . وقد الح القرآن كثيرا على وحدة الأمة لدرجة أنه ذكرها في أكثر من خمسين آية من آياته ، وعلى سبيل المثال وليس الحصر ، فانه (القرآن) يقول «كنتم خير أمة أخرجت للناس » و« إن هذه امتكم ، أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » [٤٣] ، وردا على التعصب القبلي ، وتفسيرا لتعدد الشعوب والقبائل ، يقول القرآن : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ...[٤٤] » . . . ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن

abou-adnan.org

ليبلوكم في ما آتاكم ... »[٤٥] ، اي ليختبركم . ويقول في آية أخرى : « وما كان الناس إلا امة واحدة فاختلفوا ... »[٤٦] ، ويقول ايضاً : « وقطعناهم في الأرض امما ، منهم الصالحون ومنهم دون ذلك ... »[٤٧] ، ومما يؤكد شيوع مفهوم الأمة وتداوله باعتباره واحدا من المفاهيم الشائعة بين الناس ، ما نلحظه من تكرار لاستعماله . ولعل قول القرآن : « كذلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم ... »[٤٨] ، يؤكد صحة ما ذهبنا إليه ، فحين يكون محمد رسولا جاء لينطق باللسان العربي (وما ارسلنا من رسول إلا بلسان قومه ...)[٤٩] ، وحين يخاطب قومه بأنهم امة قد خلت ، من قبلها امم ، فان ذلك كله يدل بوضوح على انتشار مفهوم الأمة وذيوعه وتداوله بكثرة ، مما يشير إلى ظهوره (المفهوم) قبل زمن الدعوة الاسلامية بكثير . ويتبين ذلك من قول القرآن : (ولكل امة جعلنا منسكا ...) ، اي شرعة ومذهبا ، وليس تكرار مفهوم الأمة في القرآن ، هو الدليل الوحيد على قدمه (المفهوم) في التاريخ ، فقد ذكره الانجيل ايضاً ، بعدد وافر من صفحاته وآياته ... »[٥٠] .

مما تقدم يتضح ، إن وراء تكوين الامم ، يمتد تاريخ طويل جدا ، اختصره ستالين بفترة ظهور الراسمالية ، وهي فترة غير كافية لخلق ظاهرة اجتماعية بمثل ضخامة ظاهرة « الامة » ، ولذلك فانه خلط بين بلورة الأمة باعتبارها حقيقة مطلقة وبين الأمة باعتبارها حقيقة نسبية ، ما تزال في دور التكوين والتطور الذي تجلى في أوروبا بصورته النهائية في أواخر العهد الاقطاعي بفضل ظهور الراسمالية وصيرورتها وليدا باحشائه وبما انه لا يمكن لاية حقيقة أن تكون مطلقة ، ما لم تتجمع وتتكون قبل تكونها جملة حقائق نسبية . وبما أن عوامل وجود الأمة ، هي الحقائق النسبية التي تسبق تكون الأمة ، وإن هذه العوامل تستغرق فترات طويلة كي تستكمل وتتبلور ، فان قول ستالين : « إذا فقد عامل واحد من عوامل الوجود ، تكف الأمة عن أن تكون أمة » خطأ فادح لانه يلغي وجود كافة العوامل وينهي دورها لمجرد الغاء عامل واحد منها . في حين أن لكل منها دوره في الجدل والتأثير المتبادل !..

إن نظرة ستالين جامدة وغير جدلية ، ولكونها غير جدلية فهي غير

abou-adnan.org

إلا على يدي ماركس وانجلس ...

وما أردناه من وراء جلب الانتباه إلى تاريخية مفهوم الامة ، لم يكن الغرض منه ، التأكيد على أن الامم بشكلها الذي تبلور على يد البورجوازية منذ القرن السادس عشر ، كانت موجودة ، وإنما أردنا لفت الانتباه إلى خطأ القول بأن البورجوازية هي التي خلقت الامة ، وصاغت مفهومها . فهي (البورجوازية) لم تفعل اكثر من أنها إستغلت واقعاً قائماً ، ولكنه يعاني من تفكك ، من تجزئة ناجمة عن كون اهتمام الاقطاعيين لا يتعدى حدود ضياعهم ومقاطعاتهم ، **في حين أن إهتمام البورجوازية يشمل حدود وطن اللغة والخصائص النفسية القومية التي تكونت على مر الاف السنين كلها . انها (البورجوازية) تسعى للوصول إلى المستهلك في كل الضياع والمناطق والقرى والمدن ، ولذلك فانها بحاجة لوحدة الوطن وتحريره من الهيمنة الاقطاعية والتجزئة القائمة بسبب سلطتها ...**

وإذن ، فان البورجوازية قد حققت وحدة الامة ولم تخلق الامة نفسها . اي انها (البورجوازية) حققت الامة باعتبارها حقيقة موضوعية مطلقة ، ولكنها (البورجوازية) لم تخلق الامة باعتبارها حقيقة موضوعية نسبية . والفارق ، على ما نعلم ، كبير بين الحقيقتين . ولكن الارتباط بينهما وثيق ايضاً إذ لا يمكن أن توجد الحقيقة المطلقة قبل وجود الحقيقة النسبية .

حين تكون الامة واقعاً مادياً قائماً ولكنه مفكك وغير متين ، بسبب التجزئة الناجمة عن وجود الاقطاعيين ، الذين لا يدركون أهمية وحدة الامة الاقتصادية ، فأن قيام البورجوازية ، بالغاء التجزئة وتحقيق وحدة الامة ، يصبح امراً طبيعياً جداً ، لأنه لا يعدو عن كونه إدراك لحقيقة نسبية قائمة لم يستطع الاقطاعيون إدراكها . **ولكن حين يجنح بنا الخيال إلى الوهم بان الامة هي إحدى الحقائق التي إبتكرتها او فذلكتها البورجوازية ، فاننا نبتعد عن الموضوعية والعلمية . انه لامر مؤسف حقاً ، أن لا تحظى مسالة نشوء الامم وتكونها بالاهتمام الذي تستحقه من لدن الشيوعيين ، بما فيهم ستالين نفسه ...**

abou-adnan.org

إننا لا نستطيع ، نكران وجود ، إنسان ما ، لمجرد انه يعاني من عدم إكتمال تطوره . لذلك فإن أقصى ما نستطيع قوله بالنسبة للانسان البدائي القديم أن نصفه بأنه « إنسان غابة » ، ولكن ليس بوسعنا أن ننكر وجوده رغم تخلفه وعدم إكتمال إنسانيته . والحال نفسها بالنسبة للامة . **كانت موجودة بحكم وجود عواملها ، ولكنها تبلورت ، على يد البورجوازية وتطورت بفضل حركتها القومية ...**

إن الامة « مفهوم » يعكس واقعاً مادياً ، ولا يمكن ان يتبلور تماماً قبل ان يستكمل اساسه المادي نضجه . وهنا نجابه بسؤال من الذي يتكون اولاً « المفهوم » أم « اساسه المادي » ؟ . وإذا كان إنعكاس الصورة في المرآة يتاتى من وجود المادة المصورة اولا ، فان مفهوم الامة يشترط توفر عوامل وجود الامة قبل شيوعه (المفهوم) واستعماله لان الناس لا يستطيعون التحدث عن شيء يتعلق بحياتهم ما لم يلمسونه . وبما ان التعبير عما نلمسه يتوقف من حيث الدقة والكمال على قدراتنا وحجم المامنا بما نلمسه ، فان إستعمالنا لمفهوم ما لا يعني بالضرورة اننا ندرك تماماً حدود الصواب والخطا فيه . ولذلك فإن تاكيد صحة او عدم صحة « المفهوم » كليا او جزئيا مسالة تقررها تطورات الواقع المادي اللاحقة ...

فإذا كانت « الامة » باعتبارها واقعاً مادياً تتكون قبل شيوع مفهومها ، فإن تكون عوامل وجود الأمم والحالة هذه ، يرجع الى اعماق التاريخ ، ومما حصل في عهد ظهور الراسمالية في اواخر العصر الاقطاعي لا يعدو عن كونه حصيلة ونتيجة لنشوء وتكون وتطور عوامل وجود الامم (اللغة والارض والاقتصاد والخصائص الثقافية والنفسية) . الم يكن العامل الاقتصادي وراء تكون اللغة ومفهوم « الوطن » ووحدة الثقافة والخصائص النفسية ؟

إن اللغة والوطن ، مفاهيم لا يمكن ان تتبلور بذهن الانسان ما لم ترتبط بحياته الاجتماعية الخاصة . والانسان منذ إستبدل الشجرة بالكهف والمسكن ، بدا يحس بمعنى الوطن الذي لم يكن يعني بذهنه غير داره التي يسكنها ، والتي تضمه إلى جانب متطلبات حياته

abou-adnan.org

المادية ، ويوم تبلور كيان العشيرة وفيما بعد القبيلة ، الاجتماعي ، فان فكرة او مفهوم الوطن هو الآخر تطور بذهن الانسان ايضاً ، إذ كان مجرد كهف وحزمة حطب ونار وبعض الماكولات البدائية ، وأصبح مسكناً واقرباء وتقاليد وملكية جماعية للارض والغلات وما شابه . الا نلحظ العامل الاقتصادي في تطور مفهومي اللغة والارض ـ الوطن لدي الانسان في العهد المشاعي ؟

إذا كنا لا نستطيع الهروب من التسليم بدور العامل الاقتصادي الفعال ، في ذلك العهد البعيد جداً ، فالأحرى بنا أن نسلم بدور هذا العامل الاقتصادي في كل أشكال الدولة الاقطاعية المركزية التي ظهرت في العهد الاقطاعي ، خاصة في القرون الوسطى ، وهنا نلحظ ظاهرة هامة ، تبلورت في تلك العهود ، تعني ظاهرة نشوء الامبراطوريات . ففيها نلحظ دمج الاوطان والغاء الحدود الجغرافية ، ولكن الحدود التي رسمتها اللغات والخصائص النفسية القومية كانت اكثر ثباتاً واقوى على المقاومة ولعبت دوراً كبيراً في إنهيار امبراطوريات ذلك الزمان .

فإذا كان بالامكان الغاء حدود الوطن بقوة القرارات السياسية أو العسكرية ، فإن الغاء حدود اللغات والخصائص النفسية والثقافية ، يتطلب زمناً طويلاً مهما كانت قسوة العوامل الخارجية ومهما بلغت قوة القرارات السياسية والعسكرية . هنا نلحظ بوضوح العلاقة الجدلية ، أي التأثير المتبادل بين العامل الاقتصادي وعاملي اللغة والخصائص النفسية . فرغم أن الغاء الحدود الجغرافية القديمة للدول وإنشاء حدود جديدة أوسع ، يلغي عاملي الارض والاقتصاد القديمين وينشىء عاملين جديدين بدلهما . فان اللغات والخصائص تبقى ضمن حدودها الضيقة السابقة لفترة طويلة . هذه حقيقة واضحة امام انظارنا ، وبوسعنا أن نكتفي بوضع الجزائر التي بقيت تحت سلطة الاستيطان الفرنسي طيلة مئة وثلاثين سنة ، ومع ذلك بقيت الاجيال المتعاقبة تحتفظ بلغة القرآن وبخصائصها النفسية والثقافية حتى بعد ضعف اللغة العربية وانحسارها وحلول اللغة الفرنسية مكانها ، بقاء ادى إلى تحرر الجزائر وعودتها إلى عروبتها . فما هو التفسير المادي لدور العامل الاقتصادي الذي خلقه الاستعمار الفرنسي ، وهل كان

abou-adnan.org

يعمل لصالح دمج الجزائر مع فرنسا أم انه كان اسير تأثير عاملي اللغة والخصائص النفسية والثقافية ؟ وأيهما كان الاصوب : العرب الجزائريون الذين قاوموا الاستعمار الاستيطاني الفرنسي وهزموه ، أم الحزب الشيوعي الذي اعتبر الجزائر جزءاً من فرنسا إنطلاقاً من كونها ترتبط بوحدة السوق الاقتصادية معها ؟

لا يجادل مادي ديالكتيكي ، في دور العامل الاقتصادي في تكوين الامم ، ولكن عندما ينتقل الحديث لدور العامل الاقتصادي البضاعي الراسمالي ، فأن هذه المسلمة لا تكفي، ولا يعود التسليم بها قادراً على تغطية كل جوانب الموضوع !

ثم الا يدل وجود الامبراطوريات على وجود امم قوية تمكنت من فرض هيمنتها على أمم وشعوب ضعيفة ؟

يقول ستالين :

« الامة تتألف نتاجاً لاجتماع طويل ومنتظم وللحياة المشتركة من الناس ، حياة تمتد من جيل إلى جيل ... »[٢٢] .

يتضح من هذا الكلام ، رغم رداءة الترجمة ، تعبيراً متسرعاً ، إذ كان يجب عليه أن يقول : « ... حياة تمتد من عصر إلى عصر ... » بدلاً من « ... جيل إلى جيل ... » ، لأن الامم باعتبارها حقائق نسبية لم تتألف في الاجيال الراسمالية فقط وإنما تألفت في العصور السابقة للعصر الراسمالي ، ولكنها لم تتبلور بشكلها الحالي إلا في العصر الراسمالي . إذ كانت امم إقطاعية ، فلاحية ، ثم اصبحت امم راسمالية واشتراكية تمهيدا لاندماجها في الحياة الشيوعية المشتركة للبشرية باسرها .

إن صيرورة الامة ، ليست بمثل السهولة التي تصورها ستالين . وإذا سلمنا بان « الامة تتألف نتاجاً لاجتماع طويل ومنتظم ، وللحياة المشتركة من الناس ... » باعتبار ان هذه هي طبيعة كل نشوء وصيرورة البذرة ، عندما تتوفر لها ظروف ملائمة تنغرس وتتحول إلى نبتة . والنطفة هي الاخرى ، كالبذرة ، عندما تتوفر لها ظروف نشوء صيرورة ملائمة .

abou-adnan.org

تغدو جنينا ، وكلاهما (البذرة والجنين) يحتاجان إلى وقت طويل ونمو منتظم ، كي يفصحان عن طابعهما ، فتصبح النبة زهرة ثم ثمرة ، ويصبح الجنين طفلا ، ثم إنسانا واعيا !...

هذا هو المسار الطبيعي لكل نشوء وصيرورة . ولكن رغم أن الفرق الزمني بين صيرورة وأخرى ، مسألة نسبية ، فإن نشوء الأمم وصيرورتها لا تتحقق خلال زمن جيل أو جيلين او ثلاثة اجيال واربعة بل اكثر واكثر ، لأنها تحتاج إلى زمن أطول يقتضيه نشوء وصيرورة عوامل وجودها ... لغتها ... خصائصها النفسية ... تاريخها ...

إذا كانت البورجوازية هي مولدة الأمم ، فهل أن نشوؤها (الأمم) وتكونها مرتبط بنشوء الرأسمالية ومتوقف على تكوينها ؟ وإذا كان الجواب نعم ، باعتبار ان « الامة سوق » حسب ستالين ، فماذا عن العوامل الأخرى السابقة لنشوء البورجوازية وتكونها ؟ ثم إذا كان الاقتصاد الرأسمالي هو العامل الأساسي في تكوين الامم ، افلا يعني ذلك ، خرقاً ، او تجاهلا ، أو طمساً لدور القوى المنتجة ، الطبقات ، الناس ، في تطور البشرية الاجتماعية منذ العهود السابقة حتى العهد الرأسمالي ؟

. لاريب في دور الاقتصاد ، ولكن هل أنه هو الاله الخالق ، لكل الظاهرات الاجتماعية ، أم أن للناس دوراً ، يؤثر في الاقتصاد ويغيره ؟ وإذا سلمنا بأن للقوى المنتجة دور يطغى في مراحل معينة على دور الاقتصاد . فهل يصح إعتباره (الاقتصاد) هو المقرر في كل المراحل ؟

إننا ، نعلم ، أن الاساس المادي ، هو الذي يعكس بناءه الفوقي ، ولكننا نعلم ايضاً ان البناء الفوقي الذي هو مخلوق ووليد الاساس المادي ، يلعب في مراحل معينة دور الخالق للاساس . وهل هناك من يجادل في أن سلطة الطبقة العاملة السياسية هي خالقة اساس مجتمعها المادي ، بحكم كون العلاقات الاشتراكية لا تنشأ في احشاء المجتمع الرأسمالي ، وأن دولة دكتاتورية البروليتاريا ، هي

abou-adnan.org

اداة ذلك الخلق ؟ فما هو تفسير ذلك يا ترى ، وهل ينسجم مع الدور المطلق الذي يعطي للاقتصاد في تكوين الامم ؟ ، كيف يتسنى لدولة العمال والفلاحين وهي بناء فوقي ان تخلق اساسها المادي ؟

إننا نعلم ان الاساس المادي لأي مجتمع يتالف من وحدة قوى الانتاج وعلاقات الانتاج ، اي من اسلوب الانتاج . ونعلم ايضاً ان العلاقات الانتاجية هي التي تؤلف بنية المجتمع الاقتصادية ، وان تخلف هذه العلاقات يدخلها في تناقض تناحري مع القوى المنتجة ، وان الغلبة محتومة لقوى الانتاج في هذه المعركة ، طال الزمن ام قصر . ومعلوم ان اهم عناصر هذه القوى ، يتمثل بالبشر ، بالناس ، فكيف تتغلب القوى المنتجة (الناس) على الاقتصاد (علاقات الانتاج) ؟

ولو أن البنية الاقتصادية أي العامل الاقتصادي ، هي العامل الأول والأساسي ، في كل آن ومكان ، للظاهرات الاجتماعية ، لتعذر التغيير ، واستحالت الثورة ، ولكان الكلام عن الاشتراكية والشيوعية ، لغو لا طائل من ورائه .

وإذن ، كيف يجب أن نفهم دور العامل الاقتصادي البضاعي الراسمالي في التطور الاجتماعي التاريخي ؟

« أن الظواهر الاجتماعية المختلفة لا توجد من تلقاء ذاتها . فالاقتصاد أو اللغة ، التكنيك أو الفن ، الاسرة أو الاخلاق ، ليست إلا جوانب متفرقة أو مظاهر مختلفة لحياة الناس الاجتماعية . أن الناس انفسهم هم الذين يخلقون العلاقات الاقتصادية ، وهم مبدعو وناشرو اللغة ... الخ »[٥٣] .

ولكن كل ظاهرة إجتماعية تاريخية هي نتيجة وسبب في آن معاً ، وعلى سبيل المثال فأن ظاهرة تخلف علاقات الانتاج تلعب دور العامل المسبب في إعاقة تطور القوى المنتجة وتخلفها . ومرد ذلك أن الظواهر التاريخية مترابطة مع بعضها البعض ، بحيث تتبادل التأثير فيما بينها ، تبادلاً يجعل كلا منها نتيجة وسبباً في الوقت نفسه .

abou-adnan.org

ثورية لأن الجدل ثوري بطبيعته. ويكفي أن ندرك أن محاولات المستعمرين لألغاء لغات الأمم المستضعفة غالباً ما تبوء بالفشل . وان الفضل في ذلك يعود إلى مقاومة عوامل وجود الأمة الأخرى وخاصة الخصائص الثقافية والنفسية . والأمر نفسه يمكن أن يقال بالنسبة لمحاولات الاغتصاب والغاء عامل الوطن ... الخ

أما أن ستالين يجهل كيفية ظهور المقولات والمفاهيم الفلسفية، وأما أنه غير مطلع على التاريخ بما فيه الكفاية ، وغير ملم بكون مفهوم الأمة ، وارد بنصوص الانجيل والقرآن (وربما التوراة أيضاً) اللذين هما مرجعان ثابتان لا يمكن التلاعب بألفاظهما، من حيث انهما يسجلان وقائع وقوانين الشريعتين المسيحية والاسلامية ، ولدى الرجوع إلى القرآن وتفاسيره التي ترجع إلى أواخر النصف الأول من القرن الهجري الثاني ، نلحظ أن مفاهيم شعوب وقبائل ، وملأ (اشراف القوم ، السادة) والقوم (الجماعة ، أو الأقرباء) ، والأمة (الجماعة من الناس الذين يدينون بمبدأ واحد) ، تستعمل بشكل اعتيادي وبدون تفسير أو شرح لمعناها . مما يدل على أنها كانت معروفة ولا تحتاج إلى تفسير . وقد ورد مفهوم (قوم) في الانجيل مرات عديدة ، أما في القرآن فقد بلغ استعماله أكثر من ثلثمائة مرة[٥١] ...

ج ـ عوامل وجهود تكون الامم نشأت في اعماق التاريخ ، قبل العصر الرأسمالي :

مثله ، مثل كل المفاهيم ، فقد كان مفهوم الأمة غير محدود تماما كما تحدد على يد البورجوازية ابان عهدها الرأسمالي ، وكان يستعمل ، غالبا ، للدلالة على جماعة من الناس تدين بمبدأ واحد ، وقد كثر استعماله من قبل المسيح ومحمد ، ليدل على اعتبار اليهودية والمسيحية والاسلام « أمم » بعثها الله الى الوجود « وكنتم خير امة اخرجت للناس » ...

ولا غرو في ذلك ، فالمثالية كانت تغمر كل المفاهيم ، وقد عاشت البشرية عمرها السابق لظهور المادية الديالكتيكية ، كله وهي منغمسة في المثالية ، ولم يوضع مفهومي « المادة » و « الوعي » ، في وضعهما الصحيح

abou-ad.org

إن القوى المنتجة هي التي تصنع علاقات إنتاجها كي تشكل أساساً ، قاعدة ، لكيانها الاجتماعي ، بيد انها (القوى المنتجة) تجد نفسها ، فيما بعد ، مضطرة للنضال ضد علاقات الانتاج التي صنعتها ، عندما تتحول هذه العلاقات إلى عوائق تعيق تقدمها . هنا نلحظ ، قانوناً تفرضه الحياة ، يتعلق بحدود قدرات القوى المنتجة ، تجاه مصنوعاتها (علاقات الانتاج) ، انها (القوى المنتجة) ، علة علل التطور الاجتماعي ، وهي صانعة العلاقات ، ولكنها ليست مطلقة القدرة والتحكم بمصنوعاتها . أما سبب ذلك فيرجع إلى أن الناس ، لا ينتجون العلاقات فيما بينهم بوعي تام ومسبق منهم ، وإنما تقودهم ضرورات الحياة الاجتماعية ومتطلبات تطورها إلى ذلك ، وعندما يصنعون العلاقات الملائمة لتطور حياتهم ، سرعان ما يصبحون أسرى هذه العلاقات وقوانين تطورها الموضوعية ، فتتحول غفلتهم ، انسياقهم مع مجرى تطور حياتهم الاجتماعية ـ الاقتصادية ، إلى وعي محدد للحالة التي يعيشونها ، وتحت تأثير وطأة ظروفهم الاجتماعية الجديدة ، يجدون انفسهم منساقين من جديد إلى النضال من أجل تجديد هذه العلاقات كي تلائم الحالة ، الوضعية الجديدة ، درجة التطور التي بلغتها قواهم المنتجة .

يتضح مما تقدم جواب محدد على سؤالنا :

« كيف يجب أن نفهم دور العامل الاقتصادي البضاعي الرأسمالي في التطور الاجتماعي التاريخي » ؟ .

إن الاقتصاد البضاعي الرأسمالي يتقدم على كل العوامل الأخرى في بلورة تكون الأمم البورجوازية ، ولكنه يلعب دوره فقط من خلال العلاقة الجدلية اي التأثير المتبادل مع العوامل الأخرى التي تسبقه بالنشوء والصيرورة . وبدون توفر عوامل اللغة والوطن والخصائص النفسية والمدى التاريخي الكافي لصيرورة هذه العوامل ، فإن عامل الاقتصاد البضاعي الرأسمالي ، اي عامل وحدة السوق الرأسمالية لا يمكن أن يلعب دوره الأساسي في بلورة مفهوم الأمة وتحديد مضمونه بالدقة المطلوبة ...

إن الكلام عن عامل الاقتصاد البضاعي الرأسمالي يقودنا إلى السؤال التالي :

abou-adnan.org

ايهما السبب وايهما النتيجة : « وحدة السوق » ام « البورجوازية » ؟

إذا تسرعنا ، كما هو شأن ستالين وبليتزر وبقية الماديين التاريخيين ، من شاكلتهما وطرازهما فسنكرر الجواب المعروف سلفاً : البورجوازية هي التي خلقت « وحدة السوق » . ومع أنه جواب صائب ولكنه متسرع . ويحتاج إلى إيضاح يجيب على سؤال آخر ، وهذا السؤال هو : **من أوحى بفكرة ، مفهوم ، وحدة السوق لدى البورجوازية ، كي تندفع لصنعها ؟**

معلوم أن أحدى السمات التقدمية التي جاء بها الاقطاع ، قد تجلت في الحرية النسبية التي وفرها للفلاحين الاقنان ، بالقياس لوضعهم في العهد العبودي (الحديث عن التطور الاوروبي) . ومعلوم ايضاً ، أن الفلاح القن ، بعد أن إستوعب حدود حريته ، بدأ يدرك عدم كفايتها ، بداية دفعته إلى أن يبحث عن مخرج لوضعه ، بيد أن إرتباطه بالأرض واعتماده عليها باعتبارها وسيلته الأساسية للحصول على متطلبات إستمرار حياته ومستلزمات عيشه ، جعلته عاجزاً عن تحرير نفسه رغم شعوره بضرورة ذلك ، ولكن الأمر كان مختلفاً بالنسبة للحرفي ، إذ أن شعوره بالاستغلال والاضطهاد وعدم كفاية الحرية المتوفرة له في ظل الاقطاعي ، دفعه للتحرر من تبعيته للاقطاعي وانفصاله عنه ، وقد مكنه وضعه الاقتصادي وعدم إرتباطه بالأرض كما هو شأن الفلاح القن ، من أن يرى بوضوح أن إنفصاله عن الاقطاعي لا يمكنه من التمتع بحرية أوسع فحسب ، وإنما يتيح له تطوير حرفته وتحسين أوضاعه أيضاً ، ولذلك تمكن بوسائل متعددة من تحقيق إنفصاله (الهروب ، أو دفع فدية للاقطاعي) ، والتحاقه بالمدينة ومباشرته إنتاج بضائع للبيع في السوق . وكان هذا التطور إحدى نتائج إنفصال الحرفة (الصناعة) عن الزراعة . فبهذا التقسيم الاجتماعي الجديد للعمل وجد الحرفيون أنفسهم أمام ضرورة تطوير منتجاتهم ، فانشأوا المانيفكتورات ، وبذلك تجمعت خبراتهم ومعارفهم ورؤوس أموالهم بشكل مستقل عن هيمنة الاقطاعيين ولكن ذلك التقسيم الاجتماعي للعمل والتطور الذي تجسم بظهور المانيفكتورة قد جعل الحرفيين

abou-adnan.org

(البورجوازيين) يعانون من القيود التي تفرضها سلطات الاقطاعيين المتعددة في الوطن الواحد ، فرضاً يحول بين البضاعة والمستهلك (الفلاح) ...

هكذا ، إذن ، ادى تطور الحرف الصناعية إلى إكتشاف وبلورة الحاجة إلى ضرورة إزالة العلاقات الاقطاعية ، وتوحيد السوق الراسمالية كي تتوفر الحرية لتبادل البضائع وتزول الموانع التي كان الاقطاعيون يضعونها بين البضاعة والفلاح المستهلك ...

وإذن ، فان الاقطاعي ، قد فقد تقدميته بعد ان تطورت الأوضاع الاجتماعية ـ الاقتصادية التي صنعها هو ، وسقط صريع مصنوعاته ...

وإن بحث الحرفيين عن حريتهم قد قادهم إلى البحث عن حرية تبادل منتجاتهم ، وإن نضالهم في سبيل حرية تبادل منتجاتهم قد إرتبط بحكم الضرورة بتحرر الفلاحين الاقنان من تبعيتهم للاقطاعيين وبالتالي ارتبط التطور الراسمالي كله بضرورة القضاء على الاقطاعيين الذين لم يكونوا قادرين على التعبير عن مشاعر الذين يشاركونهم وحدة اللغة والوطن والخصائص النفسية والثقافية ، بحكم ضيق افق مصلحتهم الاقتصادية (الضيعة او المقاطعة).

لقد كان الاقطاعي في فرنسا مثلاً يعرف أنه فرنسي ويتحدث باللغة الفرنسية ويشعر بأمته الفرنسية ويعتز بها . ولكنه غير قادر على إدراك اهمية وضرورة وحدة السوق الفرنسية لتقدم الأمة الفرنسية وتطورها ، بحكم تعارضها مع مصلحته الاقتصادية والاجتماعية ، وهذا ما يفسر ، لماذا رفض الاقطاعيون وحدة الأمة ، عندما بلورتها البورجوازية ، وحددتها بوحدة السوق وإحلال سلطتها الطبقية محل سلطة الاقطاعية ! ..

مما تقدم ، يصبح واضحاً ، أن العامل الاقتصادي ، كان واحداً من عوامل التطور الاجتماعي الهامة ، بمعناه الواسع ، وأن البورجوازية ما كان بوسعها ، أن تهتدي لفكرة وحدة السوق والأمة ، وقد كانتا موجودتين ، لولا مصلحتها الاقتصادية ـ الاجتماعية التي

abou-adnan.org

بلورها التطور التاريخي ، والتي بلورت ، بدورها وعي البورجوازية وجسدته بحركتها القومية التي هي في جوهرها عبارة عن وعي الطبقة البورجوازية لوجود الأمة الاجتماعي ـ الاقتصادي ، والثقافي والجغرافي (الوطن) والتاريخي .

يتبين ، مما تقدم أن العامل الاقتصادي لم يلعب دوره في فراغ وإنما من خلال حركة الجدل والتأثير المتبادل بينه وبين العوامل الاخرى ، التي كانت وما تزال تتطور ضمن حدود لغتها الواحدة ووطنها الموحد وخصائصها الثقافية والنفسية ، وان بلوغ التطور الاجتماعي ـ الاقتصادي مرحلة الامم البورجوازية مسالة لم تكن صدفة ، او حدثاً عابراً او فذلكة بورجوازية ، وإنما هي نتيجة حتمية إقتضتها وقررتها طبيعة التطور الاجتماعي ـ الاقتصادي والثقافي للبشرية جمعاء ، وليس إعتباطاً أن نلحظ تسارع التقدم لدى الشعوب التي حققت وحدتها القومية ، وبطئه الشديد لدى الشعوب التي عجزت عن تحقيق مثل هذه الوحدة .

إننا ، لنتساءل :

إذا كانت البورجوازية هي التي خلقت وحدة السوق ، أي العامل الاقتصادي البضاعي الرأسمالي وبالتالي هي التي خلقت الأمة ، وإن الأمة قد ارتبطت بها ، فلماذا لا تزول الأمة بمجرد زوال البورجوازية أي لماذا لا تزول الأمة بالسرعة نفسها التي تزول بها البرجوازية ؟

لقد تمكنت الطبقة العاملة في البلدان الاشتراكية من إسقاط البورجوازية ، والغت اقتصادها وايديولوجيتها وثقافتها وخصائصها النفسية ، وأحلت محلها سلطة الشيوعيين واقتصاد الاشتراكية العلمية والايديولوجية الشيوعية ، ومع ذلك فإن الأوطان بحدودها الجغرافية واللغوية والثقافية ، وكل الخصائص القومية ما تزال موجودة ومزدهرة ، رغم أن المعضلات القومية قد وجدت حلها على يد الطبقة العاملة وسلطتها الشيوعية ، فما هو تفسير هذه الحقيقة ؟

ايمكن القول ، أن تقرير المصير الذي تمتعت به الأمم والشعوب ،

abou-adnan.org

بفضل الشيوعية العلمية ، قد تحقق بسبب عجز الشيوعيين عن كبح جماح حركة القوميات ، وإن ظاهرة ازدهار الأمم والشعوب وقومياتها ، قد فرضت نفسها عليهم كما حدث للاقطاعيين يوم رضخوا للامر الواقع الذي فرضه الحرفيون - (البورجوازيون) ؟

ابداً ، وإنما المسألة ، تتجلى بكل بساطة في وعي الشيوعيين العلمي ، بأن بلوغ التطور مرحلة الأمم ، دليل تطور وتقدم ، ولذلك فإن إسقاط البورجوازية لا يعني ولا يمكن أن يعني إسقاط الأمة ، وإنما يعني تغيير مضمونها ، بحيث تحل الأمم الاشتراكية محل الأمم البورجوازية ، ومثلما لم يعن سقوط العصر الاقطاعي ، سقوط الزراعة أو الريف الزراعي ، وإنما عنى تغيير مضمونه ، فإن سقوط البورجوازية يجب أن يؤدي إلى تغيير مضمون الأمة تمهيداً لتوفير التماثل الاجتماعي - الاقتصادي على صعيد العالم كله ، وبشكل متدرج طبعاً ، بغية خلق الوطن الأممي البديل ولغة البروليتاريا الموحدة ، المعبرة عن وحدة مصلحتها الأممية ، لذلك يجب القول أن الذي خلقته البرجوازية هو المضمون الراسمالي الجديد للأمة وليس الأمة ذاتها . ومثلما يختلف مضمون الأمم الاشتراكية عن مضمون الأمم البرجوازية فإن مضمون الأمم البرجوازية قد اختلف عن مضمون الأمم الاقطاعية ولا غرابة في ذلك ! ..

إن تطور البشرية ، خاصة خلال عصور الانقسام الطبقي (العبودية، الاقطاعية، الراسمالية)، قد تحقق ضمن أطر قومية، تدرجت من القبلية حتى الأممية، ولذلك فإننا لا نتخطى الحقيقة عندما نقول، إن تامل هذا التطور يدعو إلى الادراك ، إن العشيرة ، في العهد المشاعي ، ثم القبيلة في العهد العبودي والأمة في العهد الاقطاعي ، ما هي إلا حلقات ، أو درجات في سلسلة أطر التطور هذه ، التي ما تزال تنتظر إطار الوطن الأممي الأكبر الذي يحتاج إليه تطور البشرية وبلوغها الشيوعية .

إن كل التشكيلات الاجتماعية - الاقتصادية ، لم تتكون منذ عصر العبودية حتى يومنا هذا بما فيها التشكيلة الاجتماعية - الاقتصادية الاشتراكية ، خارج أطر القبلية والأممية. لذلك كان التفاوت في التطور بين

abou-adnan.org

الأمم عامة يشمل العصور الثلاثة الأخيرة بما فيها عصر الاشتراكية نفسها لغاية الشيوعية، وإلى أن يتحقق الوطن الأممي الموحد. إذ لو لم يتخذ التطور هذه الأطر لمساره لما وجدنا التخلف يواكب التقدم ، والفقر يجاور الثروة الفاحشة ، والجوع يرافق التخمة ، والبؤس الصارخ إلى جانب الرفاه الباذخ على سطح كرتنا الأرضية ... لو لم توجد هذه الأطر القومية لكانت البشرية جمعاء ، طبقات عبيد وسادة ، وطبقات فلاحين واقطاعيين وعمال ورأسماليين ولما انحصرت الثورات في أطر المجتمعات القومية ! ..

إذا علمنا بأن أحداً من الناس لم يطرح تشكيلة العشيرة أو القبيلة أو العبودية أو الاقطاعية ، ولم يبشر بها أحد من أناس زمانها (التشكيلات) قبل ظهورها كما هو شأن التشكيلة الشيوعية . وانما وجد الناس أنفسهم في وضع تلك التشكيلات وواقعها الذي فرضه عليهم التطور العفوي ... **إذا علمنا بذلك فسندرك أن البورجوازية لم تخلق الأمة ولم توجدها ، وإنما اكتشفتها فبلورتها بشكلها المطلق . كانت الأمة موجودة ، ومتمثلة بلغتها القومية الواحدة وبوطنها الموحد والمحدد ، وبثقافتها التي حملت خصائصها النفسية وتراثها ، وحضارتها ، وبتاريخها المديد ، وباقتصادها المفكك وغير الممركز . فتساءلت البورجوازية لماذا لا تزيل القيود الاقطاعية ؟ وعندما تحركت اعتمدت على اثارة النعرة القومية الموجودة أصلاً . ولو أن المسألة مسألة خلق قامت به مجموعة من الناس فلماذا تجزأت البشرية إلى أمم متعددة ، لماذا لم يتخذ التطور شكلا آخر ؟ كان تكون أوروبا كلها مثلا أمة واحدة** . أليست الوحدة الاوروبية إحدى المسائل التي كانت وما تزال تشغل بال الاوروبيين ؟ فلماذا لم تنشأ أمة أوروبية واحدة ؟ واضح الجواب . لأن المسألة ليست مسألة رغبة ذاتية ، وإنما هي مسألة تطور اجتماعي متدرج قطعته البشرية منذ أدركت أن شيوعيتها البدائية غير كافية لضمان تطورها فاهتدت إلى طريقها ، وانتقلت من العشيرة إلى القبيلة ثم إلى الأمة ، وجاءت الثورة الصناعية بقيادة البورجوازية لتبلور الأمة باعتبارها افضل إطار مناسب وملائم للتطور الرأسمالي ، واليوم وقد ادركت البشرية اكثر من ذي قبل حاجتها الماسة والملحة إلى تطور افضل ، وإلى

abou-adnan.org

التحرر من شرور الحروب ومخاطر الصراع القومي والطبقي ، فإنها (البشرية) تتجه نحو الشيوعية العلمية التي ستوفر السلم والحرية والعيش الرغيد ، ولكن هذه الكلمات تتطلب كي تتحقق الغاء تاماً للبرجوازية وملكيتها الخاصة ، أولا ، وتتطلب تآخي البشرية وتعاونها في سبيل سلامتها وتقدمها ورفاهيتها ، ثانياً ، ولكن هذه المستلزمات تتطلب بدورها إزالة كل ما يعكر صفو الأمن ، وتقتضي رفعاً لمستوى الانتاج لا تستطيع بلوغه إلا بتضافرها (البشرية) وتوحيدها أي بإلغاء حدودها وتوحيد اقتصادها ، ثالثاً .

يقول انجلز :

« عندما خرجت اوروبا من القرون الوسطى[٥٤] ، أي من العصر الاقطاعي ، كانت الطبقة المتوسطة النامية في المدن تشكل العنصر البشري الثوري في هذه القرون ، فإن الوضع المعترف به الذي كانت هذه الطبقة قد اكتسبته في النظام الاقطاعي في القرون الوسطى ، غدا ضيقاً جداً لقدرتها على التوسع ، وقد أصبح تطور الطبقة الوسطى ـ تطور البورجوازية ، غير متلائم مع النظام الاقطاعي ، ولذا ، كان لا بد أن يسقط النظام الاقطاعي »[٥٥] .

إن كلام انجلز هذا ، يؤكد ما ذهبنا إليه ، من أن التطور هو الذي خلق الظاهرات الاجتماعية ومنها ظاهرة الأمة . عندما نسلم بكون الوضع الذي اكتسبته البورجوازية في النظام الاقطاعي ، قد غدا ضيقاً جداً لقدرتها على التوسع ، وإن تطورها بات يتعارض ويتناقض مع النظام الاقطاعي ، وإن هذه الحقائق برمتها كانت تشغل بال البورجوازية وتهيمن على وعيها الذي قادها إلى الثورة ... **عندما نسلم بهذه الحقائق ، ونعترف بانها كانت في وعي البورجوازية ، فهل بوسعنا الادعاء ان البورجوازية (الحرفيين) كانت واعية لآفاق تطورها اللاحق هذا ، يوم كان الحرفيون لا يفكرون بغير تحررهم من هيمنة الاقطاعيين والنزوح إلى المدن ؟ ثم الم يكن النظام الاقطاعي نفسه ، قائماً على أساس حدود اللغة والوطن والخصائص النفسية والتاريخ رغم وجود الامبراطوريات وهيمنة الامم القوية على الامم الضعيفة ؟**

abou-adnan.org

يقول مؤلفو « عرض اقتصادي تاريخي » في معرض تناولهم لأهمية اللغة ودورها ، في التطور باعتبارها واسطة تبادل الأفكار ، وتوحيد جهود الناس أثناء العمل : « بما أن الناس كانوا يعيشون في الحقبة الأولى من التارخ جماعات صغيرة مغلقة ، فإن لغة كل من هذه الجماعات كانت تتطور من حيث الأساس بصورة مستقلة وتتميز عن لغات الجماعات الأخرى »[٥٦] .

فإذا كانت هذه هي نشأة الأقوام الأولى ، منذ المشاعية ، ألا يتحتم علينا أن ندرك أن تميز لغات الجماعات عن بعضها البعض ، يقضي بالضرورة إلى تميز الخصائص النفسية والثقافية ، أولا ، ثم ألا يفترض هذا الانطواء والتميز اللغوي وبالتالي الثقافي ، وجود أرض - وطن وتاريخ ، ثانياً ، وهل بالوسع الحديث عن تميز لغوي وثقافي وتاريخي في وطن من الأوطان ، بدون اقتصاد ، ثالثاً ؟ .

هذه هي ، اذن ، جوامع ستالين التي تحدث عنها : جامعة اللغة ، وجامعة الأرض ، وجامعة الخصائص النفسية وجامعة الاقتصاد !

فإذا كان الأمر على مثل هذه الشاكلة ، وأن علاقات الانتاج (الاقتصاد) ، معرضة للتغيير باستمرار ، وقد تغيرت مرات ومرات على امتداد التطور التاريخي ، وإذا كانت « الأمة ليست عناصر عرضية سريعة الزوال » . كما هو شأن علاقات الانتاج ، وإنما هي « جامعة ثابتة من الناس » ، وإن عناصر وجودها نشأت مع نشوء الانسان وتطوره ، (لغة ، وطن ، خصائص نفسية ، تاريخ ، اقتصاد) ، فهل يصح القول :

« إن مجرى تصفية الأنظمة الاقطاعية ونمو الرأسمالية هو في الوقت ذاته مجرى يتألف خلاله الناس في أمم »[٥٧] ، أي في أقل من ثلاثة قرون ؟

إن الفترة الزمنية التي يحددها ستالين لنشوء الأمم ليست كافية لخلق عناصر وجود الأمة وعوامل تكوينها وخلقها . لا يمكن خلق لغة قومية خلال مئة او مئتين او ثلثمائة سنة ، وإن حصل وغير قوم من الأقوام لغتهم فإنهم أعجز من أن يخلقوا ثقافة قومية وخصائص نفسية تعكس تاريخهم

abou-adnan.org

وتكرس تراثهم خلال فترة وجيزة كهذه ، لأنهم سيفقدون ماضيهم بمجرد فقدانهم للغتهم وتاريخهم ! ..

ولكن إذا وجد من يجادل حول هذه المسألة ، فإن أحداً لا يستطيع أن يجادل في أن النضال في سبيل الوحدة لأية أمة من الأمم هو نضال في سبيل التقدم والتطور ، وإن الشعوب التي تعجز عن تحقيق وحدتها القومية سوف تبقى متخلفة عن ركب الحضارة العالمية ! ..

٢ ـ تناقض المنطق الستاليني :

ا ـ يستعرض ماركس وانجلز الحالة التي احدثتها ثورة البورجوازية الراسمالية ، استعراضاً يعكس بدقة متناهية الوضع الذي كان سائداً في اوروبا . يهمنا الاطلاع عليه لعلاقته بموضوع بحثنا . يقول معلما الطبقة العاملة :

« لقد لعبت البورجوازية في التاريخ دوراً ثورياً للغاية .

فحيثما استولت البورجوازية على السلطة سحقت تحت أقدامها جميع العلاقات الاقطاعية والبطريركية والعاطفية ، وحطمت دون رأفة الصلات المزخرفة التي كانت في عهد الاقطاعية تربط الانسان « بسادته الطبيعيين » ولم تبق على صلة بين الانسان والانسان إلا صلة المصلحة الجافة والدفع الجاف « نقداً وعداً » ، واغرقت الحمية الدينية وحماسة الفرسان ورقة البورجوازية الصغيرة في مياه الحساب الجليدية المشبعة بالانانية ، وجعلت من الكرامة الشخصية مجرد قيمة تبادل لا اقل ولا اكثر ، وقضت على الحريات الجمة ، المكتسبة والممنوحة ، واحلت محلها حرية التجارة وحدها ، هذه الحرية القاسية التي لا تشفق ولا ترحم . فهي ، بالاختصار ، استعاضت عن الاستثمار المقنع بالاوهام الدينية والسياسية باستثمار مكشوف شائن مباشر فظيع .

وانتزعت البورجوازية عن المهن والاعمال التي كانت تعتبر إلى ذلك العهد محترمة مقدسة ، كل بهائها ورونقها وقداستها ، وادخلت الطبيب ورجل القانون والكاهن والشاعر والعالم في عداد الشغيلة المأجورين في خدمتها .

abou-adnan.org

ومزقت البورجوازية الحجاب العاطفي الذي كان مسدلاً على العلاقات العائلية واحالتها إلى علاقات مالية صرف .

وبينت البورجوازية كيف أن الكسل والخمول في القرون الوسطى كانا التتمة الطبيعية لذلك المظهر الفظ للقوة الجسمانية التي تعجب بها الرجعية أيما اعجاب . والبورجوازية هي أول من أظهر ما يستطيع ابداعه النشاط الانساني ، فقد خلقت عجائب تختلف كل الاختلاف عن اهرامات مصر والاقنية الرومانية والكنائس الغوطية ، وقادت حملات لا تشابه في شيء تنقلات الشعوب والحروب الصليبية .

إن البورجوازية لا تعيش إلا إذا أدخلت تغييرات ثورية مستمرة على أدوات الانتاج ، وبالتالي على علاقات الانتاج ، أي على العلاقات الاجتماعية بأسرها ، وبعكس ذلك ، كانت المحافظة على أسلوب الانتاج القديم ، الشرط الأول لحياة الطبقات الصناعية السالفة . فهذا الانقلاب المتتابع في الانتاج وهذا التزعزع الدائم في كل العلاقات الاجتماعية ، وهذا التحرك المستمر وانعدام الاطمئنان على الدوام ، كل ذلك يميز عهد البورجوازية عن كل العهود السالفة ، فإن كل العلاقات الاجتماعية التقليدية الجامدة وما يحيط بها من مواكب المعتقدات والافكار ، التي كانت قديماً محترمة مقدسة ، تنحل وتندثر . أما التي تحل محلها فتشيخ ويتقادم عهدها قبل أن يتصلب عودها . وكل ما كان تقليدياً ثابتاً يطير ويتبدد كالدخان ، وكل ما كان مقدساً يعامل باحتقار وازدراء ويضطر الناس في النهاية إلى النظر لظروف معيشتهم وعلاقاتهم المتبادلة بأعين يقظة لا تغشاها الأوهام .

وبدافع الحاجة الدائمة إلى أسواق جديدة تنطلق البورجوازية إلى جميع انحاء الكرة الأرضية . فينبغي لها أن تدخل وتتغلغل في كل مكان ، وتوطد دعائمها في كل مكان ، وتقيم الصلات في كل مكان .

وباستثمار السوق العالمية تصبغ البورجوازية الانتاج والاستهلاك في كل الاقطار بصبغة كوسموبوليتية . وتنزع من الصناعة أساسها الوطني ، بين يأس الرجعيين وقنوطهم ، فتنقرض الصناعات الوطنية التقليدية القديمة أو تصبح على وشك أن تنقرض ، وتحل محلها صناعات جديدة

abou-adnan.org

يصبح ادخالها وتعميمها مسالة حيوية لكل الامم المتمدنة ، صناعات لم تعد تستعمل المواد الأولية المحلية بل المواد الأولية الآتية من أبعد مناطق العالم ولا تستهلك منتجاتها في داخل البلاد نفسها ، فحسب ، بل في جميع أنحاء المعمورة . وتتولد ، بدلا من الحاجات القديمة التي كانت تكفيها المنتجات الوطنية ، حاجات جديدة تتطلب لكفايتها منتجات أقصى الاقطار ومختلف المناخات . ومكان الانعزال المحلي والوطني السابق والاكتفاء الذاتي ، **تقوم بين الامم صلات شاملة وتصبح الامم متعلقة بعضها ببعض في كل الميادين** . وما يقال عن الانتاج المادي ينطبق أيضاً على الانتاج الفكري . فثمار النشاط الفكري عند كل امة تصبح ملكاً **مشتركاً لجميع الامم** . ويصبح من المستحيل اكثر فاكثر **على اية امة ان تظل محصورة في افقها الضيق ومكتفية به** . ويتألف من مجموع الاداب القومية والمحلية أدب عالمي .

وتجر البورجوازية إلى تيار المدنية كل الامم ، حتى أشدها همجية ، تبعاً لسرعة تحسين جميع ادوات الانتاج وتسهيل وسائل المواصلات إلى ما لا حد له . فإن رخص منتجاتها هو في يدها بمثابة مدفعية ضخمة تقتحم وتخرق كل ما هنالك من أسوار صينية ، وتنحني امامها رؤوس أشد البرابرة عداء وكرها للاجانب . **وتجبر البورجوازية كل الامم ، تحت طائلة الموت ، ان تقبل الأسلوب البورجوازي في الانتاج وان تدخل إليها المدنية المزعومة ، أي ان تصبح بورجوازية . فهي ، بالاختصار تخلق عالماً على صورتها ومثالها .**

واخضعت البورجوازية الريف للمدينة ، فانشأت المدن الكبرى وزادت سكان المدن زيادة هائلة بالنسبة لسكان الارياف ، وانتزعت بذلك قسماً كبيراً من السكان من بلادة الحياة القروية . وكما انها اخضعت الريف للمدينة ، **كذلك اخضعت البلدان الهمجية ونصف الهمجية للبلدان المتمدنة ، الامم الفلاحية ـ للامم البورجوازية ، الشرق ـ للغرب** .

وتقضي البورجوازية اكثر فاكثر على تبعثر وسائل الانتاج والملكية والسكان . وقد كدست السكان ومركزت وسائل الانتاج وجمعت الملكية في

abou-adnan.org

أيدي أفراد قلائل . وكانت النتيجة المحتومة لهذه التغييرات نشوء التمركز السياسي . **فالمقاطعات المستقلة التي كانت العلاقات بينها تكاد تكون علاقات اتحادية ، والتي كانت لها مصالح وقوانين وحكومات وتعرفات جمركية مختلفة ، إنما جمعت كلها ودمجت في أمة واحدة مع حكومة واحدة ، وقوانين واحدة ، ومصلحة قومية طبقية واحدة ، وراء حاجز جمركي واحد .**

وخلقت البورجوازية ، منذ تسلطها الذي لم يكد يمضي عليه قرن واحد ، قوى منتجة تفوق في عددها وعظمتها كل ما صنعته الأجيال السالفة مجتمعة . فإن اخضاع قوى الطبيعة ، واستخدام الالات وتطبيق الكيمياء في الصناعة والزراعة ، ثم الملاحة البخارية والسكك الحديدية والتلغراف الكهربائي ، وهذه القارات الكاملة التي كانت بوراً فأخصبت ، وهذه الانهار والترع التي أصلحت وراحت البواخر تمخر عبابها ، وهذه الشعوب التي كأنما قذفتها من بطن الأرض قوة سحرية ، ـ أي عصر سالف وأي جيل مضى كان يحلم بأن مثل هذه القوى المنتجة العظيمة كامنة في قلب العمل الاجتماعي !

وهكذا تبين لنا أن وسائل الانتاج والتبادل التي قامت البورجوازية على أساسها ، نشأت داخل المجتمع الاقطاعي ، ثم ، لما بلغت هذه الوسائل حداً معيناً من التقدم والرقي ، لم تعد الظروف التي كان المجتمع الاقطاعي ينتج ويبادل ضمنها ، لم يعد التنظيم الاقطاعي للزراعة والصناعة ، أي بكلمة واحدة ، لم يعد النظام الاقطاعي للملكية يتفق مع القوى المنتجة في ملء تقدمها ، بل أصبح يعرقل الانتاج عوضاً عن تطويره ، ثم تحول إلى قيود تكبله ، وأصبح من الواجب تحطيم هذه القيود ،فحطمت .

وحلت محلها المزاحمة الحرة ، يرافقها نظام اجتماعي وسياسي يناسبها ، وقامت معها السيطرة الاقتصادية والسياسية للطبقة البورجوازية »[٢٨] .

ب ـ حين نطالع أول سطر في هذا النص الطويل ، ندرك فوراً ، أن ستالين في بحثه ، الماركسية والقضية القومية ، كان مناضلا ، باحثاً .

abou-adnan.org

أوروبياً ، لم يصبح بعد لينينيا . لماذا ؟

لأن الدور الذي يتحدث عنه ويصوره أدق تصوير البيان الشيوعي ، للبورجوازية الأوروبية التي قادت الثورة الراسمالية ، دور مفقود في بلداننا ، لم تشهده سابقاً ولن تشهده حاضراً أو مستقبلا . ولكي لا نتعسف بحق بورجوازية بلداننا ، ولا نطمس حقها ، بل وإذا أردنا المبالغة في دورها ، فلن نستطيع التفوه أو الاشارة لأكثر من نصف عبارة معلمي الطبقة العاملة ، الواردة في السطر الأول فقط ، إذ يمكننا مع تجاوز بعض الحقيقة القول : « **أن بورجوازية بلداننا لعبت في تاريخنا المعاصر دوراً ثورياً محدوداً للغاية** » ، بدلا من القول الوارد في السطر الأول من هذا النص الطويل الذي هو جزء يسير من البيان الشيوعي المنصب بمجمله على دور الطبقة البورجوازية الاوروبية ! ..

اين وفي اي بلد من بلدان القارات الثلاث يا رفيق ستالين ، لعبت البورجوازية ، دوراً ثورياً للغاية » ؟

اين وفي اي بلد من بلدان القارات الثلاث ، يا رفيق ستالين ، « ... سحقت - البورجوازية - تحت اقدامها جميع العلاقات الاقطاعية والبطريركية والعاطفية ، وحطمت دون رافة الصلات المزخرفة التي كانت في عهد الاقطاعية تربط الانسان بسادته الطبيعيين .. » ؟

بل ، واكثر من ذلك يا رفيق ستالين ، هل لعبت بورجوازية روسيا ، مثل هذا الدور الذي لعبته البورجوازية المشار اليها في البيان الشيوعي ؟

اذن ، هناك اوضاع مختلفة ، اهملها بحث الرفيق ستالين ، اكيد ليس لغرض محدد وانما لقصور في الوعي والثقافة وعدم المام في موضوع البحث الذي تصدى له !

اذا كان ستالين قد طالع البيان الشيوعي قبل اصدار كراسه آنف الذكر ، فانه ، على ما يبدو لم ينتبه ، أو لم يعرف مغزى اشارة ماركس وانجلز الى اهرامات مصر والاقنية الرومانية والكنائس الغوطية والحروب الصليبية . **إن هذه الاشارة وان كانت موجزة وغير شاملة لسد مآرب**

abou-adnan.org

وقنوات الري في عمان ومناطق اليمن ومسلة حمورابي التي حملت شرعته وقوانينه ، وكانت اول قوانين في العالم ، وجنائن نبوخذ نصر المعلقة والحروب التي قادها العرب المسلمون تحت شعار « وانزلناه حكما عربيا » ، والتي مكنت طارق بن زياد في ان يقتحم اسبانيا بعد ان احرق السفن وخطب بجنده : « البحر من ورائكم والعدو من امامكم ، وليس لديكم فرصة للنجاة الا بالانتصار على عدوكم » ، والتي جعلت حكام الصين الجبابرة يرتعدون خوفا من نبأ حمل اليهم ما قاله القائد العربي : « قسما لأطان ترابهم واذلن رقابهم » ، فحضروا إليه ومعهم حمل بغل من تراب وطنهم فرشوه على الارض كي يطاه القائد العربي ، وطاطاوا رؤوسهم مستغيثين : « سيدنا هذا ترابنا تحت قدميك وهذه رقابنا ذليلة تحت سيفك ، تنفيذا لقسمك ونحن على استعداد لدفع الجزية التي تقررها ، وليس لنا سوى طلب وحيد : وهو أن لا تدع الجيوش الاسلامية تدخل الصين ، فإن تفضلتم بتلبيته فسنكون لك من الشاكرين ....»

ومع انها (اشارة ماركس وانجلس) غير شاملة ، فإنها كافية للتدليل على ان السلطة السياسية المركزية التي اقامتها البورجوازية الأوروبية الثائرة ، لا تقل قسوة واستبدادا عن قسوة تلك السلطات المركزية التي اقامتها طبقات اسلوب الانتاج الاسيوي ، في قاراتنا ...

يبدو ان الرفيق ستالين لم يدرك ان السلطة السياسية المركزية الاستبدادية ، التي شهدتها اوروبا على يد البورجوازية والتي وحدت سوقها ووطنها ، قد عاشتها مناطقنا منذ عصور العبودية مروا بالاقطاعية التي جاء الاستعمار ليكرسها ويكرس تخلفنا الذي ورثناه من السلطات الاستبدادية معها .

غير أن الامر الاهم الذي لم ينتبه له الرفيق ستالين ، يتجلى في كون البيان الشيوعي يعترف بوجود أمم غير بورجوازية . دعونا نعيد مطالعة العبارات التالية :

« وتجر البورجوازية الى تيار المدنية كل الأمم ، حتى اشدها

abou-adnan.org

همجية ... وتجبر البورجوازية كل الامم ، تحت طائلة الموت ، أن تقبل الاسلوب البورجوازي في الانتاج ، وان تدخل اليها المدنية المزعومة ، اي ان تصبح بورجوازية ... تخلق عالما على صورتها ومثالها ... اخضعت ... الامم الفلاحية للامم البورجوازية ، الشرق (اي الأمم الفلاحية المتخلفة) للغرب (اي الأمم البورجوازية المتقدمة)...

الا تتناقض هذه النصوص مع تعريف ستالين الذي يعتبر مرحلة تصفية الانظمة الاقطاعية ونمو الراسمالية المجرى أو الحد التاريخي لتشكيل الامم ؟

إن قراءتنا للبيان الشيوعي توضح لنا أن الامم موجودة قبل ظهور الحركة القومية البرجوازية الصناعية الراسمالية الحديثة ، الامر الذي يؤكد خطأ القول أن البورجوازية هي التي خلقت الامة .

ج ـ ولكن لماذا نذهب بعيدا ، الى البيان الشيوعي ، الذي يحتمل أن يكون ستالين لم يطالعه قبل اصدار كتابه ، دعونا نتأمل تعابيره هو نفسه ، وحين نطالع اعترافه بوجود امم نصف اقطاعية وامم اقطاعية انتقلت الى مرحلة الراسمالية ، افلا نقتنع بأن الرفيق ستالين يخلط بين مفهوم « القوم » اي الشعب وبين مفهوم « الحركة القومية » اي حركة الأمة البورجوازية التي تجسد وعيها لوجودها لتاريخها الاجتماعي ـ الاقتصادي والوطني والثقافي . فهو تارة يدعي ان القومية سابقة للامة ، وتارة اخرى يؤكد على أن الحركة القومية « هي في جوهرها حركة بورجوازية »!..

إن قوله التالي يكشف ، حالة التخبط التي وقع بها : « ... إن القوميات المدفوعة الى الخلف لم تجد الوقت الكافي لتتوطد اقتصاديا في امم كاملة التكوين »[٥٩] ، اي انها كانت امما ولكن تكوينها غير متكامل .

هنا يعترف ستالين بوجود قوميات سابقة لوجود الراسمالية ، وانها (القوميات) لم تبلغ كامل تكوينها الأممي « بسبب ضعف تطور الراسمالية » اي بسبب ضعف العامل الاقتصادي البضاعي الراسمالي . ولكن هل يعني ضعف العامل الاقتصادي الراسمالي غير ضعف الطبقة البورجوازية ، وحركتها القومية ؟ ابدا ، لأن ستالين نفسه يسجل ايضا ان

abou-adnan.org

الحركة القومية ، هي في جوهرها حركة بورجوازية مرتبطة ارتباطا طبيعيا بمصير البورجوازية ، لذلك فإن زوال الحركة القومية ، زوالا نهائيا لا يمكن أن يتم إلا في حال زوال البورجوازية ...»[٦٠]؟

إن المعنى الأوضح لهذه الحقائق التي سجلها ستالين دون أن يستخلص معانيها ، يتجلى في أن الامم كانت موجودة ، ولكنها امم غير بورجوازية ... امم ضعيفة ... امم اقطاعية ... امم فلاحية ، وإن وجود الأمم المفككة والمجزأة ، التي نشأت البورجوازية وتطورت في احشائها ، قد مكن البورجوازية من ادراك امكانية بلورة وجود تلك الأمم القائمة ، ولكنها ضعيفة ، وتحويلها إلى امم بورجوازية عصرية قوية ...

ولعل ستالين لم يدرك ، انه عبر عن واقع الامم القائل قبل الرأسمالية، حين اضطر للاشارة إلى المرحلة الاقطاعية . فهو يقول : « ... علينا ان نقول الشيء نفسه عن الأمم الاخرى التي اجتازت المرحلة الاقطاعية الى المرحلة الرأسمالية»[٦١] .

واذن ، فإن الامم الاقطاعية ، امم اللغات والأوطان والتاريخ والخصائص النفسية التي تتجلى في الثقافة ، والاقتصاد المجزأ قد انتقلت الى المرحلة الرأسمالية ، وانطبعت بطابع البورجوازية .

اما السؤال الذي لم يجب عليه ستالين ، فهو التالي : هل إن زوال الحركة القومية ، زوالا نهائيا ، نتيجة زوال البورجوازية ، يعني زوال الامة ايضا ؟

وإذا كان الجواب نفيا قاطعا ، فكيف يصح القول عن زوال نهائي لحركة الامة القومية ، ما دام الأساس المادي (الأمة) ما يزال قائما ؟

إن تعبير ستالين : « ... زوالا نهائيا ...» يدعو الى التساؤل : لماذا ، اذن ، دافع هو عن الوطن الاشتراكي ، وعن اية امة دافع ، وما إذا كان دفاعه عملا قوميا ، بالمعنى البروليتاري للكلمة أم لا ؟

عندما يكون ، للوطن معنى بروليتاري (حسب البيان الشيوعي) ،

abou-adnan.org

فلا بد أن يكون لحركة الأمة ، معنى بروليتاري ايضا ، كي تتمكن الطبقة العاملة من الحفاظ على امتها الاشتراكية ، ومن تطويرها ودفعها باتجاه التضامن البروليتاري الاممي ...

إن نظرية ستالين ، قد لعبت دورها السلبي في موقف الحركة الشيوعية العربية ، التي نشأت على اساس ادارة الظهر للقضايا القومية العربية . وليس صدفة اطلاقا أن تجد النظرة الاوروبية طريقها الى عقول واذهان قيادات الاحزاب الشيوعية العربية ، فلولا الفراغ ، نتيجة عملية غسل الادمغة التي ادتها النظرة الستالينية ، لما وجدت النظرة الاوروبية طريقها الى احزابنا الشيوعية !

إن عوامل وجود الامم ، ليست بناء فوقيا فقط ، وليست مجرد مفاهيم كي تزول مع زوال الدولة او البناء الفوقي ، وإنما هي واقع موضوعي ينغرس في حياة الجماعة على امتداد ثبات واستقرار تكونها التاريخي ، لذلك فإن زوالها يتطلب إزالة الأمة ، اي ازالة اقتصاد الامة ومجتمعها ووطنها وثقافة شعبها وخصائصه النفسية ، وهذه الازالة كي تتحقق تتطلب زمنا ، وقتا طويلا قد يستغرق اجيالا واجيال ، وليس اعتباطا او مصادفة ان ينطلق الشيوعيون من وطن الامة القومية ، الى وطن البروليتاريا الاممي . إن الامة نمط من انماط الأطر التي افرزها التطور ، والتي سيتجاوزها نحو الاطار الاممي الاوسع والاشمل .

إنه، لتبسيط يبلغ حد اللاموضوعية واللاعلمية، ان نتصور امة ما تكف عن كونها امة، بمجرد الغاء احد عوامل وجودها، إلا اذا تصورنا الامة ، قائمة على عامل واحد ، وليس على خمسة عوامل والا اذا تصورنا ان عوامل وجود الامة ، تنشا دفعة واحدة وتزول بزوال احدها دفعة واحدة ...

اليس تبسيطا يبعد المسالة عن اطار العلم والموضوعية ، ان نقول بانتفاء وجود الامة لمجرد الغاء واحد من عوامل وجودها ، في وقت نعترف فيه ، بأن الأمة قد ثبتت تاريخيا على امتداد فترة طويلة من الزمن ؟ أيمكن ، من الناحية العلمية والموضوعية ، إزالة ما يثبت تاريخيا ، بمجرد

abou-adnan.org

الغاء بعض اركانه ؟ إن ستالين يصور الأمة والتطور التاريخي ، وكأنه بناء كارتوني لا ينتظر سوى نفخة ريح كي يتهاوى ويتلاشى من الوجود !

إن ستالين لم يدرك على ما يبدو أن بعض عوامل وجود الامة يمكن الغاؤه فورا ، دون ان يؤدي الغائه الى الغاء الامة ، بل على العكس تماما ، قد يؤدي الى تحفيز وجودها وتحريك طاقاتها واستفزاز مشاعرها ، فتتحرك بقوة نحو اعادة وحدتها، تحت تأثير عوامل وجودها الاخرى للدفاع عن نفسها ، رافضة الوجود الاجنبي ، ومقاومة قراره القاضي بالغاء عوامل وجودها ، وعلى سبيل المثال فإن عامل الارض ـ الوطن ، يمكن الغاؤه فورا بقرار سياسي ـ عسكري ، يقضي بضم امة ما الى امة اخرى ، ولا يتطلب تنفيذ مثل هذا القرار سوى الغاء الحدود الجغرافية الرسمية ، للأمة المضطهدة وتوسيع حدود الامة المستعمرة ، ولكن هل يمكن ان يتصور عاقل – أن مجرد ضم وطن من الاوطان يعني الغاء امة من الوجود ؟

إن تعريف ستالين ينطوي على تبرير للاستعمار ، فاية امة ، بمجرد الغاء حدود وطنها الجغرافية قسرا واعلان دمجها بحدود امة اخرى ، تصبح حسب تعريف ستالين ملغاة وتكف عن كونها امة ، في حين ان التطور يؤكد لنا ان الغاء بعض عوامل وجود الامة قسرا لا يمنع استمرار مقاومة العوامل الاخرى ، ولا يحول دون فعلها المضاد للعوامل الجديدة ، ولعل المثل الذي يعطيه التطور في الاتحاد السوفياتي ، يؤكد جانب التعسف والجمود في نظرة ستالين ، فرغم مرور اكثر من نصف قرن على قيام الدولة السوفيتية الواحدة ، والاقتصاد الاشتراكي فإن الامم ما تزال موجودة ومزدهرة ، إنها ستنتهي وستزول وستحل محلها امة سوفييتية جديدة بدون شك ولكن الامر يحتاج الى وقت طويل ، رغم ان بعض عوامل هذه الامم قد ضعف او تلاشى واندثر ورغم أن العامل الاقتصادي يعمل لصالح الامة السوفييتية الجديدة . واضح أن بقاء هذه الامم يرجع الى بقاء العوامل الاخرى وخصوصا عاملي اللغة والخصائص النفسية والثقافية . إن وجود الإمم لا يمكن أن يلغى بالغاء بعض عواملها ، طالما انه (الوجود) ثمرة تطور تاريخي طويل ثابت ومستقر ، والغاء بعض عوامل وجود امة من الامم ، قد يضعفها وقد يعرضها للتلاشي اذا استمر ضغط العوامل

abou-adnan.org

الخارجية فترة زمنية طويلة دون مقاومة ، ولكن انعدام المقاومة احتمال ضعيف إن لم نقل نادرا . بيد أن وجود الأمم الاشتراكية ، يسير وفقا لاختيار شعوبها نحو الاضمحلال التدريجي . شريطة ان تتحرر من هيمنة البورجوازية ونزعتها القومية الاستعلائية الضيقة ، وان تقود الطبقة العاملة التطور وتدعو شعوب الامم الاشتراكية للتعاون والتضامن والتضافر في سبيل تحقيق وطنها الاممي الاكبر .

إن عملية الغاء عوامل وجود الأمم اذا ما تمت بالقوة ، ودون رغبة الناس ، فإنها ستكون عملية فوقية لا يصح أن يقاس وجود الأمم بوجودها ، لانها (عملية الغاء وجود الامم) لا تعدو عن كونها تعبير عن ارادة اناس مستعمرين ، تتعارض وطبيعة التطور الاجتماعي للناس الخاضعين للاستعمار ، ولذلك فإن عوامل وجود الامة التي تتعرض للالغاء القسري لا تكف عن العمل المضاد ومقاومة القسرية والسيطرة الاستعمارية وقد شهدنا كيف ان المجتمع العربي قد انتهى الى التحرر من السيطرة العثمانية وتابع مقاومته للسيطرة الاستعمارية الجديدة التي فرضتها اوروبا عليه ، ورأينا فعل شعارات الوحدة والتحرر والاستقلال ، في المقاومة العربية ضد قاهري ارادة الشعب العربي ومستغلي خيراته ..

د ـ اذا انطلقنا من اعتبار الحقيقة النسبية ، هي المعرفة غير التامة وغير الكاملة ، وإنما تعكس الواقع ضمن حدود معينة ، في مرحلة معينة ، عكسا يتكفل التطور اللاحق للمعرفة باستكماله ... اذا انطلقنا من هذا الاعتبار، وإذا اخذنا بحسابنا كون الحقيقة المطلقة تتألف من حصيلة حقائق نسبية، فلا بد أن نعترف بأن الحقيقة النسبية هي الأخرى تحتوي على جوانب او عناصر مطلقة رغم نسبيتها (الحقيقة).

يقول لينين : « إن التفكير الانساني قادر من حيث طبيعته على اعطائنا الحقيقة المطلقة التي تتألف من حصيلة حقائق نسبية وهو يفعل هذا ، إن كل درجة في سلم تطور العلم تضيف بذورا جديدة الى حصيلة الحقيقة المطلقة . بيد ان حدود حقيقة اية نظرية علمية هي حدود نسبية ، فهي إما أن تتوسع وإما أن تتقلص خلال النمو التالي للمعرفة »[٦٢] .

abou-adnan.org

ولو حاولنا تطبيق هذا الكلام على « الامة » باعتبارها حقيقة موضوعية مطلقة، لوجدنا، استحالة تكونها خلال الفترة التي يتحدث عنها ستالين والوقائع تؤكد ان نظريته «تتقلص». فالامة باعتبارها حقيقة مطلقة ، هي ، حصيلة حقائق نسبية ، وعندما نبحث عن هذه الحقائق النسبية التي كونت الحقيقة المطلقة ـ الامة ـ، فسنجدها متمثلة في عناصر تكونها (الامة). فاللغة بقدر ما هي حقيقة مطلقة فهي حقيقة نسبية . انها حقيقة مطلقة ، باعتبارها لغة قوم من الاقوام ، او شعب من الشعوب ، ولكنها حقيقة نسبية باعتبارها عنصرا من عناصر تكون الامة ، لأن اية لغة من اللغات لا يمكن ان تكون عنصرا من عناصر الامة ، إلا اذا تواجدت الى جانب العناصر الاخرى المكونة للامة ، ولذلك فهي جانب نسبي من جوانب الامة . ولا تشكل امة . وكذلك الحال بالنسبة للوطن ، فهو جانب نسبي من جوانب تكون الامم . وكذا الخصائص النفسية والاقتصاد ...

وبما ان الحقيقة المطلقة تتألف من حصيلة حقائق نسبية ، فإن الأمة لا تتبلور بشكلها النهائي والمطلق ، إلا على يد البورجوازية واقتصادها البضاعي ، ولذلك فإن الأمم وجدت ، وإن بشكل ناقص وغير تام ومتبلور منذ العهود التي سبقت العهد الرأسمالي .

يقول مؤلفو المادية الديالكتيكية : إن « الاعتراف بالحقيقة المطلقة وحدها إنما هو جمود عقائدي ، فالجامد عقائديا لا يعتبر المعرفة النسبية حقيقة ، ولكن ليس هناك علم يتألف فقط من « حقائق مطلقة خالدة في شكلها الاخير ». فمثل هذا العلم لا يمكن ان يوجد ، إن الجمود العقائدي في العلم يؤدي الى الركود والانقطاع عن الحياة وعن الواقع »[١٢] .

إن الرفيق ستالين ، عندما يقول بأن الأمة تكف عن كونها امة بمجرد انعدام احد عواملها ، انما يقع في متاهة الميتافزيك ، لانه يجعل تطور تكون الامم متوقفا على الحقائق المطلقة التامة وغير الناقصة. إن رؤيته تعاني من جمود وركود لا يقبله العلم والموضوعية . فلو اقدمت امة من الامم على غزو امة اخرى اضعف منها ، والغت حدودها واستعمرت وطنها ، كما حدث للفيتنام

abou-adnan.org

مثلا . فهل هذا يعني الغاء لغته وخصائصة وتاريخه ، ان تعريف ستالين ، ينظر لأية امة من الامم كما ينظر الى شعب لاجيء بمجرد خضوعه للاستعمار او تشريده وتهجيره من وطنه يفقد خصائصه الاخرى . اذ بما ان الوطن عامل من عوامل تكون الأمة ، فإن فقدانه يعني تحول الأمة او جزء منها الى شعب او قوم لا وطن لهم ، مهجرون ، لاجئون ، فاقدون لخصائصهم وتاريخهم ، من يدري(!) **لربما كانت مبادرة ستالين للاعتراف باسرائيل ، تعبيرا عن فهمه لتكون الامم ، اذ استكمل ، اليهود ، باغتصاب فلسطين عوامل ، الوطن ، والاقتصاد والخصائص النفسية والثقافية ؟**

إن الاطلاق(... انعدام وجود اي دليل ـ عامل ـ من هذه الدلائل كاف لكي تكف الامة عن كونها امة)، في تعريف ستالين قد افقد بحثه الكثير من قيمته ، واوقعه بتناقضات يمكن ادراكها من قبل اقل الناس وعيا . اذ كيف ينعدم احد عوامل وجود امة ما ، طالما انها ، تألفت تاريخيا ونشأت على اساس جامعة اللغة والارض والحياة الاقتصادية والخصائص النفسية التي تبرز في جامعة الثقافة ،؟. لماذا مثلا ، تنعدم لغة الامة ، او ارضها او حياتها الاقتصادية او خصائص شعبها النفسية التي تتجلى في ثقافتها ؟

إن امة من الامم لا يمكن ان تتخلى عن اي من عوامل وجودها الا بوسيلتين : إما انها تختار طائعة لغة ووطنا واقتصادا وثقافة وخصائص نفسية ، غير لغتها ووطنها واقتصادها وثقافتها وخصائصها النفسية ، وإما انها تجبر على ذلك تحت ضغط قوة خارجية اقوى منها . ومعلوم ان الوسيلة الاولى ، لا تتوفر لأية امة إلا في ظل سلطة الطبقة العاملة ونظامها الاشتراكي ونزعتها الاممية ، وهي وسيلة تضع الامم امام خيار طوعي بدون اكراه او اجبار ، وضعا ، تجد معه الامم ان اطراد تطورها وتحسين اوضاعها يدعوها الى التضامن الاممي والتعاضد البروليتاري الاشتراكي من اجل تحقيق تماثل اجتماعي فيما بينها . ومعلوم ان الامم في ظل التعاون الاشتراكي لا تكف عن كونها امم ، وانما تتطور انطلاقا من كونها امم اشتراكية تسعى لايجاد اساس مشترك لوحدتها الاممية التي يتطلب تحقيقها

abou-adnan.org

زمنا طويلا ، والتي تقوم على عوامل وجود تجعل منها اما اكبر واقوى .

اما الوسيلة الثانية ، التي تجبر امة على التخلي عن عوامل وجودها ، فتتمثل في الاستعمار والاكراه . والامر المؤسف حقا ، ان الاطلاق والجزم في تعريف ستالين خاصة بقوله ، وهنا يجدر بنا ان نشير بالحاح ... الخ .. لا يترك مجالا للوسيلة الاولى ، ولا يحسب لها حسابا ، إنه يربط مصير الامة برمته بانعدام اي عامل من عوامل وجودها ، اي انه لا يعني ،سواء وعي ذلك ام لم يعه ، غير الوسيلة الثانية اي الاستعمار . بدليل ان الامم السوفييتية ما تزال موجودة رغم انعدام عامل الاقتصاد واندماج الحدود . ومعلوم ان السبب وراء بقاء الامم السوفيتية يرجع الى ان الالغاء يتم طوعا ووفقا لارادة الشعوب ، الامر الذي لا يثير ردود فعل مضادة وبالتالي لا يحفز العوامل الاخرى للعمل المناهض !..

ولعله من الامور الهامة ان نشير إلى أن انعدام العامل الاقتصادي في الفيتنام لم يلغ وجود الامة الفيتنامية ، كما ان تقسيم كوريا الى اشتراكية ورجعية ، اي الى دولتين ونظامين لم يجعل الأمة الكورية تكف عن كونها امة ، ولا نبالغ اذا ما قلنا بان الامر نفسه ينطبق على المانيا ايضا رغم التباين الكبير والاختلاف الكلي بين نمطي الاقتصاد في الالمانيتين !..

أما عامل الارض ـ الوطن ، فإنه رغم التجزئة ، ما يزال يفعل فعله ، لتحفيز شعوب هذه الأمم على توحيد وطنها المجزا ...

إن الأمر الذي اختلط على ستالين ومن هم على طرازه وشاكلته، يتجلى في عجزهم عن إدراك كون النزعة القومية تشمل جميع طبقات الامة، واعتبار البرجوازية هي الطبقة الوحيدة صاحبة هذه النزعة ، امر من شانه أن يجرد الطبقة العاملة من مشاعرها القومية وهي مشاعر موجودة رغم اختلاف طبيعتها عن مشاعر الطبقة البورجوازية . إن نفي العدمية القومية عن الطبقة العاملة ، يفرض علينا الاعتراف بوجود مشاعر قومية لدى العمال ، اضافة الى مشاعرهم الطبقية .

abou-adnan.org

وكون البورجوازية تحاول جعل مشاعرها الطبقية هي مشاعر الامة القومية ، فإن محاولتها هذه لا يجوز أن تخفي عن انظارنا ، وجود نوعين من المشاعر لدى كل طبقة من طبقات الأمة ولذلك فإن تعارض هذه المشاعر ، هو تجليا واضحا لتعارض مصالح الطبقات الاقتصادية ـ الاجتماعية والايديولوجية .

إن المشاعر القومية ، ليست معزولة عن المشاعر الطبقية ، ولسنا نبالغ إذا ما قلنا انها (المشاعر القومية) تعكس بشكل من الاشكال المشاعر والمصالح الطبقية ، ولذلك نلحظ جنوح النزعة القومية البورجوازية نحو العداء والاضطهاد في حين ان النزعة القومية البروليتارية تتكشف عن ميل شديد نحو التضامن والتعاضد والمحبة . ولسنا واجدين تفسيرا لهذه الظواهر المتناقضة ، غير انها تجليا ثقافيا وفكريا ونفسيا ، للمصالح الطبقية الاقتصادية ـ الاجتماعية المتناقضة لكل من البورجوازية والبروليتاريا ...

إن ستالين وكل الماديين التاريخيين ، يقترفون خطأ حين يتصورون أنهم يفسرون عدم عدمية البروليتاريا القومية ، بوصف نزعتها القومية بالوطنية . إن الوطنية ليست كافية للتعبير عن موقف الطبقة العاملة القومي ، خاصة بالنسبة للامم التي تعاني من التجزئة ، كالامم الكوردية والالمانية والعربية ، مثلا ...

إن معارضة الطبقة العاملة للبورجوازية في القضايا القومية ، لا يكفي وصفها بالوطنية فقط ، لأن تعبير أو مفهوم « الوطن » قد يعجز احيانا عن التعبير عن موقف الطبقة العاملة القومي . وعلى سبيل المثال فإن العامل الفيتنامي كان يعيش في وطنين ، وكذلك الحال بالنسبة للعامل الكوري والعامل الالماني والعامل العربي ، في يومنا هذا ، فالعامل اللبناني مثلا ، يمكن ان يكون وطنيا لبنانيا ، ولكنه لا يستطيع تغطية موقفه العربي الا اذا عبر عن مشاعره القومية ، وهي مشاعر تختلف من حيث الجوهر عن مشاعر البورجوازية القومية .

٣ ـ سلطة « السوق » المركزية وسلطة الاستبداد السياسية !

abou-adnan.org

يقول مؤلفو « اصول الفلسفة الماركسية »: « الامة هي حقيقة موضوعية . ولقد دفع الهتلريون ثمن عقيدتهم ، بأنه يمكنهم ازالة الامم عن سطح الكرة غاليا ، وادركوا ان هذه الحقيقة موجودة ، وانها تتمتع بقوة عظيمة للمقاومة »[٦٤] .

سنغض النظر ، عن ادعائهم ، بأن النازيين قد ادركوا ما تتمتع به الامم من قوة عظيمة للمقاومة ، كي نتسائل : اذا كانت الامم حقائق موضوعية ،وهي كذلك فعلا ، فهل يمكن ان تنشأ وتستكمل قوتها بمجرد شعور البورجوازية وهي ما تزال اقلية في ظل النظام الاقطاعي ، انها بحاجة الى توحيد السوق ؟

إنهم (مؤلفو اصول الفلسفة الماركسية) يحددون بأمانة حرفية ، عوامل وجود الامة ، كما حددها ستالين ، فيقولون عن العامل الاقتصادي البضاعي الرأسمالي الذي يسمونه « وحدة الحياة الاقتصادية » ما يلي :

« الامة سوق

كانت فرنسا الاقطاعية مجموعة من المقاطعات ، لكل منها حياتها الاقتصادية الخاصة ، وعملتها ، ومقاييسها ، واوزانها تفصلها سلسلة من الجمارك التي تعيق التبادل بينها . ولم يكن **ليتم توحيد الامة** الفرنسية عام ١٧٨٩ الا بازالة هذه العوائق في وجه الوحدة (ولا سيما الجمارك الداخلية).

وكذلك هيأ توحيد المانيا الاقتصادية توحيدها السياسي ، ذلك لأن السوق يضمن التبادل بين المنتوجات القادمة من مختلف انحاء الارض ، وتزداد قوة الحياة الاقتصادية المشتركة (مع توحيد العملة) بنمو طرق الاتصال ووسائله .

تلك هي الأسس المادية التي بدونها لا يمكن وجود اية امة »[٦٥] .

إننا ممن يحترمون القائد والمفكر الشيوعي ستالين ، ويكفيه تخليدا انه قاد اول دولة للعمال والفلاحين خلال اصعب مراحل حياتها ، بيد ان احترامنا له يختلف عن احترام الشيوعيين « الاوروبيين » الذين لم يتعلموا

abou-adhan.org

كفاية رغم انهم خاضوا غمار اربع تجارب عمالية عملاقة : **كومونة باريس ، والاممیات الثلاث ، وما زالوا يتخبطون بحثا عن سبيل تهديهم الى الشيوعية : فيوم يكونون ستالينيين اكثر من ستالين نفسه ، ويوم يتخلون عن التضامن الكفاحي مع الاتحاد السوفياتي ، ويرتدون الى مواقع الاممية الثانية ...**

بعد تسجيل هذه الملاحظة الضرورية ، دعونا نسال الاساتذة الذين انتهت بهم ستالينيتهم الى التخلي عن دكتاتورية البروليتاريا ، السؤال التالي :

الا يوجد مميز موضوعي بين مفهومي « الوجود » و« التوحيد »؟

فاذا كان الجواب ، تسليما بوجود مثل هذا المميز الموضوعي ، فإن مؤلفي (اصول الفلسفة الماركسية)، قد خلطوا بين وجود الامة وتوحيدها خلطا ، دفعهم لان يجتروا ستالين على علاته وبدون انتباه لتناقضاته . مما جعلهم ينقضون الستالينية من حيث انهم ارادوا البرهنة على صوابها ...

إن مثلي فرنسا والمانيا المطروحين امامنا ، في مؤلف (اصول الفلسفة الماركسية)، لا يتحدثان عن خلق الامتين الالمانية والفرنسية ، وانما هما (المثلان) يتحدثان عن توحيد هاتين الامتين ، فهما يقولان حرفيا : « ... ولم يكن ليتم توحيد الامة الفرنسية عام ١٧٨٩ الخ ... » ، وكذلك هيا توحيد المانيا الاقتصادية توحيدها السياسي الخ ...»، ومع ذلك يصران على ان عمليات توحيد السوقين الفرنسية والالمانية هي التي اوجدت الأمتين. فبعد الحديث عن وحدة السوقين يقولان : « **تلك هي الأسس المادية التي بدونها لا يمكن وجود اية امة** » . فهل يمكن توحيد امة غير موجودة أو في طور التكوين والخلق ؟

إن التناقض لواضح في هذا الكلام ، ذلك ان عمليات التوحيد التي نقلت كل من المانيا وفرنسا الى العصر الراسمالي ، لم تخلق الامتين ، لأن الامتين كانتا موجودتين في ظل العهد الاقطاعي ، رغم انعدام وحدة العامل الاقتصادي . ولولا وجودهما لتعذر اصلا ليس توحيدهما فقط ، وانما لتعذر

abou-adnan.org

وجود طبقة برجوازية فرنسية او المانية

إن مفهوم « التوحيد » يجب أن يطلق على أمة موجودة ولكنها مجزأة . أما مفهوم « الوجود » ، أي الخلق ، فيطلق على أمة في مرحلة النشوء والتكوين ، على أن العمليتين : التوحيد والخلق ، بحاجة إلى خالق . والبرجوازية لا تخلق الأمة وانما تحقق وحدتها ، لذلك جاء منطق مؤلفي « اصول الفلسفة الماركسية » متناقضا ، يخلط بين خلق الوجود وبين توحيده ...

لقد كانت الأمتان الفرنسية والالمانية موجودتين قبل الثورة البرجوازية ، ولكنهما كانتا امتين اقطاعيتين ، ترتبطان بعوامل اللغة والخصائص الثقافية والنفسية العامة ، وبعامل التاريخ الفرنسي والالماني وأيضاً بعامل الاقتصاد الاقطاعي المجزأ ، ومع ظهور البرجوازية ، بات مضمون كل من الأمتين الاقطاعي ، يتعارض مع مصلحة البرجوازية ، فكانت الثورة الراسمالية من اجل ازالة التجزئة الاقطاعية وجعل الوطن وحدة لحرية تبادل منتجاتها وغير معيقة مرورها وانتقالها من المدينة الى الريف ومن منطقة لاخرى من مناطق الامة ، وبتوحيد الوطن ، توحدت السوق وبات الاقتصاد قوة موحدة واساسا ماديا للسلطة البرجوازية ، التي قامت على انقاض سلطة الاقطاع وسوقه الضيقة . وتبعا لهذه التطورات المادية والسياسية ، اصبح قاموس اللغة يضيف إلى مفرداته ، ما يجعل اللغة قادرة على التعبير عن مصالح الطبقة البرجوازية الجديدة والعناصر التي خلقتها : الثورة الراسمالية ، الحياة الاجتماعية الجديدة ، الطبقة العاملة ، المزاحمة الحرة والمنافسة بين الراسماليين ضمن اطار وحدة السوق وحق العمال في ممارسة الاضراب ، وفي ظل هذه المتغيرات اعيدت صياغة العديد من التقاليد والاعراف والخصائص الثقافية والنفسية ، اعادة جعلتها ملائمة للواقع المادي الجديد ، كما اقتضت الضرورة خلق تقاليد وخصائص جديدة على انقاض ما غدا باليا وعتيقا تجاوزه التطور .

مما تقدم نلحظ عملية خلق لوحدة الأمة وليس لوجودها الذي كان مغروسا في أعماق العصر الذي سبق ...

abou-adnan.org

ثم : إذا كانت « الأمة سوق » ، فان هذا التعريف يسمح لنا ، مع كامل تسليمنا بكون الدولة ليست عنصرا من عناصر تكوين الأمة ، بالقول أن العامل الاقتصادي ، يعني فيما يعني وحدة اقتصاد الأمة ، وأساس سلطتها السياسية ، بغية ضمان أمرين هامين جدا بالنسبة للبورجوازية هما : اخضاع الزراعة للصناعة وجعل الريف منتجا من اجلها ومكيفا انتاجه وفقا لحاجاتها ، أولا ، وجعله (الريف) مستهلكا لمنتجاتها المصنعة ، ولضمان ذلك اقتضت مصلحة البورجوازية ربطه بالمدينة الصناعية ودمجه فيها بعد أن كان شبه مستقل في العهد الاقطاعي ، ثانيا ...

ولكن تسليمنا ، بكون مركزة السوق تؤدي بالضرورة الى مركزة السلطة السياسية ، سيقودنا الى رؤية كون « المركزية السياسية » ليست وليدة عهد البورجوازية فقط ، على الأقل في آسيا عامة ومنطقتنا خاصة ، فاذا كانت فرنسا لم تحقق سلطتها المركزية إلا في عام ١٧٨٩[٦٦] ، فإن العرب قد حققوا مثل هذه السلطة ووحدوا سوقهم وعملتهم ومقاييسهم واوزانهم وجماركهم منذ قرون عديدة ، رغم أنهم كانوا يعيشون في ظل الاقطاع الشرقي !

إن أسلوب الانتاج الاسيوي ، ودولة « ظل الله في أرضه » ، قد حققت « المركزية » منذ عهد الامويين . وليس اعتباطا ابدا ، أن يطلق الحجاج بن يوسف الثقفي لدى تعيينه حاكما على العراق قوله الشهير : « إني أرى رؤوسا اينعت وقد حان قطافها » ، وما كان بوسعه أن يتفوه بمثل هذه العبارة التي لخصت سياسته ونهجه وأسلوب حكمه لأحد اقاليم دولة السلطة المركزية العربية ... ما كان بوسعه أن يخاطب الناس بمثل هذه اللهجة لولا اعتماده على طبيعة السلطة السائدة ، أي « المركزية » ... سلطة « خليفة الله في أرضه » ... سلطة الاستبداد وقطع الرؤوس التي ترتفع ضد الحاكم !...

إذا سلمنا بان « الأمة سوق » ، وان هذه السوق تعني مركزة الاقتصاد والسلطة السياسية ، مع ضمان حق الرأسماليين بالتصرف الفردي في حدود حرية امتلاك وسائل الانتاج وتحديد نوعية المنتجات ...

abou-adnan.org

إذا سلمنا بهذه الحقائق ، فلا بد من التسليم بأن مثل هذه السلطة السياسية المركزية قد توفرت للحياة العربية منذ قرون عديدة ، رغم عدم توفر وحدة السوق الاقتصادية على الشاكلة الراسمالية .

أترانا ابتعدنا بهذا التصوير ـ التشبيه عن مفهوم المادية التاريخية لسلطة السوق المركزية التي بلورت وحدة الأمة كأحسن ما تكون البلورة ، وخلقت حركتها القومية الفكرية والسياسية الحديثة ؟

إذا استندنا إلى هذه المقارنة السياسية ، واستخلصنا دليلا على أن وحدة السوق العربية في العهد الأموي قد حققت وحدة الاقتصاد ، كما هو شأن الوحدة الاقتصادية التي حققتها البورجوازية في أوروبا ، نكون قد ابتعدنا عن المفهوم المادي للتاريخ واقتربنا من المفهوم المثالي له ...

أما إذا اكتفينا من « هذه المقارنة السياسية » باستخلاص الفارق بين أمة الدولة الاقطاعية إن صح التعبير التي كانت سائدة في فرنسا مثلا ، وبين أمة الدولة المركزية العربية ... دولة « الرؤوس التي اينعت وقد حان قطافها » ، دولة يزيد بن معاوية الذي لم يتردد عن قتل الحسين ابن بنت الرسول وأهل بيته في العراق رغم أن مركز خلافته في الشام ... دولة « كنتم خير أمة اخرجت للناس » ...

دولة و « ... انزلناه حكما عربيا » ... »[٦٧] ... دولة ظل الله في أرضه » ... دولة الثيوقراطية .

إذا اكتفينا من المقارنة ، بالتسليم بأن ما كانت تشكو منه أوروبا الاقطاعية لم يكن موجودا بحذافيره في الوطن العربي ، وسلمنا ـ بعد هذه النتيجة الهامة التي استخلصناها ـ **بكون المركزية المتمثلة بوحدة السوق ، تختلف عن المركزية المتمثلة بوحدة السلطة السياسية القائمة على أساس الاقتصاد الاقطاعي الشرقي من وجوه عدة أهمها :**

أ ـ إن وحدة السوق الراسمالية ، قامت على أساس اخضاع الريف لسلطة المدينة وجعله ينتج للصناعة ويلبي متطلباتها ويستهلك منتجاتها ...

في حين أن وحدة السلطة السياسية المركزية الاستبدادية في ظل

abou-adnan.org

العصر الاقطاعي الشرقي بما فيه العهد العربي ، لم تقم على هذا الأساس ، اي انها لم تقم تلبية لمتطلبات الصناعة وخدمة اهدافها ، وانما قامت لضمان استمرار سلطة الحق الالهي الثيوقراطية . لخليفة المسلمين ، وكانت تلك السلطة المركزية تكتفي باقتطاع حصة محددة لبيت المال يؤديها اقطاعيو المقاطعات وولاة الأقاليم . أما كمية الانتاج الزراعي ونوعيته ، فمتروكة للاقطاعيين ، ولم يكن امر ارتباط الريف بالمدينة ، يعني سوى الناحية السياسية والمالية اي اداء حق بيت المال أو الجزية .

ب - إن وحدة السوق الراسمالية ، قامت على اساس ازالة العوائق دون حرية التداول وتبادل المنتجات المصنعة في مختلف انحاء وطن الأمة الواحدة ...

في حين أن وحدة السلطة السياسية المركزية ، الأستبدادية لم تقم على هذا الأساس ، ولم تكن معنية بقضية حرية تبادل المنتجات رغم مسؤولية الحكام المباشرة عن الحياة الاقتصادية لمجتمعاتنا القديمة . كان التبادل يتم عفويا وتدفع إليه الحاجات المتبادلة بين الضيع والمقاطعات والمدن ...

ج - إن وحدة السوق الراسمالية ، قد حققت وحدة اقتصادية لولا وجودها لما حققت اوروبا تقدمها الراسمالي الهائل . الأمر الذي جعل وحدة السوق عاملا اقتصاديا هاما من عوامل التطور المتسارع والثورة الصناعية ، وفي العهد الاشتراكي ايضاً ، تزداد اهمية السوق ولكن لمصلحة التخطيط الاقتصادي الاشتراكي » ...

في حين أن السلطة السياسية المركزية الأستبدادية لم تكن كذلك ، إذا غضضنا النظر عن الفارق بين ظروف القرون الوسطى وظروف اوروبا القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ...

كانت السلطة المركزية السياسية الأستبدادية عاملا من عوامل التقدم والتطور ، بدون شك ولكن في مفهوم ذلك الزمان ومستويات تطور قواه المنتجة ، وقدرات ابنائه طبعا ، ولذلك فان التطور ، بعد تكدس المعارف ونمو قدرات الانسان واتساع خبراته في كيفية اخضاع الطبيعة لمشيئته ، قد

abou-adnan.org

تطلب وحدة مركزية من نوع جديد ، وهي على وجه الدقة وحدة اقتصادية قبل أي شي آخر ، الأمر الذي أصبحت معه السلطة السياسية الأستبدادية الشرقية عامل تخلف وتأخير ...

د ـ إن وحدة السوق الراسمالية ، قد أطلقت حركة التقدم لكل مجالات تطور الأمة ، وأبرزت عوامل وجودها بوضوح تام وبقوة مقدسة وعمقت الشعور القومي والأعتزاز بالوطن واللغة والخصائص ، تعميقا ، بلور العصبية القومية ، ودفع البشرية لحربين عالميتين طاحنتين ...

ورغم ان المركزية السياسية الأستبدادية قد قادت الأمم الفلاحية إلى حروب طاحنة مماثلة ، بيد أن سلاحها كان الحافز الديني الذي يبرر حافزها المادي ، في حين أن حافز الحروب التي خاضتها وما تزال تخوضها الأمم البورجوازية ، يتمثل اساسا في العامل القومي ومصلحة الأمة ، أما دور الدين فقد أصبح جزءا من الحافز القومي ...

رابعا ـ تعريف العلماء السوفيات للأمة :

لعله مفيدا أن نطلع على ما ورد في « الموسوعة الفلسفية » الموضوعة من قبل جماعة من العلماء والاكاديميين السوفياتيين ، عن الأمة :

الأمة : « جماعة من الناس تتشكل تاريخيا ، وتتميز الأمة اول كل شيء ـ بالظروف المادية المشتركة للحياة : الارض ، والحياة الاقتصادية ، وجماعية اللغة والتكوين النفسي ، وسمات معينة ايضاً للشخصية القومية ، تظهر في الخصائص النوعية القومية لثقافتها . **والأمة أوضح شكل للجماعة الانسانية يخرج الى الوجود بظهور النظام الراسمالي** . ويقوم إلغاء التفكك الاقطاعي ودعم الروابط الاقتصادية بين المناطق المختلفة في بلد واحد **واندماج الأسواق المحلية في سوق قومية واحدة، كاساس اقتصادي لتبلور الأمة**. وقد كانت البرجوازية القوة الطليعية في الأمم خلال تلك الفترة التي تركت أثرا معينا على جوانبها السياسية والاجتماعية والروحية . ومع تطور هذه الأمم البورجوازية تزداد التناقضات الاجتماعية داخلها حدة ، وتصبح التناقضات بين الطبقات ظاهرة فيها . وتسعى البورجوازية لتغطية هذه التناقضات) وإثارة التطاحنات

abou-adnan.org

العنيفة بين الأمم . فهي تدعو لايديولوجية النزعة القومية والانانية القومية وتصبح الخلافات والكراهية بين الأمم والصراعات القومية نتيجة محتومة للرأسمالية وعلى النقيض من القومية البورجوازية تقدم الطبقة العاملة ايديولوجية وسياسة الأممية البروليتارية ومع زوال الراسمالية يتغير هذا الجانب من الأمة تغيرا جذريا . إذ تتحول الأمم البورجوازية القديمة إلى أمم جديدة اشتراكية ويشكل تحالف الطبقة العاملة والفلاحين العاملين أساسها الطبقي والأمم الاشتراكية متحررة من التطاحنات الطبقية ، وتختفي بقايا عدم الثقة السابقة بينها ، وتظهر الصداقة بين الشعوب ويؤدي الغاء القهر القومي واقامة المساواة بين الشعوب ، والمساعدة المتبادلة بينها ، وازالة التخلف الاقتصادي والثقافي للشعوب التي كانت متخلفة في تطورها - إلـــى خلق كل الشروط الضرورية لنجاح الأمم الاشتراكية وفي المجتمع الاشتراكي تتطور الأمم وتزدهر - من ناحية - ومن ناحية اخرى فإنها تتقارب من بعضها بعضا . وفي المستقبل - بعد الانتصار الكامل للشيوعية - سوف يؤدي التقارب الشامل بين الأمم في النهاية الى الاختفاء التدريجي للفروق القومية **وسوف ينشا شكل جديد من التجمع الاجتماعي للناس اوسع من الامة ، ويوحد كل البشرية في اسرة واحدة في مجتمع شيوعي متطور تطورا كاملا . ولكن مثل هذا التجمع لن يخرج إلى حيز الوجود الا نتيجة لتقدم اجتماعي طويل ، وعلاوة على هذا فإنه لن يتم إلا بعد وقت متاخر كثيرا عن بلوغ التجانس الاجتماعي الكامل** » .

لاحظ ، العبارات التي شددنا عليها وقارن بين فهمنا لقضية الأمة وفهم الرفيق ستالين لها . فالأمة برأي العلماء والاكاديميين السوفيات **، اوضح شكل للجماعة الانسانية يخرج الى الوجود بظهور النظام الراسمالي** » . وقد قلنا نحن بأنه افضل اطار للتطور الاجتماعي - الاقتصادي العصري . كما ان العلماء السوفيات يؤكدون على أن وحدة السوق القومية شكلت اساسا اقتصاديا ، لتبلور الأمة ، وليس لخلقها . ومعلوم أن وصف شيء ما بأنه ، أوضح شكل ....» هو اعتراف بوجود شكل آخر ولكن اقل وضوحا ، كما ان تبلور الأمة . يعني أنها (الأمة) موجودة فجاءت البرجوازية وبلورتها .

abou-adnan.org

الفصل الرابع

الامة العربيـة
ووحدتها القوميـة في التاريخ العربي

اولا ـ العلاقة الجدلية بين الانقسام الأممي والانقسام الطبقي

ثانيا ـ اختلاف التطور في مجتمعاتنا ، عن المجتمعات الاوروبية ينغرس في اعماق التاريخ القديم .

ثالثا ـ الاسلام ونشأة الأمة العربية ووحدتها القومية .

رابعا ـ الشيوعيون العرب ، وقضية وحدة الأمة العربية .

abou-adnan.org

abou-adnan.org

أولا ـ العلاقة الجدلية بين الانقسام الأممي والانقسام الطبقي :

لقد كان بليخانوف ، على صواب حين أكد « أن المفاهيم تخرج من العلاقات الاجتماعية ، لكن ما أن تظهر الى حيز الوجود حتى تمارس تأثيرا على تلك العلاقات ، ومختلف ميادين المفهوم والتصور تمارس كذلك تأثيرا على بعضها بعضا »[٦٨] .

إن السؤال الذي ترسمه قراءة هذا الكلام العلمي ، هو : عن اية علاقات اجتماعية ، وبالتالي عن أي اقتصاد عبر مفهوم « كنتم خير أمة اخرجت للناس » ، ومفهوم « الأمم الفلاحية ... »[٦٩] ، ومفهوم « الأمة نصف الاقطاعية والأمم التي اجتازت مرحلة الاقطاع الى المرحلة الرأسمالية ... » الذي أورده ستالين نفسه ؟

إن الجواب المنطقي الذي تؤكده وقائع التاريخ يكشف أمام أنظارنا ، وجود أمم اقطاعية أو نصف اقطاعية ، أو فلاحية على حد تعبير البيان الشيوعي ، سبق منشؤ ها ظهور البورجوازية ووحدة سوقها الرأسمالية ، وقد تطورت تلك الأمم الى أمم بورجوازية ، ونحن نعيش اليوم مرحلة الأمم الاشتراكية ، ومعلوم أن كل نمط من أنماط الأمم السابقة والراهنة يختلف عن غيره ، ولذلك لا يجوز الخلط بين وجود الأمم باعتبارها حقائق نسبية موجودة ، وبين حركات الأمم القومية التي هي حركات سياسية ـ فكرية تعكس فكر وسياسة الطبقة القائدة للأمة والموحدة لكيانها اللغوي والجغرافي والثقافي والاجتماعي ولخصائصها النفسية .

لا ريب في أن انقسام الناس الى طبقات متعارضة أعمق من انقسامهم الى أمم ، وهذه النتيجة الهامة قد أكدتها تطورات المجتمعات البشرية على اختلافها . ويكفي للتدليل على ذلك أن نجلب الانتباه الى أن الطبقة أو الطبقات المستغلة الحاكمة ، في الوقت الذي تدعو فيه الأمة بأسرها الى الحرب القومية أو الى الدفاع عن حقوق الأمة ومكاسبها ... في هذا الوقت تقوم باستغلال واضطهاد الطبقات الكادحة في امتها ، الأمر الذي يؤكد عل أن الانقسام الطبقي أشد عمقا من الانقسام الى أمم . وكم من طبقة رجعية

abou-adnan.org

خانت الأمة وارتمت باحضان اعدائها لمجرد تعرض مصالحها الطبقية الى الضرر ..

ولكن هل كان يمكن للطبقات ان تتطور خارج اطر اشكال التجمعات العشائرية والقبلية والأممية (الأمة) ، وهل كان لتطور - على افتراض تحققه - كهذا اثره الفاعل في التطور الاجتماعي الذي حققته البشرية ، وهل كان بامكان الصراع الطبقي ان يكون محركا للتاريخ ؟

إن الطبقات الاجتماعية قد نشأت وتطورت ضمن اطر الأشكال التي حددتها اللغة الواحدة والوطن الموحد ، والخصائص النفسية الثقافية الموحدة ، ووحدة الاقتصاد والمدى التاريخي الطويل الذي يشكل اطارا تنشأ هذه العوامل وتتطور بداخله ، نشوءاً وتطورا يشكل أساسا لعملية الصراع الطبقي ، أي الصراع الأفقي الذي ينشب بين طبقات الأمة الواحدة .

لقد بدأ الانقسام أول ما بدأ ، على أساس عمودي (عشائر المشاعية في عهد الأمومة) ، وبداخل مشاعية العشيرة بدأ الانقسام الافقي يدب بطيئا في اشكال الجماعات البشرية الأولى ، وما أن بلغ التطور مرحلة تكون القبائل حتى بدأ واضحا ، إن الانقسامين يترافقان مع بعضهما البعض ، ترافقا ، كانت حدود اللغات والاوطان والخصائص النفسية والثقافية والحياة الاقتصادية المشتركة ، تكرسها وتبلور معالمها وحدودهما ، تكريسا وبلورة بلغت أوضح صورها وأجلى اشكالها مع ظهور البرجوازية الصناعية ونظامها الرأسمالي العصري .

إن الانقسام الأفقي ناجم عن التفاوت في مستويات الحياة بصورة عامة والحياة الاقتصادية - الاجتماعية على وجه الخصوص ، بين ابناء المجتمع الواحد ، والأمة الواحدة ، في حين أن الانقسام العمودي ناجم عن اختلاف الخصائص القومية بين الشعوب والأمم . لذلك يكون الانقسام الأفقي أي الطبقي أعمق ، لأنه يحمل العوامل الداخلية للتطور . ورغم أن انقسام البشرية الى شعوب وأمم قد عرض البشرية الى حربين عالميتين، بيد أن الصراع الطبقي كان المحرك الأساسي لكل الأحداث الهامة بما فيها

abou-adnan.org

ذينك الحربين !..

لقد كان الناس في العهود الغابرة يقيمون العلاقات فيما بينهم تحت تأثير الطبيعة عليهم ، أي بشكل عفوي وهم لذلك كانوا عبيد جهلهم وعدم وعيهم . وقد قادهم تطورهم العفوي الى الانقسام العمودي فتكونوا جماعات مختلفة ، مثلما قادهم تطور قواهم المنتجة الى أن ينقسموا افقيا الى طبقات متصارعة داخل كل جماعة . لذا ، فان التطور الاجتماعي - الاقتصادي ضمن الاطر القومية ، لم يكن سوى احدى ضرورات تحرر البشرية من نير تبعيتها لقوى الطبيعة العمياء .

فما دام التقدم لا يتحقق من تلقاء نفسه ، وانما يلعب تدخل الناس انفسهم ، باعتبارهم ، أهم عناصر القوى المنتجة ، دور العامل الحاسم ، فيما حققته وما تزال تحققه البشرية من تطور وتقدم ، وما دام تدخل الناس لا يتحقق بالشكل الكافي ما لم يبلغ وعيهم درجة يستطيعون معها ادراك ضرورة التحرر من تبعيتهم لنير العبودية الطبقية التي يرزحون تحت وطأته ، وما دام ذلك كله يعتمد أساسا على درجة تطور القوى المنتجة في كل مجتمع من المجتمعات ، وما دام تطور هذه القوى لا يتحقق دفعة واحدة وبوتيرة متساوية لكل الشعوب ، وانما يتحقق بشكل متفاوت ، بحكم تفاوت تطور قواها (الشعوب) المنتجة ، فان كل مجتمع من المجتمعات البشرية يحقق تطوره وتقدمه ضمن اطاره القومي الذي تبلور عبر التاريخ .

إن تطور البشرية الى أمم ، ضمن اطرها القومية ، هو ثمرة التطور التاريخي الذي تطلب الآف السنين . وما دام التطور يحتاج ويفرض اطارا أو شكلا اجتماعيا اوسع (عشيرة ، قبيلة ، أمة). فان تطور الكيانات القومية الحديثة ، الذي ارتبط بوحدة السوق الراسمالية ، يدعونا ، لرؤية ضيق الاطر القومية لتطور البشرية اللاحق (الشيوعية) ، مما سيحتم قيام الوطن الأممي الاكبر ، أي الاطار الاوسع للتطور الشيوعي المنتظر .

مما تقدم ، ندرك أن نضال الشيوعيين في سبيل وحدة اوطانهم أمر لا تفرضه حاجة مجتمعاتهم الملحة لتحقيق تقدمها فحسب ، وانما تدعو اليه ايضاً حاجة البروليتاريا العالمية لوطنها الأممي ، لأن تجميع البشرية في أمم

abou-adnan.org

يسهل عملية تجميعها في اطار من التآخي والتضامن الأممي ، أي أن عملية توحيد الأوطان القومية ، بالنسبة للشيوعيين هي جزء من عملية التوحيد الأممية الكبرى .

ثانيا ـ اختلاف التطور في مجتمعاتنا ، عن المجتمعات الأوروبية ، ينغرس في اعماق التاريخ القديم !

ليس هناك من يجادل في أن كل شعب من الشعوب ، كل مجتمع من المجتمعات ، قد تطور ، ويتطور ، وفقا لشروطه التاريخية الخاصة ، وهي شروط رغم ارتباطها الوثيق بالشروط التاريخية العامة التي تحكم تطور البشرية بوجه عام ، تلعب دور القائد لعملية تطور المجتمع بحكم كونها هي عوامله الداخلية ، التي تتمتع بخصوصية التأثير المباشر ...

وعندما نلقي نظرة على تاريخ تطور مجتمعاتنا سنلحظ اختلافا بينا ، عن التطور التاريخي الذي حدث في اوروبا ، لذلك لا يصح أن نتجاهل تلك الفوارق . وإن سمح الشيوعيون لأنفسهم ، بتجاهل التباين بين التطور الاوروبي وتطورنا الآسيوي ، فإن موقفهم سينطوي على قدر من التعسف والقسر ، لكي لا نقول الجهل والغربة عن اوطانهم ؟

لقد اعتمدت النظرية الشيوعية العلمية في تفسيرها المادي للتاريخ على التطور الذي جرى في اوروبا اساسا ، وعندما وضعت تراتب التطور التاريخي للبشرية (مشاعية ، عبودية ، اقطاعية ، راسمالية ، اشتراكية) ، لم تتجاهل الفوارق الكبيرة التي حملتها خصائص التطور التاريخي في آسيا عامة وفي منطقتنا (وطننا العربي) خاصة ، إذ لاحظت إن اسلوبنا في الانتاج قد تميز عن مثيله في اوروبا ، كما لاحظت إن نمط الدولة لدى مجتمعاتنا يختلف عن نمطها في اوروبا . ففي آسيا عامة ومنطقتنا (وطننا العربي) خاصة (وادي الرافدين ـ مصر) ، قد ساد اسلوب في الانتاج كان العبد في ظله يتمتع بنوع من الحرية رغم عبوديته ، لا يتمتع بها العبد في ظل العهد العبودي الاوروبي . ومع إن الدولة هي اداة طبقية في يد الطبقة أو الطبقات

abou-adnan.org

السائدة ، ضد الطبقات المسودة (المحكومة) ، وهي لذلك تمثل محصلة توافق والتقاء مصالح الطبقات والفئات السائدة ، وكان هذا هو نموذج الدولة في عهود العبودية والاقطاع في اوروبا ، بحيث كان الاقطاعيون ، حتى في ظل اكثر انماط السلطة المركزية يتمتعون في سلطتهم المنطقية أو الاقليمية الخاصة ، ولا يتحملون تبعات الكوارث الطبيعية ، لا هم ولا الدولة المركزية ، ولكن نموذج الدولة الاوروبية التي هي عبارة عن عدة دول اقطاعية في ظل دولة امبراطورية أو ملكية واحدة ، لم يتوفر في آسيا عامة وفي منطقتنا خاصة ، حيث كان الملك أو السلطان تيوقراطيا ، حاكما بأمره ، وممثل الاله (ظل الله في ارضه) ، وكان يتحمل تبعات الكوارث الطبيعية ويعود اليه الرخاء والرفاه ، وبيده الثواب والعقاب ، باعتباره وكيل أو ممثل الالهة ، ولذلك فان حكام الاقاليم أو المقاطعات لا يستطيعون ممارسة حكمهم بدون أن يكونوا وكلاء ومفوضين من قبله ...

وعندما نأخذ هذه الفوارق والمعطيات التي افرزها تطور اوضاع منطقتنا الاجتماعي - الاقتصادي وبالضرورة الفكري والسياسي وباختصار ، كل ما يتعلق بأسس البناء التحتي والفوقي ... عندما نأخذ هذه الاختلافات بنظر الاعتبار ، فسنلحظ علاقة بين الكفاح الذي بدأ العرب يخوضونه ضد الاستعمار العثماني منذ اوائل القرن التاسع عشر ، والذي تكلل برفع شعارات الوحدة والتحرر والاستقلال والثورة على العثمانيين ... سنلحظ علاقة بين تلك التطورات التي عاشتها المنطقة ، وبين ماضينا البعيد .

إن العثمانيين لم يواجهوا طبقة برجوازية تحمل رايات ثورة راسمالية ، كما حدث في اوروبا وإنما واجهوا حركة قومية خليط ، من حيث طبيعة تركيبة قيادتها ومن حيث طبيعة جماهيرها ، وقد لعب شعار «ارجاع» الاسلام إلى «عروبته» ، إن صح التعبير ، دوراً كبيراً في حشد الجماهير في ميدان القتال ضد العثمانيين الذين اساؤوا إلى مركز الخلافة الاسلامية .

إن حركة القومية العربية وتصاعد الكفاح العربي ضد العثمانيين ، وفيما بعد ضد الاستعماريين الاوروبيين ... إن تلك

abou-adnan.org

الحركة تكشف عن يقظة لامة موجودة . وادراك لواقع قائم ، وتطور جديد بدأت الامة العربية تعيشه بعد فترة انحطاط وتدهور لعبت السيطرة الاجنبية دوراً في تكريسها طيلة اربعة قرون (١٥١٦ - ١٩١٦) ، كان العرب خلالها يجلدون بسياط الاستعمار الممهة بالدين الذي رفعوا راياته واشادوا صروحه على امتداد اكثر من ستمائة سنة !

قد يقول قائل وماذا يجني نضالنا اليوم من الغوص بمثل هذه المفاهيم ، ولكن قولا كهذا يكشف عن ميكانيكية وسطحية في فهم خصوصية التطور التاريخي لمنطقتنا ، إنه ينطوي على نسبة كبيرة من التعسف ، بله الجهل بخصائص التطور العربي - الاسلامي . وقد كانت هذه الميكانيكية والسطحية والجهل ، وراء نظرة الحركة الشيوعية العربية لقضايانا القومية ، ففي حين ان ابرز الامثال والبراهين الدالة على اسلوب الانتاج الاسيوي في عصور العبودية والاقطاعية الشرقية ، تستمد من وادي الرافدين ومصر وبقية البلدان العربية ، نلحظ تجاهلا تاماً لها ، مقابل عمل قسري يمارسه الشيوعيون في ميادين الكفاح والممارسة العملية والفكرية ، بغية تفسير التطور في مجتمعاتنا على إنه نسخة من التطور في اوروبا . الا يعني هذا إن الحركة الشيوعية العربية ، نشأت وعاشت في غربة عن الاوضاع التي تنتسب اليها ، نشوءا وعيشا جعلاها رسول جهل وتجهيل وشاهد زور يعاكس اتجاه التطور التاريخي ويصارعه على امتداد ستين سنة ؟

ثالثا - الاسلام ونشأة الامة العربية ووحدتها القومية :

كيف تتعلم الشعوب ، ومن أين تأتي بنماذج تنظيمها الاجتماعي ؟

وهل بوسعها أن تبتدع نماذج لا تمت بصلة لمعارفها ؟

وإذا كانت هذه المعارف هي انعكاس لطبيعة اوضاعها الاجتماعية - الاقتصادية المعاشة ، وللثقافة التي حصلت عليها نتيجة احتكاكها واطلاعها على معارف بعضها البعض ... إذا كان الامر على مثل هذه الشاكلة ، فهل

abou-adnan.org

بوسعنا إذا ما نظرنا إلى تطور المجتمع العربي ، من منظار المادية التاريخية ، أن نفصل التطور الاجتماعي ـ الاقتصادي والفكري القومي الذي عاشته المنطقة العربية منذ اربعة عشر قرنا عن حركة الدعوة الاسلامية ؟

إن الحركة الاسلامية ، هي حركة عربية قومية ـ حسب مفهوم ذلك الزمان ـ من حيث كونها انعكاس للاوضاع المادية العربية التي كانت سائدة ، والتي بلغت ازمتها الاجتماعية ـ الاقتصادية ، بسبب تعرض طرق القوافل التجارية للهجمات الحبشية والفارسية (كان محمد تاجرا وواعيا لمخاطر تلك الهجمات) ، درجة تردت معها العلاقات بين القبائل العربية لحالة من التدهور خطيرة ، إذ في وقت كانت فيه المخاطر القومية الفارسية والحبشية تطبق على الجزيرة العربية ... في ذلك الوقت كانت القبائل العربية تتقاتل فيما بينها غير واعية للمخاطر المحيقة بها . ورغم حالة التردي تلك فإن أبي سفيان وطبقة السادة القريشيين قد شنوا حربا اهلية على محمد وانصاره من العرب المسلمين واجبروا الرسول على الهجرة إلى المدينة عام ٦٢٢ ، ولكنه قاتلهم وانتصر عليهم بعد ثماني سنوات ...

إن النظام العربي ـ الاسلامي ، كان امتدادا متطورا لاسلوب الانتاج الاسيوي ولدولة الحاكم النائب عن الالهة (التيوقراطية) ، والمسؤول عن الخير والشر وعن الرفاه والعوز ، والاستقرار والكوارث الطبيعية ، بحكم صلته بالالهة التي كان الناس يتوهمون انها مصدر الخير والشر . وليس صدفة أن يولي القرآن جل اهتمامه لتأكيد هذه السلطة المستمدة من الله :

« ... يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير»[٧٠] . ويفسر التمايز الطبقي في المجتمع على انه احدى الايات التي يمتحن بها الله عباده :

«وهو الذي جعلكم خلائف في الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما آتاكم ، إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم»[٧١] .

«إن في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فأحيا به

abou-adnan.org

الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون»[٧٢]

« ...كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا الله ...»[٧٣] .

ولعل القصة التي يرويها القرآن عن كيفية اهتداء ابراهيم لخالقه[٧٤] ، تمثل احدى البينات التي تؤكد مدى خنوع الناس للاوهام ولسلطة الالهة ...

إن فكرة التوحيد التي جاء بها الاسلام ، هي تعبير عن حاجة العرب آنذاك ، لرص صفوفهم في مواجهة الاخطار التي كانت تهددهم ، والازمات التي تاخذ بخناقهم . فقد انحطت مدن في الجزيرة العربية ، نتيجة انقطاع التجارة الهندية ، بسبب تغيير الطريق التجاري الاوروبي - الاسيوي ، والغزوات الفارسية القادمة من الشمال والتي كانت تهدد مكة[٧٥] ، فضلا عن التهديد الذي كانت الحبشة تواجه به عرب الجزيرة .

لقد نجح الاسلام بتحريض العبيد على السادة القريشيين الذين يستعبدونهم ، رغم إنه (الاسلام) اوجد عبودية من نوع جديد ... عبودية السيد الواحد ...

ولكن التسليم بهذه الوقائع التاريخية ، يدعونا لتامل فكرة التوحيد التي استبدلت الالهة المتعددة باله واحد والتي وحدت الحكم والسلطان واناطته بوكيل الرب ، الاله الواحد الاحد ، الفرد الصمد ، النبي والخلفاء من بعده . ولدى تامل ذلك كله سندرك إن تطبيق فكرة التوحيد على سكان المنطقة العرب ، واخضاع القبائل العربية للنظام العربي الجديد الذي جاء به الاسلام ، امر طبيعي ، يلبي حاجات الدفاع عن النفس ومتطلبات مواجهة الاخطار التي كانت تحيط بالعرب ، وقد استتب الامر للنظام الجديد بعد خضوع ابو سفيان وتصريح محمد : «من دخل بيت ابي سفيان فقد اصبح آمنا» ، اي مقبول من قبل الحكم الجديد ، وبهذه الطريقة دخلت العرب في الدين الجديد ، وبدات تواجه الاخطار المتاتية من جهة افريقيا (الحبشة) من جهة آسيا (الفرس) .

abou-adnan.org

لقد حل نظام التوحيد العربي الجديد ، محل النظام القبلي القديم ، واخضع المنطقة بأسرها لسلطانه ...

يقول مؤلفو «عرض اقتصادي ـ تاريخي» : «إن السمة المميزة لتكون الدولة الاقطاعية في بلاد العرب، هي إن الطائفة الدينية كانت نواة التوحيد السياسي»[٧٦] ، ويفسرون ، معارضة سادة مكة القريشيين لدعوة محمد الاسلامية ، بخشيتهم «من ان يؤدي التبشير بالدين إلى سقوط عبادة الكعبة المقدسة وتقويض نفوذ مكة السياسي وصلاتها التجارية مع القبائل العربية»[٧٧] ، وبعد اشتداد ساعد المسلمين «واتفاق محمد ـ ابي سفيان زالت تلك الخشية وحافظت مكة على مركزها السياسي والتجاري ، واصبحت احدى المقدسات الاسلامية ، وقبلة المسلمين[٧٨] ، وبات حجها واجبا على كل مسلم قادر على ادائه بغية تكريس قدسيتها وتدعيم وضعها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي . وتمكن الاسلام بعد فترة وجيزة من انتصاره على الارستقراطية القريشية من توحيد الجزيرة العربية واخضاع سكانها للنظام العربي ـ الاسلامي الجديد . وبعد استكمال النظام لسيادته على الجزيرة العربية وتوحيد قبائلها ، اتجه نحو الشام وفلسطين ، فحررهما من السيطرة الاجنبية ، والحق العرب المسلمون هزائم ساحقة بالروم البيزنطيين وبالفرس (الايرانيين) ، وقد حققوا تلك الانتصارات خلال (٦٣٠ ـ ٦٣٦) أي بعد ست سنوات من دخولهم لمكة ، وفي سنوات ٦٤١ ـ ٦٤٥ ، فتحوا مصر ولم تمض سوى ثلاثين سنة او ما يزيد قليلا ، على قيام نظامهم العربي في مكة حتى تمكنوا من فتح ايران واخضاعها لسلطانهم بعد ان كانت فارس مصدر تهديد لعرب مكة والجزيرة العربية ، وبعد ثمانين سنة دخل العرب افريقيا وسيطروا على اجزاء كبيرة منها ، وانتقلت الخلافة من مكة إلى دمشق .

إن حفاظ الاسلام على أم القرى (مكة)[٧٩] ، واعتبارها احدى المقدسات الاسلامية ، لا يكشف طبيعة النظام الجديد ، فحسب ، وإنما يكشف حاجة العرب الملحة إلى قيادة قادرة على انتشالهم من حالة التردي التي عمت كل نواحي حياتهم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، والتي كان محمد من اكثر عناصر القيادة القريشية وعياً لها بحكم ممارسته لمهنة

abou-adnan.org

التجارة واطلاعه على مدى الخراب الذي يعبث بحياة المجتمع المكي ، بسبب فساد القوى الطبقية السائدة وعجزها عن ادراك ضخامة المخاطر المحيطة بها ...

لقد بذل محمد جهدا كبيرا كي يجعل مسالة الحفاظ على مكة مقبولة لدى المسلمين الثائرين على اهلها . وما تفسيره لدعوته الاسلامية بأنها امتداد لدعوة ابراهيم[٨٠] ، إلا محاولة لتسويغ تكريس تقديس مكة والحفاظ على مركزها ، وقد ادركت قريش فيما بعد كم هي الفائدة الاجتماعية ـ الاقتصادية والثقافية والسياسية التي ستجنيها من انخراطها في دعوة محمد . فقبلا كانت مكة وبالتالي سادتها مجرد مركز تجاري . ورغم مكانتها المقدسة فإن كل قبيلة من القبائل العربية كانت تدين لاصنامها وآلهتها . فجاء الاسلام ليوحد المنطقة ويخضع سكانها لعبادة اله واحد وتقديس موقع واحد والخضوع لوكلاء الاله الجديد وتعاليمهم . ثم ادركت الارستقراطية القريشية إن توحيد العبادة أمر من شانه أن يوفر لها حجة في استخدام العنف لفرض سلطانها بعد أن حملت راية الدين الجديد واحلال الهها الواحد محل الالهة المتعددة التي كانت القبائل تخضع لعبادتها . ولم يكن اسلوب العنف والقسر الذي لجا اليه العرب المسلمون في ارغام القبائل والفئات الطائفية الاخرى ، بمستهجن ، لان تطور المنطقة يعرفه منذ عهد العبودية ، (دولة الحاكم وكيل الالهة) ، علاوة على إن المنطقة بحكم مركزها التجاري كانت مسرحا لحروب الغزو الحبشي والفارسي ، فضلا عن حروب القبائل والممالك العربية نفسها . كما إن رفض الخضوع للدعوة الجديدة ومقاومتها ، يمت بصلة للحرية النسبية التي كان العبيد يتمتعون بها في ظل اسلوب الانتاج الاسيوي .

إن رفض سادة قريش لدعوة محمد الاسلامية ومقاومته في المرحلة الأولى ، فضلا عن انها ردة فعل طبيعية بوجه دين جديد ومفاهيم لم يألفوها من قبل ، فإن ذلك الرفض قد ساعد القريشيين للاطلاع على الدعوة ودراستها والتأكد من فائدتها لهم . ومع أن المقاومة كانت شديدة وقد

abou-adnan.org

اجبرته (محمد) على الهجرة إلى المدينة ، ولكنها لم تجبره على الضياع والتيهان مدة اربعين سنة كما حصل لموسى وقومه ولم تسمره على خشبة الصليب ليكون ضحية دعوته كما حدث لعيسى ، وإنما قادته ليكن سيد قومه ومنقذهم من حالة التردي والانحطاط الاقتصادي ـ السياسي التي كانت تهددهم ، ولم يكن تركيز القرآن على استخدام تعبير « قوم » و « امة » بمثل تلك الكثرة عملا اعتباطياً ، ابدا ، وإنما هو تعبير عن ادراكه بحاجة العرب إلى أن يشعروا بعنصرهم العربي ويعتزوا به كي ينطلقوا لمجابهة الاقوام الاخرى ، كان يريد إثارة الحمية العربية لتحل محل العصبية القبلية التي لم تعد ملائمة لتطور حياتهم الجديدة .

ومثلما أن الاحتفاظ بمكة وتكريس تقديسها وتحويلها إلى مركز لعبادة التوحيد الاسلامية ، يشير إلى النزعة القومية العربية الجديدة التي حملها الاسلام والتي خاضت حروباً طاحنة في سبيل توحيد عرب الجزيرة ، والتي انطلقت استناداً لتلك الوحدة العربية الجديدة ، لتوسع سيطرتها على سوريا وفلسطين ، ثم الانطلاق نحو مصر وافريقيا ... مثلما أن الاحتفاظ بمكة ، رمزاً حضارياً عربياً قومياً ، فإن انتقال مركز الخلافة إلى دمشق ، كان مؤشراً إلى بلورة المضمون الاقتصادي ـ الاجتماعي للنظام العربي ـ الاسلامي الجديد ، نعني الاقطاعية . فـ « الخلافة العربية ـ كانت ـ دولة اقطاعية مبكرة بقيت فيها مخلفات ملحوظة من العلاقات العبودية » . و « كانت الملكية الاقطاعية للدولة هي السائدة في معظم بلدان الخلافة ، كما كان الأمر في المرحلة الأبكر . وكان قسم من الأرض يخص أسرة الخليفة ، وكانت بعض الأراضي ملكية خاصة ، وتسمى الأرض المملوكة .

وفي الدولة العربية تطور بسرعة شكل الملكية الاقطاعية للأرض ، وكانت هذه الأرض تمنح مدى الحياة أو بصورة مؤقتة لقاء الخدمة العسكرية . كذلك وجدت ممتلكات عقارية لا تنقل ملكيتها وتخص المؤسسات الاسلامية الدينية وهي الأوقاف »[٨٨] ...

abou-adnan.org

واذن ، فإن دعوة التوحيد ... توحيد اللغة والوطن والاقتصاد والثقافة ، ضمن اطار تطور تاريخي عربي - اسلامي ...

إن تلك المعطيات كانت تنسجم مع التطور العام للمنطقة ، ومهما كانت المعلومات التي لدينا محدودة ، فإن معرفتنا لوقائع معينة اساسية كافية لاستخراج نتائج هامة . مثلا : الاحتفاظ بمكة، انتقال مركز الخلافة إلى دمشق ، ثم إلى بغداد ، وما يعنيه مفهوم مركز الخلافة من سلطة سياسية - دينية مركزية تتناسب مع طبيعة اسلوب الانتاج الاسيوي في العصرين : العبودي والاقطاعي الشرقي . إن الاحتفاظ بمكة وفرض ضريبة الحج إليها ، يجب أن يفهم على انه تدعيم لمركزها الاقتصادي وتكريس لقدسيتها وجعلها محط انظار المسلمين مثلما كانت القدس محط انظار اليهود والمسيحيين . وانتقال الخلافة إلى دمشق مؤشر واضح لنضج مضمون النظام الجديد وهيمنة المفاهيم والنزعة والعلاقات الاقطاعية على سابقتها . العلاقات العبودية ، أما واقعة انتقال الخلافة إلى بغداد ، ففضلا عن انها تاكيد لهيمنة الاقطاعية ، ولكنها تمثل ايضاً مؤشراً إلى حجم مؤثرات العنصر الاجنبي غير العربي في حياة النظام الجديد . فعلى امتداد العهد العباسي ، أي ما يزيد على خمسة قرون (٧٥٠ - ١٢٥٨) كانت الارستقراطية العربية ، تسير يوماً بعد يوم من ضعف إلى ضعف ، وكان العنصر الفارسي يزداد نفوذاً ليتمكن في النهاية من نخر مركزية الدولة العربية وينتهي ذلك كله إلى انتقال مركز الخلافة الاسلامية إلى خارج الوطن العربي الذي حدده العرب في ظل حركتهم القومية العربية ونظامهم الاجتماعي الاسلامي الجديد .

ولعل ابلغ الوقائع وافصحها ، هي واقعة انطلاق الثورة العربية - الاسلامية ، من منطقة الجزيرة العربية ومن مكة بالذات . إن لهذه الواقعة مغزى هام جداً ، فهي لا تشير إلى موقع تفاقم الأزمة الاجتماعية - الاقتصادية ، وبالتالي الفكرية والسياسية (تهديد الفرس لمكة ومكانتها) ،العربية فحسب ، ولا تدلنا إلى صلات المنطقة التجارية مع القارات الاوروبية والاسيوية والافريقية ، من جهة ، وإلى تآلب الاقوام

abou-adnan.org

الاخرى على العرب وعجز القيادات العربية عامة والقريشية خاصة ، عن الحفاظ على مركز المنطقة التجاري ومواجهة الأخطار التي تهددها ، من جهة أخرى ، فحسب ، وإنما هي (واقعة انطلاق الثورة من الجزيرة) ، تدلنا إلى مستوى الشعور العربي القومي الذي اشار إليه انجلز في رسالته إلى ماركس (راجع الهامش ٨٠) . إنه لواضح ذلك الشعور العربي القومي في رسالة محمد وثورته العربية ـ الاسلامية : في اعتزازه بانتسابه إلى أم القرى ، حيث يقول :

« الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل ... »[٨٢] ، وفي مباهاته بلغته العربية . « ... إنما يعلمه بشر ، لسان الذي يلحدون إليه أعجمي ، وهذا لسان عربي مبين »[٨٣] وقوله : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهير . ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس الا كفورا »[٨٤] ...

من اين لهم ان ياتوا بحركة عربية قومية ترفع راية انقاذ العرب وتعزيز مكانتهم ، كحركة محمد ؟ من أين لهم أن يأتوا بمثله وهو « تنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين »[٨٥] . « تلك آيات القرآن وكتاب مبين »[٨٦] ، إنه القرآن الذي ضربنا للناس فيه من كل مثل ، وجعلناه « قرآناً عربياً غير ذي عوج ... »[٨٧] ويقول ايضاً إنه « تنزيل من الرحمن الرحيم ، كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون »[٨٨] ...

هذا غيض من فيض اكتظت به صفحات القرآن ، ونطقت به آياته ، وكيف يكون التعبير عن الشعور القومي في مثل تلك الظروف والمعارف المتداولة ، إن لم يكن بمثل هذه الصورة ، وبمستوى هذه الدعوة التي جاء بها محمد كي تكون سلاح قومه في مواجهة الأخطار القومية الفارسية والحبشية التي كانت تهدد مكة ومركزها التجاري والروحي .

إن الخلط بين الدين والقومية ، إن دل على غموض في الوعي ، فإنما

abou-aram.org

يدل ايضاً وفي الأساس على مستوى تطور المعارف لدى اهل ذلك الزمان ، وعدم اهتداء الشعوب إلى التحديد الواضح لمفهوم الأمة ، الذي توصلت إليه في مرحلة لاحقة . لم يكن سهلا عليهم ، أن يهتدوا إليه في مستوى تطورهم المتدني بالقياس لمستوى مرحلة الراسمالية وثورتها القومية الحديثة ...

إن فكرة التوحيد ، تعبر عن حاجة عرب الجزيرة إلى تعزيز مكانتهم وتكشف وعياً متقدماً ، لضرورة التغيير في حياتهم الاجتماعية ـ الاقتصادية والفكرية . فالثورة على الالهة التي كانوا يصنعونها بأنفسهم واعتبار ذلك نمط من الأوهام واللاعقل ، وتحميلها (الاوهام) مسؤولية تردي حالتهم التي عبر عنها القرآن بالعديد من سوره وآياته ، وانذر من عواقبها . **إن فكرة الاله الواحد ، فاطر السموات والأرض ، تعتبر ارقى من فكرة اصنام التمر التي كانوا يصنعونها ثم ياكلونها ، او من اصنام الحجر التي كسرها ابراهيم وعجزت عن كشفه** . إن ادراك عرب ذلك الزمن المبكر ، لعجز آلهتهم عن مواجهة اخطار الأقوام والأمم الأخرى ... إن ذلك الادراك قد قادهم إلى نهج قادر على مصارعة الأقوام غير العربية وارغامها على الخضوع لسلطان العرب بات مهدداً . إن الدعوة الاسلامية واسلوب العنف الذي تحققت به ، يكشف نمط التحصين الذي اختاره العرب لوطنهم من المخاطر المحيطة به ، ولذلك بدا الاسلام اول ما بدا في اوساط أم القرى العربية ، في مكة ، وقريش حامية حماها ، واقوى القبائل السائدة آنذاك واكثرها تطوراً وخاض اول حروبه معهم وفتح ابوابه لأبناء القبائل والأقوام غير العربية على اساس المساواة والتوحيد ...

وعندما تنطلق ثورة العرب الاسلامية من فكرة التوحيد (كنتم خير امة اخرجت للناس) فإنه لامر بدهي ان توحد اول ما توحد العرب وتجبرهم على التخلي عن معتقداتهم الدينية كالوثنية واليهودية والمسيحية او على الأقل تلزمهم بالانخراط في صفوف حركتها العربية والذود عن مكانتها ومركزها مقابل الحفاظ على معتقداتهم الدينية في ظل حماية المعتقد الاسلامي الأكبر . ولذلك فإن تبلور عوامل وجود الأمة العربية (اللغة والوطن والاقتصاد والخصائص الثقافية والتاريخ

abou-adnan.org

الموحد) ، ترجع إلى تلك الفترة التي انجبت الاسلام ليكون حامل راية التوحيد والوحدة . ولولا جهل العرب بما نفهمه اليوم عن الامة وحركتها القومية ، وهو جهل مبرر بطبيعة ظروفه لكانوا حملة رايات الوحدة بكل تاكيد ...

إن الاصلاحات التي أحدثتها حركة العرب الاسلامية ، قد قدمت خدمة لتطور المنطقة واسهمت بالحضارة الانسانية ، مثلما خدمت العرب انفسهم ، رغم أن الدعوة الاسلامية قد انقلبت على العرب وجلبت لهم الاستعمار فيما بعد .

لقد جاء الاسلام ، بمثاليات عديدة ، مثله مثل كل الحركات الاصلاحية ، ولكنه في التطور الأخير ما لبث أن **أرسى نظاماً اقطاعياً شرقياً ، قائماً على اساس اسلوب الانتاج الاسيوي المعروفة اسسه ومعالمه** ، وقد الغي العديد من النظم والقواعد القانونية والعادات السابقة له واحل محلها أخرى جديدة ملائمة لأغراضه وأهدافه .

وكان هذا الأمر (الغاء النظم والقواعد القديمة) طبيعياً ايضاً لأنها لم تعد تتطابق مع شروط الحياة والعلاقات الاجتماعية ـ الاقتصادية والسياسية والثقافية الجديدة

لقد عاش العرب في ظل الوحدة ودولتها المركزية ، قرون عديدة . ولم يعترهم الضعف إلا في أواخر العهد العباسي ، حيث تشرذمت دولة الخلافة العربية ، وتخول حكامها العرب إلى مجرد أئمة للمسلمين . **وقد حقق التطور مستويات مرموقة في ظل دولة الوحدة العربية ، « وخلافاً لأوروبا الغربية قامت في خلافة بغداد في القرن الحادي عشر علاقات بضاعية نقدية أكثر تطوراً وهذا ما يفسره لدرجة كبيرة التطور الواسع للتبادل والتجارة الداخلية والخارجية الرائجة التي ساعدت كذلك على نمو المدن التي كانت اماكن تجمع الانتاج الحرفي »** (٨٩) .

يقول مؤلفو « عرض اقتصادي ـ تاريخي » : **وكان الاسلام في العصر الاقطاعي واحداً من أكثر الديانات انتشاراً . إن الطائفة الدينية الاسلامية اصبحت نقطة الانطلاق ، كما راينا ، لتكوّن الدولة**

abou-adnan.org

الاقطاعية في جزيرة العرب . واصبح الاسلام الاساس الايديولوجي للمجتمع الاقطاعي المتكون في الاراضي التي فتحها العرب . وفيما انتشر بصورة واسعة في العديد من بلدان آسيا وافريقيا ، وكذلك في اوروبا جزئياً »[٩٠] .

واذن ، بوسعنا القول ، إن الاسلام وثورته الاجتماعية - الثقافية ، قد خلق الامة العربية الاقطاعية التي كانت الارستقراطية العربية فيها طبقة سائدة تجلس في قمة الهرم السياسي ، ولا تشترك في عملية الانتاج في البلدان التي فتحها العرب ، وقد انهارت وحدة العرب بانهيار الخلافة العربية وانتقال مركزها إلى العثمانيين ، حيث عاش العرب في ظل سيطرتهم ما يقرب من خمسة قرون . إقتنعوا خلالها بان الاسلام الذي حملوا راياته قد اصبح وسيلة لاستعمارهم . فرفعوا شعار وحدتهم من جديد وثاروا على العثمانيين ، وما يزالون يناضلون من اجل تحقيق وحدة امتهم التي عانت التجزئة منذ القرن الثالث عشر حتى الآن .

بوسعنا ، اذن ، أن نلخص ما تقدم ، بالتاكيد على ان نشاة الامة العربية ترجع إلى قرون عديدة وترتبط بشكل وثيق بالدعوة الاسلامية ، التي عملت على صهر القبائل العربية ودمجها في تكوين تاريخي تثبت على مر الايام والسنين .

لقد رفعت الدعوة الاسلامية شعار الامة الاسلامية وهو شعار يتجاوز حدود العرب الجغرافية وحجمهم البشري ، إلى الامم الاخرى وطرحت نفسها باعتبارها خاتمة الدعوات السماوية ، ودعت الناس إلى اعتناقها بغض النظر عن جنسهم أو لونهم أو عرقهم ، ودعمت دعوتها التبشيرية بوسائل القسر والقوة ، فنظمت جيوش المحاربين لغزو البلدان واخضاعها بقوة السيف لسلطان العرب المسلمين ومشيئتهم . فباسم الاسلام تم غزو العديد من البلدان والامم . وكان العرب لا يمارسون الانتاج في البلدان التي يفتحونها ، وكانوا يشكلون ارستقراطية ثيوقراطية .

كان العرب قبل الاسلام ، قبائل منتشرة في صحاري العرب

abou-adnan.org

وبلدانهم ، فجاءت الدعوة الاسلامية حاملة راية التوحيد على أساس الدين الاسلامي ، وحمل القرآن لغتهم العربية الواحدة ، التي قامت على أنقاض اللهجات القبلية العربية المتعددة ، وراح العرب المسلمون يبشرون بالدين الجديد وينشرونه بين صفوف العرب ، فأصبحت لغة القرآن هي لغة التخاطب العربية وبذلك نشأ رباط اللغة الذي راح يلعب دوره في جمع العرب وتآلفهم وانصهارهم في بوتقة التكوين التاريخي للامة العربية فيما بعد .

ولكن الاسلام لم يفرض توحيد اللغة وجعلها لغة واحدة لكل الناطقين بالضاد ، فحسب ، وإنما وحد الأرض والسوق العربية وانشا دولة اقطاعية شرقية مركزية بلغت ذروتها منذ أواخر عهد الخليفة عثمان حين بدأت بغزو الأمم الأخرى ، بداية اتسعت مع العهد الأموي ، وبذلك أوجدت الصلات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، ووحدت الخصائص النفسية ، توحيداً استكملت معه الأمة العربية وحدتها القومية وأصبحت متلاحمة بفضل تكون عوامل وجودها ، اللغة والأرض والاقتصاد الاقطاعي الشرقي والخصائص النفسية ...

رابعاً ـ الشيوعيون العرب وقضية وحدة الأمة العربية :

إننا نلتزم بمنهج المادية التاريخية في عرض قضية الأمة والأمة العربية ، إنما نهدف إلى التوصل لفهم كيفية حل هذه المعضلة التي تواجه الثورة العربية ، عامة والطبقة العاملة العربية على وجه الخصوص ، إذ بما أننا نريد لحركتنا الشيوعية أن تستجيب لداعي التطور الموضوعي وتتحمل مسؤولية قيادة الثورة وانجاز مهامها القومية والطبقية ، فإن قضية وحدة الأمة العربية تفرض علينا ، لكي نكون ماديين جدليين ، أن لا نكتفي بعرضها (معضلة الوحدة) ، وإنما نضع الحل الملائم لها ...

إن الكفاح في سبيل وحدة الأمة العربية ، بقدر ما هو كفاح قومي فهو كفاح طبقي في الوقت نفسه . وبما أن قضية الوحدة العربية قومية ، وبما

abou-adnan.org

أن القضايا القومية هي من وجهة نظر الماركسية ـ اللينينية ، قضايا طبقية أيضاً ، فإن مضامينها (القضايا القومية) ، وبالتالي حلولها تختلف من طبقة لأخرى .

إن حركة الطبقة العاملة العربية الشيوعية ، تعاني من عجز النظرة الملتزمة من قبل الأحزاب الشيوعية العربية ، تجاه قضية وحدة الأمة العربية . فهذه النظرة تنكر وجود أمة عربية واحدة وتعتبر العرب شعوب متعددة ، لا تتوفر لها عوامل وجود الأمم التي حددها ستالين في مؤلفه « الماركسية والقضية القومية » وخاصة العامل الاقتصادي . وهذا الانكار ليس مقصوراً على المرحلة الراهنة ، فحسب ، وإنما هي (الاحزاب الشيوعية) تنكر صيرورة الأمة العربية عبر التاريخ العربي ، وتقول بوجود أقوام عربية ، تنتسب إلى عرق عربي ، لم تتوفر له عوامل وجود الأمة ، أي أنها (نظرة الأحزاب الشيوعية العربية) ، تلغي مرحلة التطور العربي الوحدوي منذ بدء الرسالة المحمدية في مستهل القرن السابع الميلادي ، حتى القرن الثالث عشر ، يوم بلغت الوحدة العربية درجة انتقل معها العرب من مرحلة القبلية والعبودية الشرقية ، إلى مرحلة الاقطاعية الشرقية ، سابقين التطور في أوروبا ، ومتقدمين عليه بقرون . فضلا عن أن نظرتهم لا تفسر الكيفية التي أصبح فيها العرب خاضعين للاستعمار العثماني طيلة مرحلة الانحطاط العربي التي تمكن خلالها العثمانيون من نقل مركز الخلافة الاسلامية وفرض سيطرتهم القومية على العرب طيلة خمسة قرون ...

إن الانحطاط ، صفة تطلق بقرينة الحالة السابقة ، التي يفترض فيها ، أن تكون نقيضة للانحطاط . وعندما نصف حالة العرب إبان مرحلة صدر الاسلام والعهد الاموي وخلال القرنين الأولين من العهد العباسي ... عندما نصف تلك المرحلة بأنها مرحلة صعود العرب ، التي بدأوا ينحطون بعدها ، فإننا مطالبون بأن نعطي تفسيراً مادياً تاريخياً لمراحل الصعود والانحطاط ، كي نتمكن من اصدار أحكامنا وتحديد نظرتنا للحاضر والمستقبل . **أما اجترار التاريخ الأوروبي بلسان عربي ، فليس مادياً تاريخياً ، وإنما هو استعارة لا تليق بالشيوعيين العلميين .**

abou-adnan.org

إن انكار تكون الأمة العربية في التاريخ القديم ، بحجة يتيمة ، مستمدة من كون الاقتصاد الاقطاعي لا يكون وحدة سوق متكاملة ... إن مثل هذا الانكار ، ينطوي على جهل تام بالحركة الاسلامية ونظامها الاجتماعي ـ الاقتصادي الاقطاعي الشرقي الذي اقامته خاصة في العهدين الاموي والعباسي من جهة ، وانه (الانكار) ، يكشف عن نظرة اوروبية لتطور يختلف عن طبيعة تطور مجتمعاتنا من جهة اخرى .

إن محاكمة وجود الأمة العربية بمقياس العامل الاقتصادي البضاعي الرأسمالي ينتهي باصحابه إلى العجز عن رؤية التاريخ العربي، وبالتالي عن رؤية الأمة العربية . الأمر الذي جعل الأحزاب الشيوعية العربية تقوم على أساس اقليمي ، قياماً جزا حركة الطبقة العاملة العربية ، وعزلها عن قضايا الأمة العربية القومية ، وحولها إلى مجرد أحزاب اقليمية لا تربطها رابطة بوحدة النضال القومي ، مما جعلها عاجزة عن طرح الحل القومي البروليتاري لقضية وحدة الأمة العربية ، ووضعها ، من الناحية العملية في صف التجزئة والقوى الطبقية الداعية لتفتيت الوطن العربي والهزء بكل الحقائق التي جسدها التطور الموضوعي . إن شيوعياً لا يرى وجود أمة عربية في العهدين الأموي والعباسي وفي ظل الامبراطورية العربية ـ الاسلامية التي اقامها العرب ، ليس بوسعه أن يرى الجانب السلبي في نهوض العرب الاسلامي ، أي الدور الاستعماري الذي لعبه العرب المسلمون ويعجز عن رؤية مكانة الأمة العربية في الامبراطورية العربية الاسلامية .

وإذا انطلقنا من اعتبار طبقة الاقطاعيين التي كانت تقف على رأس النظام العربي ـ الاسلامي قد كانت هي الأمة العربية ، وإذا غضضنا النظر عن طبقات وفئات الكادحين العرب الذين كانوا يرزحون تحت نير السلطة الاقطاعية العربية ... إن تجاوزنا قليلا على الواقع الموضوعي الذي اقامه الاسلام ، فسنجد أنفسنا أمام سؤال هام ما يزال ينتظر من الشيوعيين جواباً علمياً ، وهذا السؤال هو :

هل كانت الأمة العربية تتربع فوق الأمم الأخرى أم تحتها ؟ أين

abou-adnan.org

كانت مكانة الأمم التي اخضعها العرب لسلطانهم الاسلامي ؟ هل كانت تنوء تحت سلطة العرب أم كانت فوقهم ؟ وهل كان المسلمون سواسية وكان غير العربي يعامل تماماً كما يعامل العربي ، أم ان الأمة العربية كانت فوق والأمم الأخرى تنوء تحت وطأة سلطانها ؟

ان النهاية البائسة لنظرة الحزب الشيوعي الفرنسي (الفرع الجزائري) التي كانت تعتبر الجزائر جزءا من فرنسا ، تكفي لكشف نظرة الاحزاب الشيوعية التي تغمض عيونها عن قضية العرب القومية اليس تحرر الجزائر من فرنسا ، تطورا يصب في النهاية في مجرى الثورة العربية التي هي اساسا ثورة وحدوية ؟

ان كل تحرر من السيطرة الاستعمارية ، يحققه قطر عربي هو جزء من العمل الوحدوي ، لان الوحدة العربية في جوهرها تقدمية وثورية لانها ابرز واهم مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية مثلما هي مهمة للثورة الاشتراكية ايضا . الوحدة العربية ، باعتبارها هدفا لايتجاوزها النضال ابدا ، مهما بلغ التطور ، فهي هدف الكفاح حتى تتحقق. فان حققتها الثورة الوطنية الديمقراطية رعتها وطورتها الاشتراكية وان عجزت الاولى عن تحقيقها انجزتها الثانية ...

لقد رفضت الاحزاب الشيوعية ايلاء قضية الوحدة العربية ماتستحقه من جهد نضالي معتبرة اياها قضية تخص البورجوازية ، ولم يكن نصيب القضايا القومية الاخرى اكبر من نصيب الوحدة . ولكن ماهي شهادة الوقائع على نظرة هذه الاحزاب الى قضايانا القومية ؟

تكفي الاشارة الى تذبذب مواقف هذه الاحزاب وتقلب نظرتها وتقديراتها ، للحكم على افلاس نظرتها وغربتها عن اللينينية ...

على امتداد نصف القرن الماضي انقلبت على موقفها اكثر من مرة . **ويكفي** تدليلا على خطأ نظرتها انها رجعت الى الاهتمام بالقضايا القومية تحت تأثير البورجوازية وحركتها القومية ...

لقد ادارت الظهر لقضايا الامة العربية القومية وانشغلت تهتف

abou-adnan.org

بسقوط الحرب بين العرب واليهود . ثم اكتشفت خطأ هذا الموقف ، وعادت للاعتراف بالقضايا القومية ، وبلغ الامر ببعضها ان حل نفسه للتدليل على انتفاء مبررات وجوده بسبب قيام الثورة الوطنية الديمقراطية !

ان نظرة ستالين لاتصلح لان تكون قانونا لحل قضايا كل الامم الوحدوية لانه اساسا استند الى الحالة التي كانت سائدة في اوروبا وعممها ونظرته تعاني من الجمود ، لانه يلغي ديالكتيك العوامل الاخرى غير العامل الاقتصادي البضاعي الرأسمالي ، وحين نتأمل عاملي اللغة والارض **وهما عنصران لايخلقهما العامل الاقتصادي البضاعي الرأسمالي الذي يتحدث عنه ستالين** ، لانهما سابقان لظهور الانتاج البضاعي الرأسمالي ، اليست اللغة رابطة التخاطب والصلة بين ابناء الشعب الواحد ؟ بها يتحدثون وبواسطتها يتفاهمون وبالاستناد اليها يتمكنون من توحيد رؤاهم ومفاهيمهم وبالتالي نضالهم في سبيل قضاياهم المادية والمعنوية ؟ ثم اليست الارض هي الموقع الذي تقوم عليه اللغة والاقتصاد والاجتماع ؟ ان جامعتي اللغة والارض ، موجودتان قبل وجود العامل الاقتصادي البضاعي الرأسمالي وهما اللذان يحتضنان تراكم التطور التاريخي الذي تتثبت عبره الامم ويحفظانه ، فكيف يلغى اثر اللغة والارض والتاريخ بمجرد عدم توفر الاقتصاد البضاعي ، واين التأثير المتبادل بين عوامل وجود الامة المتعددة ؟ وهل يصح ان يلغى وجود الامة لمجرد غياب عامل واحد ؟ !

ان الرفيق ستالين وبالتالي الاحزاب الشيوعية العربية مطالبة بأن تجيب على السؤال التالي :

لقد رفع الرسول محمد شعار الامة الاسلامية وتابعت الحركة الاسلامية من بعده كفاحها من اجل تطبيق هذا الشعار « **كنتم خير امة اخرجت للناس** » ، وتمكنت من إقامة الامبراطورية الاسلامية بقوة السيف . واصبح للاسلام مركز للخلافة . والسؤال :

من اين تأتى لمحمد رفع شعار الامة لو لم يكن مفهوم الامة مطروح قيد التداول قبل ظهوره هو ؟

ان مفهوم او مقولة « الامة » لم ترد في القرآن اعتباطا وانما وردت في

abou-adnan.org

سياق المحاججة والتدليل على ان « الامة الاسلامية » خير من الامة المسيحية والامة اليهودية والوثنية ... الخ .

ولكن ورود هذا المفهوم على لسان محمد يؤكد شيوعه (المفهوم) واستخدامه في العهود السابقة لعهد الاسلام ، ومن غير الممكن نشوء المفاهيم بشكل اعتباطي وانما هي (المفاهيم) تنشأ لحاجة موضوعية يفرض التعبير عنها (الحاجة) بلورة مفاهيم محددة وصياغتها . ولو لم تكن الامم موجودة منذ ذلك التاريخ لما وجد المفكرون حاجة لصياغة مفهوم الامة . لذلك فان الاشكال والمضامين الاقطاعية التي بلغها تطور الشعوب الى امم ، لايصح الغائه او طمسه بقرينة شكل الامة الراسمالية اذ لكل من هذه الاشكال خصائصه ومواصفاته .

مما تقدم نستدل على ان الامم موجودة قبل ظهور الاقتصاد البضاعي الراسمالي ، ولكنها (الامم) كانت تعبر عن وجودها الاجتماعي - الاقتصادي والثقافي ، بشكل غامض يتناسب ومستوى التطور في تلك العهود . فحين تكون امة ما قوية فانها تبادر الى اخضاع الامم الاخرى تحت ذرائع مختلفة اهمها ذريعة الدين ، وحين تكون امة ما ضعيفة فانها تدافع عن نفسها وتذود عن مقومات وجودها . ونتيجة ذلك شهد التطور البشري التاريخي نشوء الامبراطوريات التي كانت تقوم على هذا الاساس . وعندما نشأت البرجوازية الصناعية الحديثة باحشاء النظام الاقطاعي وضمن حدود اوطانها واممها المثبتة تاريخيا ، اندفعت تحت ضغط مصلحتها الى محاربة الاقطاعية والى توحيد سوقها ووطن امتها التي تتحدث بلغة واحدة وتعيش على ارض وطنها الواحد ويشترك ابناؤها بخصائصهم الثقافية والنفسية الواحدة ، ومع ذلك الاندفاع بدأت البورجوازية تبلور حركة الامة القومية وتصوغ مفاهيمها مركزة على وحدة الوطن اي وحدة السوق والارض ، ووحدة الشعب اي تحريره من التجزئة الجغرافية والفكرية والسياسية واعادة صياغة عاداته وتقاليده ، واعرافه وفقا لمصلحتها الطبقية واهدافها العامة التي تحظى في مراحل الصعود الثوري بتأييد الجماهير ودعمها .

ان التنكر لوحدة الامة العربية يحتم على دعاته ان يفسروا

abou-adnan.org

وحدة القبائل العربية بفضل الحركة الاسلامية بل والتطور الذي سبق الاسلام ايضا . وصدور القرآن وصيرورة لغته لغة لكل الناطقين بالضاد ، وقيام النظام الاجتماعي - الاقتصادي الاقطاعي العربي الاسلامي والدولة الاموية ثم الامبراطورية الاسلامية . وان يخرجوا من عرض تطورات التاريخ العربي على امتداد اربعة عشر قرنا بدليل مادي يثبت عدم وجود امة عربية وعدم وجود حضارة عربية ، كي يقولوا بعدها ان العرب مجرد عرق قومي مايزال في طور التكوين والصيرورة !

إن الامة العربية مثبتة تاريخيا ويدلل وجود القرآن على وحدة لغتها ، اما وحدة وطنها فلا تحتاج الى دليل لأن حدودها معترف بها ، وللتدليل على وحدة خصائص شعبنا العربي الثقافية والنفسية تكفي العودة إلى التاريخ العربي لمعرفة تكوين هذه الخصائص والنظرة الى الواقع الراهن وانشداد الجماهير العربية الى القضية الفلسطينية بما انها أبرز قضية قومية . اما العامل الاقتصادي ، فقد تمثل في اقتصاد الدولة العربية الاسلامية ونظامها الاجتماعي .

طبعا ، ليس معنى هذا التفسير ان اليهود او المسيحيين او الوثنيين الذين رفضوا الدخول في الاسلام قد فقدوا انتماءهم القومي العربي ، لان مفهوم الامة الاسلامية كما استخدمه الاسلام يتجاوز حدود الانتماء القومي ، انطلاقا من كون الرسالات السماوية تنزل للبشرية جمعاء وليست لقومية بعينها ، لذلك كان الصراع بين الامم القومية يدور حول الهيمنة على العالم بأسره وليس حول الحدود كما هو الشأن في ايامنا هذه .

ان السؤال الذي يتحتم على كل شيوعي الاجابة عليه هو التالي : ما الموقف الواجب على الشيوعيين العرب اتخاذه تلقاء شعار الوحدة العربية ، هل يؤيدونه ام يعارضوه ؟ وان كان الجواب يؤكد تأييد شعار الوحدة العربية ، اذ ليس بوسع اي حزب شيوعي ان يعارض رفع هذا الشعار وان جازت له معارضة مضمون الوحدة ان كان رجعيا ومعارضة كيفية تطبيقها ، ان كان فوقيا ... اذا كان هذا هو الجواب ، فان الطبقة

abou-adnan.org

العاملة وحركتها الشيوعية مطالبة بان تكتفي بتأييد شعار الوحدة ومباركة قيامها وإنما يتحتم عليها ، إذا ما ارادت ان تلعب دورها التاريخي الطليعي ان ترفع هي شعار وحدة الامة العربية ، وتصوغ برنامج النضال من اجل تحقيقها وتأخذ على عاتقها بلورة حيثيات دعوتها الوحدوية الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية وان يكون برنامجها الوحدوي واضحا ومفصلا كي تتداوله الجماهير العربية تداولا لا يعري عجز البرنامج الوحدوي البرجوازي فحسب ، وانما يمكن الحركة الشيوعية من معالجة مشكلات الاقليات القومية وطرح حلول مبدئية ملائمة ومعبرة عن التزامها الايديولوجي وعقيدتها الشيوعية .

كيف يمكن للعمال ان يكونوا اممين ويناضلون من اجل توحيد مختلف الامم ، دون ان يكونوا قوميين يناضلون من اجل توحيد امتهم المجزأة ؟ وهل يستطيع توحيد الامم الاخرى من يعجز عن توحيد امته المجزأة ؟ ثم اين هو التعارض بين قومية العمال واميتهم ، ما دامت كل طبقة تصنع التاريخ وفقا لمصالحها ؟ هل تتغير مصلحة العمال العرب الطبقية ، اذا ما وجهوا نضالهم نحو تحرير فلسطين وتوحيد الامة العربية ، ويتحولون من اممين الى قوميين شوفينيين ؟

ان النزعتين القومية والاممية تشكلان ، ربما بدرجات متفاوتة ، جزءا اساسيا من وعي العمال في ايامنا هذه ، فمعاداة الامبريالية ليست متوقفة على الاممين وانما هي نزعة يحملها الشيوعي الاممي مثلما يحملها البورجوازي القومي ، واي تطرف او تعصب يرفع معاداة الامبريالية درجة اعلى ، يؤدي بالتاكيد الى خدمة الحركة الثورية بصورة عامة من اية جهة اتى ، ولذلك، لا يجوز ولا مبرر للخوف على العمال وهم مسلحون بمثل مستوى الوعي الذي تتمتع به جماهيرنا ، من الانحراف او الانجرار وراء الحركة القومية التي فقدت كل بريق ، وانكشفت على حقيقتها عاجزة عن الفعل النافع للجماهير عامة والعمال على وجه الخصوص .

abou-adnan.org

ان مشكلات وقضايا الامة العربية القومية سواء تعلق الامر بالعرب أن بأبناء القوميات الاخرى ، تدعو الطبقة العاملة لطرح حلول علمية وموضوعية ناضجة كي تصبح وحدة الجماهير الشعبية في كافة اقطار وطننا العربي حقيقة ملموسة ، وكي تتمكن الطبقة العاملة من انتزاع زمام المبادرة النضالية من يد البورجوازية الوطنية ، ليس استئثارا ولا انانية طبقية وانما من اجل البورجوازية نفسها ايضا .

ان الطبقة العاملة مطالبة ، بأن تصوغ برنامجها الوحدوي كي تؤكد على دور الجماهير الشعبية في النضال من اجل الوحدة وتقرير مضمونها وشكلها واسلوب تحقيقها ، وكي ترى الاقليات القومية بوضوح . ان وحدة العرب لن تكون على حساب وجودها وحقوقها او حريتها في تقرير مصيرها ، وانما هي (الوحدة) ستكون سندا اكيدا لكادحي هذه الاقليات القومية وضمانة لحرية جماهيرها الشعبية ، وتتأكد ساعتها ان المساواة التي توفرها قيادة الطبقة العاملة هي المساواة الحقيقية وان الحرية لكل ابناء الشعب على اختلاف طبقاتهم وقومياتهم الوطنية مضمونة ومكفولة لكل الملتزمين ببرنامج الطبقة العاملة الوطني الديمقراطي الوحدوي ...

اننا نعلم ان البورجوازية تحاول اظهار حركتها القومية بمظهر المعبر عن مصالح الامة العربية ، بجميع طبقاتها ، وهي بادعائها هذا تضلل جماهير العمال والفلاحين الفقراء وقطاعات واسعة من البورجوازية الصغيرة . وان كشف هذا التضليل وانتزاع زمام قيادة حركة الكفاح الوطني الديمقراطي الوحدوي من يد البورجوازية ، يتطلب وقتا ليس بالقصير وليس بالسهل ، ولكن ذلك كله لايضيرنا ، فالمهم ليس انتزاع زمام القيادة من يد البورجوازية في هذه المرحلة ، وانما المهم ان نبدأ خطوتنا الاولى بطرح برنامجنا الوحدوي المعادي للامبريالية والصهيونية والرجعية كي يكون موجها لنضال جماهيرنا ، اما طول او قصر المسافة التي تفصلنا عن انتصار برنامجنا فليس هو المهم في ظل المرحلة الراهنة ... مرحلة « معسكر داوود » ... مرحلة الخيانة القومية وتدهور مكانة الحركة القومية البورجوازية ...

abou-adnan

ان التضليل البورجوازي ، ان وجد ظرفا يلائمه في مراحل صعودها (البرجوازية) ونهوض حركتها القومية ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية ، فانه (التضليل) يصبح عاريا تماما وينكشف امام اقل الناس وعيا في مراحل العجز والانحراف والتراجع عن الثورة والخيانة القومية .

ولكن ، اذا كنا ، نحن ممثلي ، الطبقة العاملة وجماهير الفلاحين الفقراء ، ناخذ على البرجوازية وحركتها القومية ادعاءها بتمثيل جماهير الامة العربية وندين تضليلها ... اذا كنا نفعل ذلك انطلاقا من حرصنا على ضمان مصالح جماهيرنا الطبقية . واندفاعا وراء توعيتها (الجماهير) وتحريضها ضد البورجوازية وخداعها ، فاننا نرتكب حماقة كبرى ، وربما نقترف خطيئة التضليل البورجوازية نفسها ، اذا لم نعترف بدور تقدمي ووطني للحركة القومية البورجوازية ، لان عدم اعترافنا يعني اننا نعمل ، على طمس دور البورجوازية الوطنية كما تعمل هي على طمس دورنا التاريخي وهي (البورجوازية) في غالبيتها الكبرى بورجوازية صغيرة ، والحدود ، كما هو معروف بين العمال وفقراء الفلاحين وجماهير البورجوازية الصغيرة غير مفصولة بسور صيني . وحين نقول اننا اقدر من ممثلي البورجوازية على التعبير عن مصالح عموم الفلاحين وسائر الجماهير البورجوازية الصغيرة ، فان قولنا هذا يحتم علينا احترام رأى هذه الجماهير وتمكينها من ان تعبر عن مصالحها ، كي تستطيع لعب دورها التاريخي ضمن برنامجنا المعد لمرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية .

ان البورجوازية الوطنية وحركتها القومية ، تؤدى دورا وطنيا - تقدميا خلال مرحلتين ، او حالتين : في حالة صعود حركتها القومية ونهوضها ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية، اولا ، وفي حالة تحالفها مع الطبقة العاملة وحركتها الشيوعية وتعاونهما في جبهة عمل وطني ديمقراطي تقدمي من اجل انجاز مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية على الوجه الاتم ، وايجاد الاساس المادي والتكنيكي للثورة الاشتراكية ، ثانيا : والفرق بين دورها في كل من المرحلتين ، يكمن في انها (البورجوازية)

abou-adnan.org

لاتستطيع متابعة كفاحها الوطني حتى النهاية ، في المرحلة الاولى اذ تعجز عن انجاز المهام الوطنية الديمقراطية ،وترضخ لضغوط الامبريالية والصهيونية والرجعية فتنحرف عن طريق الثورة وتسقط في مستنقع الخيانة القومية ، في حين انها (البورجوازية) تتمكن من لعب دورها كاملا في المرحلة الثانية بفضل التزامها ببرنامج الطبقة العاملة المعد لانجاز مهام الثورة الوطنية الديمقراطية . ولكن لابد من ان ننتبه الى ان تحالف البورجوازية الوطنية والتزامها ببرنامج الشيوعيين الوطني الديمقراطي لن يتحقق مالم تشعر الجماهير البورجوازية عامة والصغيرة على وجه الخصوص وتلمس اننا نعبر فعلا عن مصالحها ونناضل في سبيل انجاز المهمات الوطنية الديمقراطية التي هي مهمات تخص هذه الجماهير مثلما تخص العمال والفلاحين الفقراء ان لم يكن بشكل اكبر فعلى الأقل على حد سواء ...

ولكن ، هل بوسعنا ، نحن الشيوعيين ان نعبر عن مصالح جماهير البورجوازية الوطنية الغفيرة مالم تتحول حركة العمال والفلاحين الفقراء الى حركة بروليتارية قومية للامة العربية اي لجميع الطبقات التقدمية والوطنية التي يتكون منها الشعب العربي في جميع اقطار وطننا الكبير من المحيط الى الخليج ؟

ان تحالف العمال والفلاحين ، يستحيل تحقيقه ، وان تحقق فسيبقى تحالفا هشا عاجزا عن لعب دور الطليعة الثورية ، مالم يعبر فكريا ونضاليا عن ايمانه بقضايا الامة العربية القومية والطبقية وان يترجم هذا الايمان ببرامج واضحة وبعمل نضالي دائب ودائم . ان الشيوعيين الذين يتنكرون لوحدة الامة العربية وقضاياها القومية انما يتنكرون لمشاعر جماهير شعبهم ويزدرونها ، تنكرا وازدراء سوف يبقيهم معزولين عن محيطهم الجماهيري ومتقوقعين على مفاهيم تعبر عن عجزهم عن لعب دور طليعة الطبقة العاملة الثورية !

ان الطبقة العاملة العربية وحركتها الشيوعية ، الثورية جديرة بأن تستعيد حماس انجلس للوحدة الالمانية وحملته الشديدة على التجزئة الالمانية التي ، **تمزق جسد الامة وتبدد طاقتها** ، **ودعوته الى محاربة**

اعدائها واستثارته للحماس (عام ١٨٥٩) القومي للالمان ضد نابليون الثالث والقيصر الروسي ، تلك الحرب التي رأى فيها ماركس وانجلس :« ان المانيا تلعب في الحرب وجودها القومي » . وكانا يميزان بين البلاط البروسي والاقطاعيين والرأسماليين وجمهور الشوفينيين ، وبين مصلحة الامة الالمانية ، التي هي الوحدة » واذا التقى الشيئان على الوحدة ، فهذا لايغير شيئا في كون الوحدة ضرورية لالمانيا وللتقدم »[٩١] ...

وعندما يضيف انجلس لعناصر الثورة المحمدية العربية الاسلامية المادية (انحطاط التجارة) ، عنصرا ذاتيا قوميا ، حيث اعتبر طرد الاحباش ، الذي تحقق بحوالي ٤٠ عاما قبل الاسلام ، اول فعل ليقظة الشعور القومي العربي الذي كانت تشحذه ، فضلا عن ذلك ، غزوات فارسية قادمة من الشمال ، كادت تصل الى مكة » ... عندما يعتبر انجلس تلك الوقائع ، صورة ظاهرة للعيان ، عن اول فعل ليقظة الشعور القومي العربي ، افلا يتحتم على الطبقة العاملة العربية وحركتها الشيوعية ان تقتدى بمعلميها وتبدى شعورا يليق بها لقضية الامة العربية الاولى ... قضية وحدتها التي تعاني من التمزق وتحكم الامبريالية والصهيونية والرجعية ؟

معلوم ان الدولة ، ليست عنصرا من عناصر تكوين الامة ، ولذلك فان السؤال الذي يواجه كل الذين ينكرون حقيقة الامة العربية ، يتعلق بـ « الدول العربية » القائمة اليوم ... وما اذا كانت تمثل «أمم عربية » ام امة واحدة ؟

واذا كان الجواب نفيا لوجود الامة العربية وتنكرا لوحدتها في التاريخ ، ففي اي من عناصر تكوين الامم يكمن الاختلاف بين « الامم العربية » ... افي اللغة ، ام في الارض والوطن ، او في التكوين النفسي والثقافي ، ام في الاقتصاد وقد سبق الكلام عن كون الرأسمالية هي السمة العامة التي تطبع الاوضاع العربية ؟ وماهو المدى التاريخي الذي استغرقه تكوين « الامم العربية » . وماهو افقه التاريخي ؟

لقد نشأت عوامل وجود الامم في اعماق التاريخ ، وقد استغرق

abou-adnan.org

تكوينها (الامم) وقتا طويلا جدا ، اما الدول فنشوؤها لايحتاج لمثل هذا المدى التاريخي الطويل ، لانها (الدول) بناء فوقي يعكس واقع الامة الموضوعي . فان كانت الطبقات السائدة اقطاعية ، فان دولتها ستكون اداتها لفرض سلطة الاقطاع وان كانت بورجوازية فان الدولة ستكون راسمالية ، وان كانت الطبقة العاملة هي السائدة فان الدولة ستكون اشتراكية ، ولكن الامة واقع ثابت بعناصره المكونة رغم التغييرات التي تحدث في مضمونها وتركيبها الفوقي .

اذا كان المستعمرون اوجدوا التجزئة لتكون قاعدة سيطرتهم المادية ، فان الشيوعيين الذين ينكرون وجود الامة العربية ولا يناضلون في سبيل تحقيق وحدتها القومية ، يقفون من الناحية العملية الى جانب المستعمرين . لانهم يبنون حكمهم على الامة العربية بالاستناد الى عدم وجود دولة واحدة ، ومعلوم ان ادخال الدولة كعنصر مكون للامة ، يعني حرمان الامم المضطهدة التي لاتتوفر لها دولة من التعبير عن حقيقتها الموضوعية ...

ان اعتبار الاقطار العربية « امم عربية » يدخل الدولة باعتبارها عنصرا من عناصر تكوين الامة ، وهو اعتبار يفضي بكل تاكيد الى تبرير الاستعمار والاضطهاد الذي يمنع الامم من الكفاح في سبيل حقها في الاستقلال والوحدة .

إن لقب او صفة امة لا ترتبط بوجود او عدم وجود دولة فقد نشأت في التاريخ امبراطوريات ضمت اكثر من امة ولكن ذلك لم يعن ولن يعني ان تلك الامم التي ضمت بقوة الحديد والنار قد فقدت عناصر تكوينها ووجودها ، إذ تمكن العديد منها ان ينتزع حقه في الوجود والاستقلال والوحدة .

لا ريب في أن الدولة مساعد قوي على نمو الامة . ولذلك تناضل الشعوب من اجل قيام دولها المستقلة ويناضل الشيوعيون الثوريون العرب من اجل دولة الوحدة العربية .

يعبر جياب باستمرار عن اعتزازه بتاريخ امته الفيتنامية - وبكون الشعب الفيتنامي يناضل منذ القرن الثالث عشر في سبيل حريته ... جياب

abou-adnan.org

يعتز بماضي شعبه النضالي وبعض الشيوعيين العرب ، يشمئز من مجرد رؤيته للتاريخ العربي ، وكأن تاريخنا كله فساد ورجعية ، وإن ليس فيه ما يدعو الى الاعتزاز والتمجيد !

إن الواقع العربي القائم ، يبرز امام انظارنا بشكل واضح تماما ، عناصر اللغة والارض والتكوين النفسي والثقافي ، اي عناصر ثلاثة من عناصر تكوين الامم . ومعلوم أن هذه العناصر لا تتكون في مدى زمني قصير كما هو شأن العامل الاقتصادي البضاعي الرأسمالي الذي يرتبط بوجود سلطة طبقية مركزية تعمل على تكوينه وفرضه ، ومعلوم أن تبلور عوامل وجود الامة العربية الثلاثة ، آنفة الذكر ، قد تتطلب تاريخا طويلا ، واستقرارا للمجموعة العربية !..

إن السؤال الذي تطرحه ظاهرة وجود جامعة اللغة العربية ، والوطن العربي ، والخصائص النفسية والثقافية العربية ، هو في اي المراحل تكونت هذه العوامل الثلاثة ، وفي ظل أي نمط اقتصادي ، يا ترى ؟ واذا كان الرفيق ستالين ، معذور عن الاجابة على هذا السؤال ، بحكم جهله للتاريخ العربي ، فما هو عذر الشيوعيين العرب ؟

إن الواقع العربي الراهن ، يضعنا امام خيارين اثنين كلاهما يحتم على الشيوعيين النهوض باعباء الكفاح الوحدوي ، وهذان الخياران هما :

إما التسليم بكون الامة العربية موجودة بحكم وجود العوامل الثلاثة الاولى ، وأن تطورها التاريخي على امتداد الاربعة عشر قرنا قد بلورت عوامل وجودها الشاخصة امام انظارنا ، والتي تدعونا الى استكمالها بالكفاح ضد التجزئة القائمة والاطاحة بها واقامة دولة الوحدة العربية التي تتطلبها عوامل الوجود التي باتت ضاغطة من اجل استكمال عامل الاقتصاد البضاعي ...

وإما أن الامة قد تكونت وتجلت وحدتها في العهد الاموي وبالتالي فهي امة تعاني من التجزئة ومطلوب من الشيوعيين تحريرها من نير التجزئة وتحقيق وحدتها التاريخية .

abou-adnan.org

إن الجدل النظري حول وجود او عدم وجود الامة العربية في التاريخ ، امر مفيد وهام ولكن ما يهمنا نحن هو المحصلة التي سيخرج بها هذا الجدل الفكري ، ولذلك فإننا نعتقد ان وجود الأمة العربية امر لا يجوز التشكيك فيه ، إطلاقا ، بحكم توفر العوامل الدالة عليه .

إن الشيوعيين مطالبون بان يجسدوا مصالح الامة العربية ، وهذا هو الامر الاهم من كل الجدل النظري المتعلق بوجود او عدم وجود الامة العربية في التاريخ القديم .

يجب على الشيوعيين أن يكشفوا حقيقة البورجوازية العربية الحاكمة ويدحضوا دجلها ، ويؤكدوا أنها بحفاظها على التجزئة إنما تحافظ على مصالحها الطبقية ، تأكيدا يتجلى في كشف التناقض بين المصلحة العربية القومية وبين مصالح البورجوازيات العربية ، من جهة ، وفي بلورة الانسجام بين مصلحة الطبقة العاملة العربية ومصلحة الامة العربية القومية ، من جهة اخرى .

إن إقرارنا بوجود الامة العربية ونضالنا في سبيل وحدتها ، يفرض علينا الالتزام بشرط ضروري بدونه ، لا يمكننا احراز النجاح اطلاقا ، عنينا شرط وحدة الطبقة العاملة العربية ، اذ بدون ان تحقق الطبقة العاملة العربية وحدتها الطبقية فإن تحقيق وحدة الامة العربية يصبح أمرا غير ممكن ، لأن اساس الوحدة العربية الموضوعي يتمثل في وحدة الطبقة العاملة العربية الطبقية والسياسية لذلك فإن وحدة الحركة الشيوعية العربية تمثل شرطا اساسيا من شروط نجاحها في جمع العمال والفلاحين وكل فئات الامة العربية الوطنية والتقدمية حول برنامجها الهادف تحقيق اهدافها في التحرير والديمقراطية والاشتراكية والوحدة والتضامن البروليتاري الاممي ...

إن الشيوعيين الذين يفصلون نضالهم الطبقي عن النضال القومي من اجل الوحدة العربية وتحرير فلسطين ، إنما يتحولون إلى نقابيين اصلاحيين ، تحولا يجعلهم عاجزين عن اللحاق بحركة التطور التاريخي

abou-adnan.org

التي تنزع نحو وحدة العرب القومية .

إن الحماس الذي نبديه تجاه قضية الوحدة العربية لا ينطلق من وعي قومي بورجوازي ضيق ، لأننا مؤمنون حقا ، بقضية الطبقة العاملة العربية الاممية ، وإن ايماننا الاممي هو الذي يدفعنا لمثل هذا الحماس ، يقينا منا بأن الاممية تصبح نزعة عائمة غير موضوعية ما لم ترتبط بقضية الوطن وتنطلق منها !..

معلوم أن الثورة الاشتراكية ـ الشيوعية التي هي هدف الطبقة العاملة النهائي ، لا تتسم بطابع قومي في الاساس ، وإنما الاممية هي سمتها الاساسية ، التي هي تجليا لمحتواها الطبقي البروليتاري ... ومع ذلك فإن كفاح الطبقة العاملة وطليعتها الشيوعية ، يرتدي طابعا قوميا ، مفروضا بحكم الواقع الموضوعي المتجسد في الوطن القومي الذي نشأت فيه الطبقة العاملة ونمت . وبدون ان يكتسب نضال العمال طابعه القومي المحدد فإنه سوف يبقى نضالا عائما بدون هدف ، يدور في حلقة مفرغة لا جدوى من ورائها ، فلكي يكتسب كفاح العمال مضمونه الطبقي لا بد أن يتوجه ويصطدم بالقوى الطبقية البورجوازية ضمن اطارها القومي ، توجها واصطداما يستهدف كسب الحرب الطبقية التي يشنها العمال وحلفاؤهم الفلاحين ضد البورجوازية وحليفتها بقايا الطبقات الاقطاعية ، وانتزاع القيادة السياسية من يدها ، وأن يجعلوا من انفسهم قيادة للامة ويصبحوا هم الامة نفسها على حد تعبير البيان الشيوعي الصائب .

واذن ، فإن اكتساب كفاح الطبقة العاملة لسمته القومية امر مفروض بحكم واقع الامة القومي القائم اولا ، وبحكم طبيعة الصراع الطبقي الذي تخوضه الطبقة العاملة ضد البورجوازية ضمن الاطار القومي ، ثانيا ، ولكون الطبقة العاملة لا تستهدف في هذه المرحلة الغاء وطنها القومي وإنما ستحافظ عليه ريثما تتمكن من تحقيق وطنها ، الاممي الشيوعي الاشمل ، في مرحلة بعيدة لاحقة ، ثالثا .

يتضح أن نزعة البروليتاريا القومية تختلف عن حركة البورجوازية القومية ، فالعمال يناضلون لانتزاع قيادة الامة من يد

abou-adnan.org

البورجوازية في وطنهم وبناء امة حرة قومية ، تقدمية وسعيدة ، على انقاض بورجوازيتهم ، وفي الوقت نفسه يناضلون مع بروليتاريا البلدان الاخرى في صراعها ضد البورجوازية العالمية .

إن الاعتراف بكون الامة ، حقيقة تاريخية قومية موضوعية ، يحتم التسليم بضرورة ان يجري كفاح العمال الطبقي ضمن اطار هذه « الحقيقة التاريخية القومية الموضوعية » اي ضمن اطار الامة وعلى المستوى القومي ، كي لا يتحول الى صيغة فارغة من اي مضمون ، وكي لا يغدو مجرد نزعة عالمية عائمة . لأن المهمة ـ المعضلة التي تواجه اليوم الشعوب وطليعتها الطبقة العاملة ، هي ليست مشكلة تجاوز الحدود القومية والغائها ، بعد أن تفقد مغزاها بسبب قيام الاقتصاد الشيوعي العالمي ، وزوال العزلة القومية ، وحلول الثقة والتقارب بين الامم محلها ... ليست هذه هي المهمة ـ المعضلة التي تواجه الشعوب وطليعتها الثورية الطبقة العاملة وانما المعضلة التي تواجهها اليوم ،هي معضلة تحررها من النير الاستعماري وسيطرة الراسمالية ، وإقامة اوطان قومية مزدهرة ، وامم اشتراكية متآخية ومتحابة . فليس واردا ، ولا يجوز أن يفهم من تاكيد الشيوعية على التضامن البروليتاري الاممي أن توحيد الامم الاشتراكية يعني الغاءها . وإنما اتحادها على اسس من الثقة والتعاون والازدهار ، تمهيدا لخلق الاساس الاقتصادي الشيوعي العالمي الموحد ثم خلق اللغة الاممية الواحدة ، وساعتها تـزول الدول والامم لتحل محلها مؤسسات وهيئات وادارات شيوعية تجسد حقيقة الانسانية وجوهرها ، تجسيدا يجعل من حياتها نعيما هو الجنة التي بقيت البشرية تحلم بها دون طائل !...

إن تحديدنا لطبيعة عصرنا الراهن ، بأنه عصر الانتقال من الراسمالية الى الاشتراكية ، يجب ان يدفعنا الى ادراك أننا في عصر الانتقال للوطن الاشتراكي الاممي ، اي أن نضالنا الاممي في هذه المرحلة ، بقدر ما يستهدف القضاء على الراسمالية وتحقيق الاشتراكية ، فإنه يستهدف في الوقت نفسه تجاوز الاوطان القومية ، وخلق الاسس الموضوعية والشروط الذاتية للوطن الأممي . ولن تتوفر هذه الاسس ، بغير التماثل الاجتماعي

abou-adnan.org

الاقتصادي والفكري والسياسي والثقافي ، بين الامم ...

لذا ، فإن نضالنا في سبيل الوطن الاشتراكي الاممي ، يستند الى نضالنا من اجل تحقيق اوطاننا القومية ، وينطلق منه ، اذ لا يمكن بلوغ الوطن الاممي قبل بلوغ الوطن القومي . والشيوعيون الذين يديرون الظهر للنضال القومي الوحدوي ، بحجة انصرافهم للنضال الاممي ، لن يكونوا اكثر من لاجئين سياسيين وعالة على النضال الاممي .

عندما نرجع الى البيان الشيوعي ، لنطالع مقولة معلمي الطبقة العاملة : « ليس للعمال وطن بالمعنى البورجوازي للكلمة » ، وعندما ندرك ان مهمة الشيوعيين ، تتركز في تحويل الامم البورجوازية الى امم اشتراكية ... عندما ندرك هذه الحقائق ، فلا بد أن ندرك أن الاطار الذي ننجز فيه الفعل الحقيقي والانجاز المصيري ، يتمثل في وحدة الوطن القومي .

وماذا يعني هذا كله ؟

إنه يعني أن الشيوعيين الذين لا يدركون اهمية وضرورة وواجب النضال في سبيل وحدة الاوطان القومية ، لا يدركون ولن يستطيعوا ان يسهموا في تحقيق الوطن البروليتاري الاممي !..

وإذن ، فإن الشيوعيين العرب ، ملزمون بحكم الضرورة الموضوعية ومجبرون على خوض النضال من أجل تحقيق تحرير فلسطين ووحدة الأمة العربية .

إن النضال القطري يشكل اساسا للكفاح القومي ، وإن النضال القومي يشكل منطلقا للكفاح البروليتاري الأممي ، هذه هي المعادلة التي يجدر بالشيوعيين العرب وعيها وإرساء كفاحهم على اساسها .

abou-adnan.org

الفصل الخامس

مهام
الحركة الشيوعية العربية

اولا : تمهيد وايضاح .

ثانيا - مهام الحركة الشيوعية العربية.

abou-adnan.org

abou-adnan.org

اولا - تمهيد وايضاح :

ما دمنا ننطلق من اعتبار الطبقة العاملة العربية هي المسؤولة عن انتشال الثورة العربية من مأزق العجز الذي يحتضنها ، فإ الحركة الشيوعية ، والحالة هذه تصبح مسؤولة عن انجاز مهام حركة التحرر الوطني العربية . لذا ، فإننا سنتحدث عن مهام المرحلة القادمة التي ينبغي أن تكون هدفا لكفاح الطبقة العاملة وحلفائها الفلاحين والمثقفين الثوريين وكل الذين لهم مصلحة في النضال ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية ومن اجل تحرير فلسطين وتحقيق وحدة الأمة العربية وانجاز مهام ثورتها الوطنية الديمقراطية بغية الانتقال الى الاشتراكية .

إننا إذ نلقي مسؤولية تحقيق مهام حركة التحرر الوطني العربية ، على عاتق حركة الطبقة العاملة الشيوعية العربية ، لا ننطلق من استخفاف بدور القوى والعناصر الوطنية والديمقراطية الاخرى ، ولكننا نعتقد ان معالجة معضلة الثورة العربية وحل ازمتها يتمثل في ايجاد برنامج جذري قادر على حل المشكلات الوطنية والديمقراطية التي عجز البرنامج البورجوازي عن حلها . وبما أن الطبقة العاملة من بين جميع الطبقات ، هي الطبقة الوحيدة القادرة على صياغة مثل هذا البرنامج وانجازه على الوجه الأتم . فإن حركتها الشيوعية ملزمة بصياغة مثل هذا البرنامج ، وبما أن البرنامج يحتاج ، كي يوضع موضع تطبيق عملي ، الى تعاون جميع القوى التقدمية والوطنية ، فإن تحالف العناصر والقوى الوطنية والديمقراطية مع طليعة الطبقة العاملة يصبح واجبا تلقيه حركة التطور التاريخي على عاتق كافة الطبقات التقدمية والوطنية .

إن تطورات نصف القرن الماضي قد اكدت على أن كفاح حركة التحرر الوطني العربية، سيبقى يدور في حلقة مفرغة، ما لم تنهض الطبقة العاملة العربية بقيادة كفاح جماهيرنا . ولكن نضال الطبقة العاملة ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية لا يمكن ان يحرز النجاح ما لم تستطع الحركة الشيوعية العربية القيام بدورها الطليعي التاريخي . وهي (الحركة

abou-adnan.org

الشيوعية) لن تستطيع القيام بدورها هذا ما لم تجمع حولها الغالبية الساحقة من العمال والفلاحين والجنود والمثقفين الثوريين ، وليست هناك وسيلة أجدى وأجدر لتحقيق هذه الغاية من وسيلة العنف الثوري بكل اشكاله السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، وافضل وسائل العنف الثوري هي البندقية ، ولذلك تعتبر قضية امتلاك السلاح من قبل الشيوعيين والتعلم عليه واستخدامه في صراع الجماهير المسلح ضد اعدائها القوميين والطبقيين ، من القضايا الاساسية التي يجب ان توليها الحركة الشيوعية العربية اهتماما فائقا ، كي تكون بمستوى التطورات اللاحقة التي تنتظرها منطقتنا العربية والتي نعتقد ان الحروب الاهلية ستكون إحدى اشكالها في البلدان العربية عامة والبلدان البورجوازية الدكتاتورية على وجه الخصوص ...

وقبل أن نعرض ابرز مهام المرحلة الراهنة التي يتحتم على نضال الطبقة العاملة وطليعتها الحركة الشيوعية العربية الموحدة التركيز عليها ... قبل ان نعرض لهذه المهام نجد انفسنا ملزمين بجلب انتباه رفاقنا إلى اننا لا نلقي الكلام على عواهنه ، ولا نتشدق بجملة ليس اسهل من تدوينها على الورق ، وإنما نحن نستعرض واقعا مفروضا على الحركة الشيوعية العربية ، يجب أن تتعامل معه باسلوب ثوري غير الاسلوب الاصلاحي الذي درجت عليه ، إن ارادت ان تجدد دورها وتنسجم مع تطورات احداث بلداننا ...

إن المهمة صعبة ولا اصعب ، واداؤها يتطلب تضحيات جسيمة قد لا تتمكن الاشكال الحزبية المنتشرة في البلدان العربية القيام بها ، وقد يتحتم على الشيوعيين ان يتعلموا المزيد والمزيد من الدروس والعبر ، وقد يحتاج ذلك كله الى وقت ، ربما يكون طويلا ... ولكن مهما كانت التحفظات والاعتبارات التي تفرضها الموانع والعقبات ، فإن جوهر الامر ومضمونه ، يبقى هو هو بدون تغيير . وخلاصته النهائية : هل إن الشيوعيين على استعداد لأن يلعبوا دورهم التاريخي المحدد ؟

abou-adnan.org

إن التسليم بوجاهة السؤال يحتم على اصحابه ان يبداوا الخطوة الاولى ، وإن ينبذوا الاصلاحية ويرفعوا رايات العنف بكل اشكاله ، ويستميتوا في سبيل الثورة وقيادة كفاح الجماهير العربية .

هذه هي الحقيقة التي تعلمناها من دراستنا لتجربة الحركة القومية العربية منذ نشوئها حتى الآن ...

وهذا هو الدرس الذي استخلصناه من دراستنا لتجربة الحركة الشيوعية العربية منذ نشوئها حتىٰ الآن ...

وهذه هي العبرة التي استنبطناها من تجربة شعبنا العربي في الجزائر ...

وهذه هي العبرة التي امتلكناهامن كفاح شعبنا العربي في اليمن الديمقراطية ...

وهذا هو التوجيه الذي اخذناه من تجربة كفاح شعبنا العربي في عمان ...

واخيرا وليس آخرا ، هذا هو الدرس الكبير الذي تلقناه من تجربة شعبنا العربي الفلسطيني اذ بقي شعبا مشردا لاجئا ، لا يحسب له حساب غير حساب الهبات والصدقات من ذوي الاحسان والمعروف السادة الذين يملكون الاموال وفتات الموائد ! وما ان حمل البندقية ورفع راية العنف الثوري في سبيل قضيته حتى بدات الارض تميد من تحت اقدام الجميع ، وإذا بالعالم كله ينشغل بقضيته ويحسب حسابا لكفاحه وتضحياته !..

هذه هي دروس تاريخنا الحديث ، فمن من الشيوعيين لديه دروس ابلغ منها ، فليتفضل يعلمنا اياها وسنكون تلاميذ مطيعين وطلابا مريدين ، فهل من متبرع يعلمنا ما يدعونا للتخلي عن قناعاتنا ، ويغرينا باستبدال العنف الثوري بالنهج الاصلاحي وتبذير الجهد والتضحيات في سبيل الجلوس على كرسي وثير من كراسي البرلمان على امل اقناع الامبريالية والصهيونية والرجعية ، بأن تفسح المجال للشيوعيين كي يصححوا الاوضاع ويضعوا الامور في نصابها ... هل من متبرع ؟

abou-adnan.org

ثانيا ـ مهام الحركة الشيوعية العربية :

أما مهام حركة الشيوعيين الثوريين في وطننا العربي فهي عديدة ، اذا ما حاولنا النظر اليها من الناحيتين القطرية والقومية ، وليس بوسع هذه الدراسة العامة أن تحيط بها ، لذلك فسنكتفي ببعض عناوينها الرئيسية التالية :

١ ـ متابعة النضال ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية بدون هوادة :

إننا لمؤمنون بأن اية مهادنة للامبريالية والصهيونية والرجعية ، لن تؤدي اطلاقا لغير الحاق الضرر البالغ بكفاح شعبنا العربي ، وأي تكتيك يستند الى هذه المهادنة يقود حتما إلى طريق شعار ازالة آثار العدوان السيء الصيت والمحتوى وبالتالي الى كامب دايفيد ، وإذا ما تورط الشيوعيون بالسماح لتكتيك مهادنة اعداء شعبنا القوميين والطبقيين لأن يوجه كفاحهم فإنهم لن يعودوا بغير خفي حنين تماما كما عادت الاحزاب الشيوعية العربية من رحلتها البائسة منذ عام ١٩٦٧ حتى الآن .

إن نضالنا ضد الامبريالية عامة والامبريالية الاميركية خاصة وعملائها يجب أن يتصاعد باستمرار ويجب أن يشمل العالم كله . فبقدر ما نركز هجماتنا المباشرة على مصالحها الموجودة في بلداننا ، علينا أن ندعم كل النضال المناهض للامبريالية ، بدون هوادة أو كلل .

إن النضال ضد الامبريالية مهمة لا تخص مرحلة معينة ولا تعني طبقة واحدة وإنما هو نضال دائم ، يهم كل الطبقات التقدمية والوطنية ، ولكن الطبقة العاملة هي التي يجب أن تتصدر هذا النضال وتقوده نظراً لكونه يخدم اهدافها ويحقق مصالحها ، اولا ، ولكون الطبقات الوطنية الاخرى غير قادرة على متابعة النضال ضد الامبريالية إلى نهاياته الحاسمة بسبب طبيعتها الطبقية البورجوازية التي تجعلها عاجزة عن تحمل اعباء الكفاح الثوري بدون هوادة وحتى تتحرر البشرية من الامبريالية ونظامها الرأسمالي الامبريالي ، ثانيا .

abou-adnan.org

إن للطبقة العاملة مصلحة كبرى في متابعة النضال ضد الامبريالية وتصعيده ليس لانها (الامبريالية) عدوها القومي الرئيسي فقط بل ولان هذا النضال خير وسيلة لتعبئة الجماهير واستقطاب مشاعرها القومية فضلا عن انه وسيلتها (الطبقة العاملة) للتعبير عن وعيها الاممي المناهض لعدوها الطبقي العالمي .

٢ ـ متابعة النضال من اجل تحرير فلسطين :

إن الطبقة العاملة وحركتها الشيوعية ، هما المؤهلتان والمعنيتان بالقضية الفلسطينية بما انها اهم قضايا شعبنا العربي القومي المطروحة آنيا على جدول الكفاح العربي الثوري .

إن الزخم النضالي الذي تختزنه قضية تحرير فلسطين ، يجب أن تستثمره الطبقة العاملة وحركتها الشيوعية في مناهضة الصهيونية والامبريالية والرجعية .

ليس هناك بين اوساط سائر القوى التقدمية والوطنية من يعارض كون الصهيونية من اكثر فئات الامبريالية رجعية وعدوانية . ويكفي للتدليل على هذه الحقيقة أن نوجه انظار هذه القوى إلى فلسطين حيث يقوم الكيان الصهيوني على اغتصاب تراب الوطن الفلسطيني في حين إن الشعب الفلسطيني يعيش لاجئا منذ اكثر من واحد وثلاثين سنة ، أما الجريمة التي ترتكب في جنوب لبنان حيث تتجلى فاشية الصهيونية بأوضح مظاهرها البشعة ، فدليل جديد على طبيعة اسرائيل العدوانية .

لذا ، فإن مناهضة كامب د يفيد يجب ان تكون مناهضة حقيقية وفاعلة ، ولكي تكون حقيقية وفاعلة فانها (المناهضة) مطالبة بأن تكون ضد التسوية السياسية وضد تجزئة النضال إلى مراحل كما يفعل دعاة شعار ازالة آثار العدوان . إن الضمانة الأكيدة لانتصار نضالنا ضد الصهيونية واسرائيل تتمثل في استمراره (النضال) حتى النصر . أما اولئك المناضلين

abou-adnan.org

الوطنيين والشيوعيين الذين اكتشفوا مؤخرا إن «شعار حتى النصر» لا يعني غير الذهاب إلى القبر ... أما اولئك المناضلين فهم لا يفعلون اكثر من اعاقة النضال وعرقلته وحرفه عن مساره التاريخي . انهم يكشفون عن عفوية وتجريبية قاتلة . فيوم كان نضالهم في بداياته لم يلحظوا غير الامل بالنصر وتحت تأثير هذا الامل انخرطوا في الكفاح الثوري المناهض للصهيونية والهادف تحرير فلسطين ، وحين اشتدت عليهم وطأة ردود فعل الكفاح وضيقت عليهم القوى الصهيونية والامبريالية والرجعية الخناق ، فقدوا ذلك الامل ولم يعودوا يرون فلسطين ، وبدأت صورة اسرائيل تتراءى امام انظارهم ولذلك اصيبوا بقصر نظر بعد أن لبسوا نظارات العجز البورجوازي ، وباتوا يتعثرون في متاهات التسوية السياسية وصحاري السلام العادل والدائم الذي هو في نهاية المطاف سلام لاسرائيل والصهيونية والامبريالية والرجعية ! ..

إن النضال ضد التسوية السياسية الاستسلامية يجب أن يكون احدى وسائل الطبقة العاملة وحركتها الشيوعية التي تساعدها على كشف عجز البرجوازية وفضحها أمام الجماهير العربية ...

إن قضية تحرير فلسطين ، اهم قضايانا القومية التي يسمح النضال في سبيلها للشيوعيين بحمل السلاح وامتلاكه والتعلم عليه واستعماله . فأي نمط من الشيوعيين هذا الذي يدير ظهره للقضية الفلسطينية . وهي القضية القومية التي تفتح امامه ابواب ممارسة العنف الثوري المسلح على مصراعيها ؟

إن هذا النمط من الشيوعيين حين يتحدث عن النضال الديمقراطي ، في ظل ظروف بلداننا وفاشية الطبقات الحاكمة ، فإنه يكشف بحديثه هذا عن عدم اهليته ، وعدم استحقاقه حمل لقب شيوعي ثوري ملتزم بقضايا شعبه القومية والطبقية .

إن النضال الديمقراطي العام ، على اهميته ، لا يرقى إلى مستوى الوسيلة الرئيسية التي تجعل من الطبقة العاملة وحركتها الشيوعية في طليعة حركة التحرر الوطني العربية ، إنه (النضال الديمقراطي)

abou-adnan.org

مهما ارتقى سوف يبقى الشيوعيين حبيسي اطار العمل الاصلاحي شانهم شان انشط النقابيين كلما حققوا زيادة في الاجور تمتصها الزيادة في الاسعار ، يستهلكون طاقاتهم ويبددون نضالهم بدون طائل !

٣ ـ النضال من أجل وحدة الامة العربية :

إذا كانت مواصلة الكفاح ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية ومناهضة التسوية السياسية الاستسلامية من اجل استمرار النضال الهادف تحرير فلسطين العربية ، مهمات قومية وواجبات وطنية وطبقية في آن معا ... وإذا كان الكفاح من اجل هذه المهمات يفتح للشيوعيين الثوريين ابواب العنف المسلح ويوفر لهم الاسلوب الثوري في مجابهة العنف الامبريالي ـ الصهيوني ـ الرجعي .. إذا كان الكفاح ضد اعداء شعبنا القوميين والطبقيين يتيح لنا فرص تأهيل حركتنا الشيوعية كي تصبح طليعة ثورية لكفاح شعبنا العربي فأن ربط هذا النضال بقضية وحدة الامة العربية القومية ، من شأنه أن يكسب حركة الطبقة العاملة العربية الشيوعية بعدا قوميا يتسع لتوحيد كفاح شعوب اقطار وطننا العربي بأسرها ...

إن النضال من اجل وحدة الأمة العربية ، لا يستطيع أن يبلغ نهايته المنطقية ويتكلل بالانتصار ما لم يستند إلى الجماهير ويجسد ارادتها ويعبر عن مشاعرها ، لان قضية الوحدة هي قضية الجماهير الشعبية العربية الواسعة ، ويكفينا أن نجلب الانتباه إلى وقائع حرب ١٩٤٨ ، للتدليل على صحة رؤيتنا هذه .

كانت الجيوش العربية التي خاضت الحرب ضد الصهيونية في فلسطين لمواجهة قيام إسرائيل آنذاك ، سبعة جيوش لسبعة دول . وكما هو معلوم فقد خاضت تلك الجيوش الحرب من اجل الحيلولة دون اغتصاب فلسطين وابقاءها عربية ، كان هذا هو هدفها (الدول العربية) المعلن . واكثر من ذلك الم تكن هذه الحكومات والجيوش التي ارسلتها لتحارب من اجل انقاذ فلسطين ، جيوش وحكومات رجعية مرتبطة بالاستعمار الذي اوجد اسرائيل والذي ما يزال يحميها ؟

abou-adnan.org

فإذا كانت الحكومات التي ارسلت جيوشها للقتال هي حكومات رجعية عميلة ، فما هي اذن الاسباب القاهرة التي اجبرت هذه الحكومات لان تتصرف ضد ارادة سادتها المستعمرين ؟

اليس لان هذه الحكومات وجدت نفسها مضطرة لأن تقوم بهذا العمل لكي تتجنب نقمة شعوبها العربية الغاضبة ؟

وإذا قيل بأن هذه الحكومات لم ترسل جيوشها ايمانا منها بالاهداف والغايات التي اعلنت كأسباب لارسال الجيوش العربية ، بل انها قامت بعمل تكتيكي شكلي لخداع الجماهير وارضائها .. إذا طرح مثل هذا القول فإننا نتساءل ايضا لماذا لم تقم بهذا العمل التكتيكي الشكلي حكومة ايران او حكومة تركيا مثلا ؟ اليس لانها لم تشعر بالحاجة إلى القيام بمثل هذا العمل التكتيكي الخادع والمضلل ؟

ثم الم تسد القناعة بعد هزيمة الانظمة العربية آنذاك بين صفوف الجماهير بأن العرب انهزموا لأنهم كانوا سبعة جيوش ، ولو كانوا جيشا عربياً واحداً لكان من الصعب أن يهزموا ؟ ثم الم يكن انكشاف خيانة هذه الحكومات وعدم اخلاصها وجديتها سبباً بارزاً من اسباب سقوط العديد منها الأمر الذي جعل الذين قادوا الانقلابات لتغيير هذه الانظمة قد ادرجوا بل اعتبروا القضية الفلسطينية ومجابهة اسرائيل على رأس الاسباب التي دفعتهم للتغيير ، وكلنا يذكر دور قضية الاسلحة الفاسدو في تصميم الضباط المصريين على احداث الانقلاب وفي تبريره فيما بعد ؟

لقد كانت هذه القضية من اكثر القضايا وضوحا بذهن الضباط وقبولها سببا للانقلاب من قبل الجماهير . طبعا كانت الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الفاسدة هي الظروف الموضوعية التي جعلت التغيير أمراً ممكناً وبالتالي ادت إلى نجاحه بعد حدوثه ، ولكن مع ذلك فإن القضية الفلسطينية وقضية السيطرة الاستعمارية كانت من القضايا الرئيسية التي دفعت إلى الانقلاب وبررت قيامه . وبغض النظر عن مأخذنا على الكيفية التي يفهمون بها الوحدة ، فإننا نتساءل : ألا يفسر لصالح قضية الوحدة ، خروج الانقلاب المصري عن قطريته واتباعه لنهج

abou-adnan.org

وحدوي ؟

إن عبد الناصر ومجموعة الضباط الذين يشاركونه الرأي لم يكونوا وحدويين ، ولكنهم اتجهوا للوحدة فيما بعد . وهم لم يتعلقوا بقضية الوحدة ، إلا بعد أن وجدوا فيها قوة تمكنهم من تحقيق مطامحهم وهم في اوج اندفاعهم . وهذا الأمر بحد ذاته برهان على ما للقضايا القومية من اهمية لكل الذين يسهمون بالنضال ضد القوى الامبريالية والصهيونية والرجعية .

صحيح إن القوى اليمينية والرجعية قد تستغل قضية الوحدة وتشوهها ، مثلما فعلت عام ١٩٤٨ في تظاهرها في مناهضة قيام اسرائيل ومثلما فعلت عام ١٩٥٨ ، يوم اقامت الاتحاد العربي (الهاشمي) ردا على وحدة مصر وسوريا ، ولكن حتى هذا الامر ، هو برهان لصالح الوحدة ايضا ، ذلك إن الرجعية لم تتظاهر بمقاومة الصهيونية ولم تتظاهر بالحرص على العمل الوحدوي ، إلا لانها تريد أن تضلل الجماهير .

إن ارتباط التجزئة العربية بالوجود الاستعماري وبعملائه الرجعيين أمر من شأنه أن يزيد من تعلق الجماهير بمفهوم الوحدة مما يتطلب أن يكون قيام الوحدة عاملا يعمق عواطف الجماهير العربية من خلال تلبية مصالحها وتجسيده ، بشكل ملموس لآمالها وامانيها في أن تحظي بمستويات معيشية وحياتية افضل في ظل الوحدة ، وقد اعطت وحدة مصر وسوريا عام ١٩٥٨ شيئا من هذا القبيل يوم ضربت الاقطاع وباشرت بالاصلاح الزراعي وضربت الراسمالية الكبيرة بتأميم المصالح الكبرى كالشركة الخماسية ، وشاركت العمال بادارة المصانع والارباح وغيرها .

إن تحقيق وحدة عام ١٩٥٨ بين مصر وسوريا ، وتكرارها (التجربة) باتحاد الجمهوريات العربية المتحدة والدعوة للوحدة الاندماجية بين مصر وليبيا وما قيل عن وحدة المغرب العربي ، إن تكرار الوحدة بمثل هذه الاشكال المختلفة والمتباينة يدل على إنها قضية ممكنة التحقيق وإنها تحتل مكانة بارزة بين أهم القضايا والأهداف القومية .

إننا نتساءل : الا يدل تشكيل قوات الانصار التي تمثلت فيها اربعة

abou-adnan.org

احزاب شيوعية على إن الاحزاب الشيوعية العربية وجدت نفسها امام ظروف موضوعية فرضت عليها ذلك النمط من اللقاءات والمشاورات والعمل المشترك الذي أدى إلى تشكيل قوات الأنصار؟ ثم الا يدل عدم مشاركة الحزب الشيوعي السوداني فيها على أنه لم يكن واقعا تحت تأثير مثل هذه الظروف ؟ وفضلا عن كل ذلك فاننا نتساءل : هل يصح للاحزاب الشيوعية أن تكون مواقفها ناتجة عن ضغط الظروف الموضوعية ؟ ثم الا يعني ذلك إن هذه الاحزاب إذا ما سارت على مثل هذه التبعية للظروف الموضوعية فإنها سوف تعجز عن أن تكون الفاعل الموجه للاحداث ؟

بطبيعة الحال ليس خطأ أن يستجيب حزب سياسي للتغييرات التي تطرأ على الظروف الموضوعية ، إنه موقف سليم ، ولكن سلامته لا تحرر الحزب من الذيلية للاحداث ، إلا إذا مثلت تلك الاستجابة نقطة انطلاق جديدة يستطيع الحزب معها أن يناضل لتلافي الاخطاء في موقفه السابق ، نضالا يمكنه من أن يحتل مكانه الطليعي بعد أن كان في المؤخرة .

لقد وجدت الاحزاب الشيوعية العربية نفسها ، في المؤخرة بعد هزيمة حزيران ، فاضطرت لان تلحق بالركب ، فغيرت مواقفها وشكلت قوات الأنصار، والسؤال الذي يطرح نفسه هو: لماذا لم تكن هناك قوات انصار أردنية واخرى سورية وثالثة لبنانية ، ورابعة عراقية مثلما وجدت صاعقة وجبهة تحرير عربية ؟

اليس لأن الاحزاب الشيوعية لا ترى في الخلافات بينها ما يبرر قيام منظمات انصار متعددة كما هو حال الاحزاب القومية ؟ ثم الا يعني ترك قضية الوحدة للعفوية ، إننا نتركها للبورجوازيين يتصرفون بمضمونها ويتاجرون بها تصرفا ومتاجرة قد تكرس الاقليمية وتوطدها وتشوه الوحدة امام الجماهير ؟

«يعتبر البعض من الشيوعيين ، قضية الوحدة العربية من قضايا المستقبل ولا يصح العمل من اجلها في الحاضر ، ويعتبرون الاهتمام بقضية الوحدة من شأن القوميين ويحددون موقف الشيوعيين بالتأييد للخطوات

abou-adnan.org

الوحدوية لان (الوحدة لا يمكن أن تكون هدفا بذاتها) للشيوعيين ، على حد تعبير بعضهم ، بحجة امكانية أن يكون للوحدة محتوى غير اشتراكي ، وهو امر يتعارض مع الاشتراكية التي هي هدف الشيوعيين .

إن القول بأنه من الممكن أن يكون للوحدة محتوى بورجوازي ، هو قول صحيح لان الامكانية واردة وقد تحققت في السابق والبورجوازية ما تزال تحاول أن تحقق الوحدة التي تضمن مصالحها وامتيازاتها ، كما إن القول بأن الهدف الرئيسي للشيوعيين هو الاشتراكية ، هو الاخر قول صحيح ايضا . ولكن الخروج من هذه المقدمات بالنتيجة التي تقول بأن (الوحدة العربية ، وكل خطوة وحدوية بوجه عام ينبغي أن تساعد على تقوية وتوسيع وتعميق النضال ضد الاستعمار والامبريالية وفي سبيل التقدم الاجتماعي والاشتراكية) ... إن هذه النتيجة التي يستخرجها البعض تنطوي على تناقض مع مقدماتها . فليس كل خطوة وحدوية يمكنها أن تحقق هذا الغرض ، وقد كانت هناك خطوات وحدوية كان الهدف منها تثبيت الوجود الاستعماري والرجعي كالاتحاد (الهاشمي) مثلا[٩٢]، كما أن الشكل الوحدوي الذي تحقق بقيام اتحاد الجمهوريات العربية ، وكذلك خطوة الميثاق التي خطاها البعثيون في كل من العراق وسوريا لم تكن خطوات لتحقيق النتيجة التي توصل اليها بعض الشيوعيين ؟

فإذا كنا مؤمنين بما ينبغي أن تكون عليه الوحدة العربية وأية خطوة وحدوية ، فعندئذ سنكون ملزمين بأن نحدد محتوى الوحدة التي نريدها ، وأن نناضل في سبيل وحدتنا لتكون مثالا وقرينة نعارض بها وحدة البورجوازيين ، إذا كنا نؤمن بالفعل بأن ثورتنا الوطنية الديمقراطية لن تصل إلى نهاياتها الحاسمة بدون توفر قيادة الطبقة العاملة لها ، وإلا فكيف يمكن أن نجعل من الوحدة العربية وكل خطوة وحدوية عملا (يساعد على تقوية وتوسيع وتعميق النضال ضد الاستعمار والامبريالية وفي سبيل التقدم الاجتماعي والاشتراكي) ؟

إن ايجاد تعارض بين الاشتراكية والوحدة امر خاطىء ، كما إن اعتبار الوحدة ليست هدفا للشيوعيين ، هو الاخر امر خاطىء لانه تبرير

abou-adnan.org

لابقاء الاحزاب الشيوعية في مواقع الذيلية للاحزاب البورجوازية ، وهو امر يناقض اللينينية التي تقول بقيادة الطبقة العاملة للثورة الوطنية الديمقراطية التي تعتبر الوحدة هدفا من اهدافها . إن قيادتنا للثورة الوطنية الديمقراطية هي التي تمكننا من تحقيق الاشتراكية ، والعكس غير صحيح .

إننا نؤيد ونعارض في آن معاً كل خطوة وحدوية تحققها البورجوازية : نؤيد الجوانب الايجابية فيها ونعارض مواقفها السلبية الخاطئة لان الهدف منها تثبيت الوجود الاستعماري .

كل خطوة وحدوية تقوم بها البورجوازية لا تخلو اطلاقا من السلبيات ، لذلك فإننا نؤيد جوانبها الايجابية ونعارض السلبية بقرينة الوحدة التي نريدها نحن ، لكي نجعل من العمل الوحدوي عملا يساعد على تقوية وتوسيع وتعميق النضال ضد الاستعمار والامبريالية والصهيونية والرجعية .

(إن شعار الوحدة العربية بوصفه شعارا سياسيا فهو يرتبط بتصفية الاوضاع القائمة الاستعمارية والصهيونية والرجعية والبورجوازية عن طريق الثورة وفقا لاوضاع كل اقليم من الاقاليم ، واقامة اوضاع جديدة متماثلة بهدف تحقيقه وبالنسبة لمضامينه الاقتصادية والاجتماعية والايديولوجية والثقافية فهو يرتبط بمصلحة العمال والفلاحين أي بالاكثرية الساحقة من الشعب ، ولذلك فإنه يرتبط بالنضال في سبيل الثورة الديمقراطية ذات الافق الاشتراكي بقيادة الطبقة العاملة وحلفائها الفلاحين الفقراء وفي ظل دكتاتورية العمال والفلاحين الديمقراطية الثورية فقط يمكن تحقيق الوحدة العربية بين قطرين عربيين او اكثر من اقطار وطننا العربي)[٩٣] .

(إن الوحدة العربية ستكون في ظل النظام البورجوازي شكلا من اشكال الاتفاق على خضوع قطر عربي لآخر ، فمع انعدام الديمقراطية لا بد ان تكون الوحدة ضربا من اتفاق بين برجوازية القطرين المتحدين ، وفي ظل الارهاب والديكتاتورية لا يمكن للوحدة أن ترتكز على اي اساس غير

abou-adnan.org

اساس الفرض. واساس كهذا يبقى عرضة للتغيير والاهتزاز بدرجة تتناسب ودرجة التغيير التي تتعرض لها السيطرة المفروضة على الشعب فمع تقدم الاقتصاد ، وتعاظم نضال جماهير العمال والفلاحين في سبيل تحقيق مصالحهم في ظل الاوضاع العربية القائمة اليوم يمكن عقد اتفاقات بين هذا القطر او ذاك من اقطار الوطن العربي ، غير أن الوحدة العربية بوصفها نظاما ينهي التجزئة ويجمع طاقات الامة العربية تجميعا يحقق للعمال والفلاحين الديمقراطية والاشتراكية ويعطي لها المثال الحسي القادر على تعبئة الجماهير وتجنيدها في معركة التنمية الاقتصادية وبناء المجتمع العربي الديمقراطي الاشتراكي الموحد والمتحرر نهائيا من جميع انواع التبعية السياسية والاقتصادية للامبريالية ، المجتمع الذي يرفض مبدأ الحياد ويلتزم بمبدأ التضامن البروليتاري الأممي ، إن مجتمع الوحدة هذا لن يتحقق الا بقيادة الجبهة الوطنية التقدمية الملتزمة ببرنامج العمال والفلاحين المرحلي للثورة الديمقراطية)[٩٤] .

فإذا كانت هذه هي الوحدة التي نريدها من اجل تحقيق مصالح العمال والفلاحين ، فكيف لا تكون هدفا من اهدافنا نحن الشيوعيين ؟ إنها هدف مباشر يفرض علينا النضال في سبيل تحقيقه والحزب الشيوعي العربي الموحد ، هو الاداة العربية القادرة على تحقيق هدف الوحدة التي نريدها .

٤ ـ دعم نضال الاقليات في الوطن العربي من اجل حقوقها القومية :

لقد سبقت الاشارة الى أن اهتمام الشيوعيين بقضية وحدة الامة العربية ، يرتبط باهتمامهم بحقوق الاقليات القومية الاخرى ، ارتباطا يحتم عليهم (الشيوعيين)، صياغة برنامج بروليتاري وحدوي ، ترى فيه ، الاقليات القومية ، بوضوح أن وحدة العرب لن تكون على حساب وجودها وحقوقها او حريتها في تقرير مصيرها ، وإنما هي (الوحدة) ستكون سندا اكيدا لكادحي هذه الاقليات القومية وضمانة لحرية جماهيرها الشعبية ، وتتأكد ساعتها أن المساواة التي توفرها قيادة الطبقة العاملة هي المساواة الحقيقية وإن الحرية لكل ابناء الشعب على اختلاف طبقاتهم وقومياتهم

abou-adnan.org

الوطنية مضمونة ومكفولة لكل الملتزمين ببرنامج الطبقة العاملة الوطني الديمقراطي الوحدوي »[٩٥] .

إن الارتباط ، لوثيق جدا ، بين كل القضايا القومية ومن يهمل او يتعسف بحق الاقليات القومية ، لن يكون قادرا في ايامنا هذه ، على ضمان حقوق قوميته وتحقيق اهداف امته . اما سبب ذلك ، فيتعلق بالنظرة الى الجماهير الشعبية والموقف من دورها في تحقيق اهداف الامة القومية ، لذلك فإن عدم الاعتراف بالحقوق القومية للاقليات لا يمكن تفسيره بغير الاستعلاء على المستضعفين ، والتعسف بحقهم . وهذه هي النزعة الضيقة التي تنطوي على عدم الايمان بحق الشعوب في تقرير مصيرها ، وعلى عدم احترام شعبها ايضا ، لأن الامرين سيان ، اذ لا يمكن لمن يحترم شعبه ان يتعسف بحقوق الشعوب الأخرى. وقد برهنت الحياة على ان شعباً يستعبد شعباً آخر لا يمكن ان يكون حرا !

إن حقوق الاقليات القومية في وطننا العربي ، يجب أن تكون مضمونة في ظل دولة الوحدة العربية التي يحققها الشيوعيون ، ولهذه الاقليات القومية ، أن تختار بين الحكم الذاتي وبين الاستقلال التام الذي يتضمن حقها في الانفصال ، فنحن نؤمن بأن الحديث عن « حرية تقرير المصير » مع رفض الحق في الانفصال ، يفرغ حق تقرير المصير من مضمونه .

يقول لينين : « إن جميع البيانات والاعلانات والتصاريح حول التخلي عن الالحاقات ليست سوى اكاذيب بورجوازية ، القصد منها خداع الشعب ،او إنما هي تمنيات ساذجة بورجوازية صغيرة ، **إذا لم يرافقها في الواقع تطبيق حرية الانفصال** .

إن حزب البروليتاريا يطمح إلى انشاء دولة واسعة قدر الامكان لأن تلك مصلحة الشغيلة ، وهو يطمح الى تقريب الأمم ، والى دمجها فيما بعد ، ولكنه لا يريد بلوغ هذا الهدف عن طريق العنف ، بل فقط عن طريق اتحاد جماهير العمال والشغيلة من جميع الامم اتحادا حرا أخويا ...

حرية الانفصال التامة ، الاستقلال الذاتي (القومي) الاوسع ، الضمانات لحقوق الاقليات القومية مع تعيين هذه الضمانات بدقة ، ذلك هو

abou-adnan.org

برنامج البروليتاريا الثورية »[٩٦] .

لذا ، فإننا مع الحقوق الكاملة للاقليات القومية في وطننا العربي ، ولكننا في الوقت نفسه نحبذ أن يقوم نمط من انماط الاتحاد مع هذه الاقليات لأن حقهم في الانفصال لا يعني بالضرورة وجوب الانفصال ، فقد كانت روسيا القيصرية تضطهد قوميات وامم مختلفة وكانت تأبى عليهم حقهم في تقرير مصيرهم وكان لينين ورفاقه مع حق الجورجيين والارمن وغيرهم من شعوب وامم روسيا القيصرية ، وعندما قامت ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى لم ينفصل الجورجيون والارمن ، لأن الامم المتعددة التي كانت خاضعة للرجعية القيصرية ، قد وجدت في المساواة والاشتراكية والحرية ، ما يحقق مصالحها ويخدمها اكثر من انفصالها ولذلك قام الاتحاد السوفياتي على اساس الاخوة والمساواة بين الامم والشعوب المختلفة ونحن ابناء الامة العربية ندعو رفاقنا واخوتنا ابناء القوميات الاخرى التي تعيش في وطننا العربي ان يجعلوا من نضالهم هادفا تحقيق اهدافنا ومصالحنا المشتركة . وأن نجعل مصالحنا الطبقية الموحدة اساسا موضوعيا لاتحادنا الاخوي الحر . وعلى كل فإنهم هم اصحاب الخيار الاول ونحن نساعدهم ونمكنهم من تحقيق خيارهم الوطني التقدمي الذي يخدم جماهيرهم الكادحة عامة والعمال على وجه الخصوص . إننا منحازون الى صف التقدميين عامة والشيوعيين خاصة ولذلك فإن كل دعمنا لهم ، وإذا ما خيرنا بين الرجعيين والتقدميين فإننا سنختار التقدميين والوطنيين بكل تأكيد ، لأننا ضد الرجعيين على طول الخط .

٥ ـ العمل من اجل قيام جبهة عربية وطنية ديمقراطية :

إن الكفاح ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية ومن اجل تحرير فلسطين واقامة الوحدة العربية ، يتطلب حضور قوى الامة العربية الطبقية التقدمية والوطنية : العمال ، الفلاحون ، البورجوازيون الوطنيون ، وكافة الفئات التي لها مصلحة في تصعيد هذا النضال وانتصاره الذي يستدعي حشد كل الطاقات وتعبئتها في ميادين الكفاح على اختلافها : السياسية والاقتصادية والاجتماعية والقتالية ...

abou-adnan.org

إن العمل من اجل قيام جبهة عربية وطنية ديمقراطية تقبل في صفوفها الاحزاب والمنظمات والنقابات والعناصر وكل من يبدي رغبة في دعم الجبهة ومؤازرة كفاحها ... إن العمل من أجل قيام مثل هذه الجبهة يستهدف ايجاد الاطار القادر على جمع تناقضات قوى الأمة العربية المختلفة التقدمية والوطنية وحشدها في ميدان معركتنا القومية ، لذلك فإن الطبقة العاملة العربية وحركتها الشيوعية مطالبة ببذل اقصى جهودها من اجل قيام مثل هذه الجبهة العربية الوطنية الديمقراطية العريضة ...

وبديهي أن تحقيق قيام الجبهة العربية ، يمكن أن يقوم بالتقاء عدد من الاحزاب والمنظمات في اقطار الوطن العربي ، ولكن جبهة كهذه قد تستطيع القيام بالتبشير بمفاهيم الكفاح العربي وببرنامجه الوحدوي الموحد ، ولكنها سوف تبقى عاجزة عن تغطية كل ساحة من ساحات الوطن العربي ، لذلك يتحتم على كل طرف من اطراف الجبهة العربية ان يعمل على اساس اقامة جبهة قطرية تغطي القطر كله بضم كافة القوى والعناصر الوطنية الديمقراطية على مختلف انتماءاتها الطبقية وتباين التزاماتها الفكرية ...

إن الضرورة التي تدعو الى قيام الجبهة العربية تتجسم اكثر على صعيد قطري ، ولذلك فإن بوسع اية قوة من قوى الكفاح العربي الوحدوي وخصوصا قوى الطبقة العاملة الشيوعية ان تبادر الى العمل من اجل قيام الجبهة على الصعيدين العربي والقطري في آن معا . اذ لا تعارض بين قيام الجبهة العربية والجبهات القطرية ، طالما أن الاهداف واحدة .

٦ ـ وحدة الحركة الشيوعية العربية ، وقضية الحزب الشيوعي العربي الموحد :

منذ قيامه وحزبنا ، يولي قضية وحدة الحزب الشيوعي العربي الموحد اهتماما يدل على وعية لضرورة هذه القضية واهميتها . ولكنه لم يفصل في يوم من الايام ، قضية الحزب الشيوعي العربي الموحد عن قضية الحركة الشيوعية العربية . ويكفي للتأكيد على اهتمام حزبنا بهذه القضية ، أن نعود إلى التقرير السياسي الصادر عن مؤتمر الفرع اللبناني

abou-adnan.org

التأسيسي الأول ، حيث نطالع تحت عنوان : « الحزب الشيوعي العربي الموحد » ، ما يلي :

« عند التعرض لاوضاع الوطن العربي ، لا بد من الوقوف امام قضية تعتبر هامة من وجهة نظرنا ، تلك هي قضية الحزب الشيوعي العربي الموحد ، الذي يعتبر واحد من مبررات قيام حزبنا . ذلك أننانؤمن بأن وحدة امتنا العربية ، وبالتالي وحدة ثورتها تفرض على المؤمنين بها ، العمل من اجل قيام الاداة الثورية القائدة للنضال الوحدوي والمفجرة للثورة ضد اعداء شعبنا القوميين والطبقيين في مختلف ارجاء الوطن العربي الكبير .

إن أي حديث عن الحزب الشيوعي العربي الموحد ، لا بد أن يتركز على حيثيات قيام هذا الحزب . ووحدة الامة العربية هي اهم هذه الحيثيات فلولا الايمان بالوحدة لانتفى الايمان ومبرر العمل على ايجاد الاداة العربية الموحدة »[٩٧] .

ثم يستطرد التقرير قائلا :

« إننا نؤمن بأن المهمات الطبقية والوطنية القطرية ترتبط بعلاقة جدلية مع المهمات القومية الكبرى ، وأن تغييب هذه العلاقة او تجاهلها من شأنه أن يجعل تحقيق المهمات الطبقية والوطنية القطرية امرا صعبا إن لم يكن في غاية الصعوبة .

إن النضال من اجل الوحدة يفرض ضرورة النضال من اجل قيام الحزب الشيوعي العربي الموحد ، لان النضال من اجل تحقيق وحدة الامة العربية وتحريرها من نير التجزئة ، مترابط بفكرة الحزب الشيوعي العربي الموحد ومع قيام هذا الحزب .

لقد نشأت امبراطوريات في العهود السابقة وكانت تضم اكثر من امة . ومثلما لا ينفي خضوع عدة امم لسلطة واحدة وجود هذه الامم ، فإن خضوع امة من الامم لواقع التجزئة لا ينفي وجودها ، ولكن الخطورة تكمن في ان عدم النضال ضد التجزئة من شأنه أن يساعد على تكريس واقع التجزئة . فهل نحن نريد أن نكرس التجزئة ؟ وهل هذا لصالح الطبقة

abou-adnan.org

العاملة التي تجد في دولة الوحدة كل متطلبات البناء الديمقراطي الاشتراكي والشيوعي ؟» إن الايمان بوحدة الامة العربية والنضال من اجل تحقيق وحدتها القومية لا بد وأن يتجسد في احد اشكاله بالنضال من اجل قيام الحزب الشيوعي العربي الموحد ، لانه الطليعة الثورية التي توحد ارادة الطبقة العاملة العربية وتجسد وحدتها الطبقية التي تشكل اساسا موضوعيا متينا لوحدة امتنا العربية .

إننا نعلم جيدا بأن رفع الشعارات السياسية يتطلب تحليلا علميا لحيثياتها وظروفها ومغزاها السياسي ويوم رفعنا شعار الحزب الشيوعي العربي الموحد ، لم نكن نجهل الواقع الاقتصادي العربي ولا الظروف السياسية او مغزى هذا الشعار . فمع ان الاقتصاد العربي ، ما يزال من حيث طابعه العام ، اقتصادا اقليميا بيد أن مسار التطور واتجاهاته ، رغم وجود التجزئة تشير بوضوح الى أن عوامل وجود الامة العربية الداخلية تقاوم بقوة العوامل الخارجية الاستعمارية مقاومة سجلت انتصارات وتقدما ملموسا لا يعجز عن رؤيته غير المصابين بالعمى الذهني او الذين يرغبون في عدم تحقيق وحدة امتنا العربية المجيدة

صحيح إن العامل الاقتصادي ، له دور وشأن يفوقان دور وشأن اي من العوامل الاخرى ، بيد انه يبقى عاملا من عدة عوامل ترتبط معه بروابط جدلية ، ارتباطا من شأنه أن يجعل من عامل اللغة العربية التي هي اداة التخاطب والتفاهم بين ابناء الشعب في كل اقطار الوطن العربي ، ومن عامل وحدة الارض العربية والتكوين النفسي والثقافي ، من شأن هذه العوامل والرابطة التي تربطها بالعامل الاقتصادي ، السائر نحو التكامل ، أن يكون لها ، اثرها في تدعيم ارادتنا وانجاح نضالنا في سبيل ازالة التجزئة وتحرير امتنا من نيرها البغيض وتمكينها من تحقيق وحدة اقتصادها وتطورة ».

رغم ان السادات كان يبيت مخططا امبرياليا للخيانة القومية ، فإن تنفيذ خطة الحرب الرابعة ، قد استدعى وحدة موقفي كل من مصر وسوريا ، استدعاء يجب أن يبقى حاضرا في الذهن عند دمغ هذه الحرب وفضح زيفها ، كي يكون عبرة ودليلا على أن الوحدة قوة ضاربة ، يحتاجها كفاحنا الوطني الديمقراطي مثلما يحتاجها كفاحنا الاشتراكي !

abou-adnan.org

« وإذا كان الظرف السياسي الذي نعيشه يطرح قضيه الوحده باعتبارها ابرز عوامل قوتنا وقدرتنا على مجابهة اعدائنا ، فإن المغزى السياسي لشعار الحزب الشيوعي العربي الموحد ، يتجسد في تحقيق هذا الغرض . واذا كانت السياسة هي التعبير المركز عن الاقتصاد ، فإن السياسة العربية الوحدوية ، هي السياسة المعبرة عن الاقتصاد القادر على تحقيق اهدافنا الكبرى .

إن الاقتصاد الاقليمي المجزأ أضعف من أن يقدر على تلبية مقتضيات معركتنا ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية العميله ، وأوهى من أن يحقق التقدم في حياتنا الاجتماعية والاقتصادية والثقافية صحيح ان العامل الاقتصادي عامل مهم بل وهو اهم العوامل في وحدة الامة ، ولكنه صحيح ايضا ان للعوامل الاخرى دورها ولا يكفي العامل الاقتصادي وحده لتحقيق وحدة الامة المجزأة ، ولا بد ان نفرق بين تكوين الامة وبين اعادة وحدتها المجزأة . ففي التكوين لا بد أن يلعب العامل الاقتصادي الدور الاول في تكوين العوامل الاخرى ، ولكن في توحيد الامة المجزأة المسألة تختلف ، فعندما تكون العوامل الاخرى على درجة من القوة لا بد ان تلعب هذه العوامل دورا بارزا في تكامل العامل الاقتصادي والامة العربية المجزأة وهي تناضل في سبيل اعادة وحدتها وليس في طور تكوين ذاتها ».

هنا يجدر بنا ان نجلب الانتباه الى ان قول ستالين : « إن انعدام اي عامل من عوامل الامة ، يجعل الامة تكف عن ان تكون امة ...» إن ستالين بقوله هذا لم يستثن العامل الاقتصادي حين اصدر حكمه هذا ، الامر الذي ينطوي على اعتراف بكون العوامل الاخرى تتمتع بمثل قوة العامل الاقتصادي ، وإلا لما ادى انعدام اي منها الى نهاية الامة !

ثم يتابع التقرير مؤكدا على « أن قضية الوحدة ، مثلها مثل الاشتراكية ، لا يمكن ان تتحقق بدون نضال موجه وهادف تحقيقها . لماذا نحن شيوعيين ، أليست الشيوعية بالنسبة لنا ما تزال مجرد حلم ؟ فهل نحن خياليين لاننا شيوعيين ؟ ثم لماذا نناضل من اجل ان تقود الطبقة العاملة الثورة الوطنية الديمقراطية ؟

abou-adnan.org

اليست هذه الثورة برجوازية ؟ طبعا انها ثورة بورجوازية ، والطبقة العاملة مضطرة لأن تقودها لكي توفر الاساس المادي والتكنيكي للشروع في ثورتها الاشتراكية . واذن ، فإن الضرورة الموضوعية هي التي تضطر الطبقة العاملة على تحمل اعباء قيادة ثورة غير ثورتها ، في سبيل ان تمهد الطريق للشروع في ثورتها هي .

واذن ، فإن النضال من أجل قضايا المستقبل ، هو الآخر يحتاج بل يفترض ان يكون نضالا موجها وهادفا . اننا مطالبون بأن نرسم الطريق امام طبقتنا العاملة لكي تستطيع السير نحو اهدافنا حثيثا وان لا نكون ذيلا للاحداث وللاحزاب البورجوازية ونضطر لأن نبتكر صيغ نظرية ، لتبرير الامر الواقع المفروض علينا ».

إن حزب العمل الاشتراكي العربي ، يرى أن العمل من أجل قيام الحزب الشيوعي العربي الموحد ، مبررا من مبررات وجوده . وهو يرفع هذا الشعار ويبادر لدعوة الفصائل الماركسية ـ اللينينية الاخرى ، لمشاركته نضاله في سبيل قيام هذا الحزب ، الذي يعتبر من وجهة نظر حزبنا ، الحزب البديل لكل الاحزاب والمنظمات الماركسية ـ اللينينية في مختلف اقطار الوطن العربي ، فإنما ينطلق من ايمانه بأن الاساس الموضوعي لوحدة الامة العربية ، يتمثل في وحدة الطبقة العاملة العربية ، والحزب الشيوعي العربي الموحد ، الذي يمثل وحدة اداة نضالها في سبيل تحقيق اهدافها في التحرير والديمقراطية والاشتراكية والوحدة .

كون حزبنا حزب العمل الاشتراكي العربي جزءا لا يتجزأ من الحزب البديل الذي هو الحزب الشيوعي العربي الموحد ، فهو ، اذن ، جزء من طليعة الطبقة العاملة العربية ، وحزبها السياسي المقاتل الذي يعبىء هذه الطبقة ويمتن تحالفها مع الفلاحين لتأدية دورها التاريخي في تحرير نفسها وتحرير جماهير الشعب من كل انواع الاستغلال الطبقي والتسلط الاستعماري »[٩٨]

هذه هي نظرتنا التاريخية الى قضية الحزب الشيوعي العربي الموحد ، وارتباطها بقضية وحدة الحركة الشيوعية العربية ، واذ نعيد

abou-adnan.org

التأكيد من جديد على ضرورة العمل من اجل تحقيق قضيتنا هذه ، فانما ننطلق من قناعة فحواها ، إن كفاح الطبقة العاملة العربية ضد اعداء امتنا العربية القوميين والطبقيين ، وفي سبيل تحرير فلسطين وتحقيق الوحدة العربية وقيام الجبهة العربية الوطنية الديمقراطية العريضة ... إن هذا الكفاح كي يحقق اهدافه يتطلب **وجود** حزب شيوعي ثوري عربي موحد . وبدهي القول ، إن القناعة بالحزب الشيوعي العربي الموحد وبوحدة الحركة الشيوعية العربية ، لا بد ان تنطلق من الايمان بوجود الامة العربية وبوحدتها القومية وبوحدة ثورتها العربية ، وبكون هذه الوحدة تجد في وحدة الطبقة العاملة العربية اساسا موضوعيا يشكل امتن ضمانة لتحقيقها (الوحدة) واستمرارها واطراد تقدمها ...

إن مسألة قيام الحزب الشيوعي العربي الموحد تحتاج الى زمن ربما يكون طويلا . وبما أن هذا الحزب لا يمكن ان يقوم من الصفر ، ولا يؤسس وفق الاسلوب الاعتيادي المعروف في تأسيس الاحزاب الشيوعية ، وإنما هو يقوم على اساس التقاء الاحزاب والمنظمات الشيوعية القائمة حاليا او التي ستقوم في المستقبل ، واتفاقها على برنامج للعمل الشيوعي الثوري العربي الموحد ... بما أن مسألة قيام الحزب الشيوعي الثوري العربي الموحد قد تحتاج الى زمن يتجاوز المرحلة الراهنة ، فإن الحاجة تدعو اليوم الى قيام نوع من التنسيق بين الاحزاب والمنظمات الشيوعية في مختلف اقطار الوطن العربي والحوار حول قضايا الثورة العربية ومهماتها القومية والطبقية . بيد أن شرط عدم انتهازية هذا التنسيق أن يرتبط بهدف الوصول الى وحدة الحركة الشيوعية العربية !

إن الحرص على وحدة الحركة الشيوعية الثورية العربية لا يجوز ان يقيم حاجزا دون تعدد صيغ العمل الشيوعي الثوري العربي ، إذ يمكن أن تسبق قيام الحزب الشيوعي الثوري العربي الموحد ، عدة صيغ ، ولكن اهمها صيغتان : صيغة التنسيق الذي يمهد للوحدة بين الاحزاب والمنظمات الشيوعية القائمة او التي ستقوم ، وصيغة العمل الحزبي الملتزم بمبادىء المركزية الديمقراطية التي تحدد اسسها ومبادئها التنظيمية واصولها لتلائم ظروف الوطن العربي وواقع التجزئة القائمة . ويمكن تطبيق هاتين

abou-adnan

الصيغتين (التنسيق الذي يمكن ان نسميه مبدئيا والمركزية الديمقراطية)، باشكل مختلفة ، قد يشمل بعضها الوطن كله وقد يقتصر بعضها الآخر على بعض اقطار الوطن العربي ، ولكن الشرط الذي يتحتم وعيه من قبل جميع المعنيين والعاملين من اجل تحقيق وحدة الحركة الشيوعية العربية ، ان يكون كل جهد او مبادرة على هذا الطريق هدفها تحقيق الوحدة في النهاية وليس تكريس التجزئة القائمة او توسيعها . إن كل عمل يخدم وحدة الحركة الشيوعية العربية ، هو ايجابي وكل عمل يعيق هذه الوحدة او يسعى لتكريس التجزئة هو عمل ذاتي انتهازي سلبي ، إن الاختلافات المبررة بين الشيوعيين ، يجب ان تتمحور حول برنامج العمل الثوري ، وعندما يحصل الاتفاق على هذا البرنامج فإن كل حزب او منظمة شيوعية تفقد مبرر وجودها وتصبح منظمة انتهازية عندما تتمسك بوجودها الذاتي المستقل .

٧ ـ قضية السلطة ، واسلوب تحقيقها :

إن النضال ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية وفي سبيل تحرير فلسطين وتحقيق الوحدة وقيام الجبهة العربية ، وانجاز وحدة الحركة الشيوعية العربية ... إن هذا النضال يجب أن يستهدف استلام السلطة ، والا فانه سوف يبقى يدور في متاهات الاصلاحية والانتهازية والذيلية للبرجوازية وحركتها القومية .

ولم نكن على خطأ ، عندما اكدنا على : « إن القوى اليسارية التي تعلن عن التزامها بالنظرية الماركسية ـاللينينيةوتعتبر نفسها طليعة للطبقة العاملة وحلفائها الفلاحين وسائر الكادحين مطالبة بأن تدرك أهمية قول لينين : (إن القضية الأساسية في كل ثورة هي قضية السلطة)...

إن حزبنا يتمسك بحزم بوجهة النظر القائلة بأن دور البروليتاريا هو دور القائد في الثورة الديمقراطية البورجوازية وإن السير بالثورة حتى النهاية المظفرة يتطلب تضافر العمل بين البروليتاريا والفلاحين الفقراء ، وبدون استيلاء الطبقات الثورية على السلطة السياسية لا يمكن أن يكون هناك نصر . إن التخلي عن هذه الحقائق يسم حتما حركة الاحزاب

abou-adnan.org

الماركسية ـ اللينينية بالتذبذب ويجعلها حركة بلا هدف ، وإن سيرها على هذا المنوال من شأنه أن يخضع الطبقة العاملة للبورجوازية ويحولها الى ذيل تابع يدور في فلك القوى العاجزة عن مواصلة قيادة الثورة »(٩٩)

لقد تأخر الشيوعيون عشرات السنين عن الاهتمام بموضوع استلام السلطة وابدوا تقاعسا ليس له ما يبرره في قواعد النظرية الشيوعية وفي واقع وطننا العربي الموضوعي ، لذلك فان الشيوعيين باتوا مطالبين اكثر من ذي قبل بارساء كفاحهم على اساس قضية السلطة ، وفقا لظروف كل قطر عربي .

يقول لينين : « لا يمكن حذف مسألة السلطة ولا وضعها في المؤخرة ، إذ أنها المسألة الأساسية ، المسألة التي تحدد كل تطور الثورة وسياستها الخارجية والداخلية » .

« الانتقال من سلطة طبقة إلى اخرى هو الطابع الأول ، الرئيسي ، الأساسي لكل ثورة ، سواء في المعنى العلمي المحض للكلمة ام في معناها السياسي والعملي . ».

«إن القضية الاساسية في كل ثورة هي قضية السلطة . وطالما ان هذه القضية لم توضح ، فلا يمكن أن تلعب بادراك دورها في الثورة ، ناهيك عن قيادتها ».

إن الحديث عن قضية السلطة واستلامها ترتبط باسلوب الكفاح الرئيسي القادر على تحقيقها . لأنها (قضية السلطة) لن تحسم بدون استخدام القوة واسلوب العنف الثوري . وبهذا الصدد يقول لينين :

« إن القضايا الكبرى المتعلقة بحياة الشعوب لا تحل إلا بالقوة . إن الطبقات الرجعية هي أول من يلجأ عادة إلى العنف ، إلى الحرب الأهلية ، إلى وضع الحراب على جدول الأعمال » .

« إن طبقة مضطهدة لا تبذل قصارى جهدها للتعلم على استخدام الأسلحة ، وامتلاك الاسلحة ، لا تستحق أن تعامل إلا معاملة طبقة مستعبدة . إذ انه لا يمكننا في نهاية المطاف أن ننسى إلا إذا أصبحنا

abou-adnan.com

مسالمين بورجوازيين أو انتهازيين ، إننا نعيش في مجتمع طبقي لا يمكن الخروج منه إلا بالصراع الطبقي » .

« إن البؤساء وحدهم أو الحمقى يمكنهم أن يعتقدوا أن على البروليتاريا أن تكسب الاغلبية اولا ، باشتراكها في الانتخابات التي تجري تحت نير البورجوازية ، تحت نير العبودية المأجورة ، وبعد ذلك فقط أن تستولي على السلطة . هذا هو منتهى الحماقة أو الرياء ، أنه يعني استبدال النضال الطبقي والثورة بالانتخابات بظل النظام القديم »[١٠٠]

٨ ـ النضال في سبيل تعزيز التضامن البروليتاري الأممي :

إن كفاحنا الوطني والطبقي والقومي العربي ، يبقى يدور في أفق مسدود ، وسينتهي الى العجز لا محالة ما لم يرتبط بأفقه الأممي البروليتاري الشيوعي .

إن عصرنا الراهن ، يتسم بسمة أساسية ، تؤكدها وقائع التطور باستمرار ، وهذه السمة ، هي انتقال البشرية من عصر الراسمالية الى عصر الاشتراكية والشيوعية . ومعنى هذه السمة أو الظاهرة الشاخصة أمام انظارنا ، إن التناقض الرئيسي على الصعيد العالمي ، يتجلى يوما بعد يوم ، في العلاقة الجدلية بين الاشتراكية والراسمالية تجليا ينقسم معه العالم الى معسكرين : معسكر الثورة العالمية ، بفصائله الثلاث : البلدان الاشتراكية وطليعتها الاتحاد السوفياتي ، وقوى الطبقة العاملة في البلدان الراسمالية المتقدمة ، وحركات التحرر الوطني في القارات الثلاث ، يقابله في الموقف النقيض معسكر الامبريالية وعملائها الرجعيين في العالم .

وأمام هذا الوضع العالمي والتناقض الرئيسي الذي يحكمه ، فان الشيوعيين ، بل كل الثوريين في العالم لا مندوحة لهم غير تعزيز قوى معسكرهم وتأكيد دورهم . وبما أننا شيوعيون ملتزمون بمبدأ التضامن البروليتاري الأممي ، فاننا مطالبون بالعمل المثابر في سبيل تعزيز تضامننا البروليتاري الاخوي الأممي مع أطراف الحركة الشيوعية في العالم ومع البلدان الاشتراكية وطليعتها الاتحاد السوفياتي .

abou-adnan.org

الفصل السادس

حزب العمل الاشتراكي العربي وصيغ العمل الشيوعي العربي الموحد

اولاً ـ صيغ العمل العربي الموحد الملائمة للمرحلة الراهنة

ثانياً ـ حزب العمل الاشتراكي العربي والحزب الشيوعي العربي الموحد .

abou-adnan.org

أولاً - صيغ العمل العربي في المرحلة الراهنة :

١ - صيغة المركزية الديمقراطية :

لقد سبق وأكدنا على أن العمل العربي الثوري سواء كان برجوازيا ، ام بروليتاريا ، لن يكون اكثر من خديعة ومناورة خبيثة ، ما لم يرتبط بقوة وصلابة ، بالايمان بوجود الامة العربية وبالنضال من أجل وحدتها القومية التقدمية وبالتالي بالايمان بوحدة ثورتها ووحدة اداة هذه الثورة العربية القومية .

لا يجوز لنا ، اطلاقاً ، أن نخجل أو نتردد عن اطلاق تعبير أو مفهوم أو صفة القومية على نضالنا ونشاطنا ، إننا بروليتاريون عرب ، قبل أن نكون أمميين . وما لم ندرك هذه البدهية في سلم الاولويات ، فلن نتمكن من تحقيق أهدافنا الطبقية والقومية . وسنضيع ستين سنة أخرى ، وسيتجاوزنا التطور التاريخي دون رحمة .

لذا ، فان الشيوعيين العرب ، الثوريين حقا ، ونحن نعني بالشيوعيين الثوريين حقا : اولئك المناضلين المؤمنين بالشيوعية عقيدة ، والملتزمين بالنهج اللينيني الثوري وبقيادة الطبقة العاملة للثورة الوطنية الديمقراطية والانتقال بها إلى الثورة الاشتراكية ، والمؤمنين بالأمة العربية والمناضلين في سبيل وحدتها القومية ، وبانهم (الشيوعيون) قادة الثورة العربية ، الملتزمون بمبدأ التضامن البروليتاري الأممي وبوحدة الحركة الشيوعية الاممية ، أي باختصار ان الشيوعيين الثوريين العرب ، هم وحدويون وأمميون في آن معا ، يحققون الثورة العربية بكافة وسائل العنف الثوري التي تتقدمها وسيلة العنف المسلح ، ويسهمون في تاكيد التضامن البروليتاري الأممي وتحقيقه ، ويقفون بدون تردد أو هوادة ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية في كل زمان ومكان ...

إن هؤلاء الشيوعيين الثوريين العرب المؤمنين بالأمة العربية

abou-adnan.org

والمناضلين في سبيل وحدتها القومية ، ملزمون بالعمل على **أساس صيغة المركزية الديمقراطية الملائمة والمنسجمة مع واقع التجزئة العربية وكون العمل الاقليمي هو العامل الداخلي المحرك للثورة ومفجرها ، في حين ان العمل العربي عامل خارجي مساعد ومترابط مع العامل الداخلي بقوة اشد من قوة اي عامل خارجي آخر من العوامل التي تتبادل التاثير مع عوامل الثورة العربية الداخلية** ، وأي تغليب للعمل العربي على العمل الاقليمي سيؤدي إلى شل قدرة المناضلين الشيوعيين وجعلهم ملحقين بعامل خارجي ، مما يحيلهم إلى عناصر هامشية عاجزة عن الفعل وصنع الثورة . وأي أضعاف للعلاقة بين العمل العربي والعمل الاقليمي ، وأي جنوح نحو الحاق العمل العربي بالعمل الاقليمي ، سيؤدي إلى تعميم الخاص القطري على العام العربي ، الأمر الذي يفقد العامل العربي قدرته على المراقبة وضبط حركة العمل الاقليمي وتوجيهه نحو آفاقه العربية والأممية ...

لقد عارض لينين بقوة نزعة « البوند » نحو إنشاء حزب سياسي مستقل عن وحدة حركة الطبقة العاملة الروسية المركزية . واعتبر منح فروع الحزب في الأمم والشعوب الروسية نوعا من « الاستقلال » في التصرف بشؤونها الداخلية ، كافيا لتمكينها من التعبير بلهجاتها القومية وتطوير برامجها الشيوعية المشتركة والموحدة وتلبية حاجاتها ومطالبها القومية والمحلية النابعة من خصائصها ، وفي كل ما تبقى ، ينبغي الاندماج التام والاوثق مع البروليتاريا الروسية ، وينبغي ذلك في مصلحة النضال الذي تخوضه كل بروليتاريا روسيا ... » كي تتمكن من النضال ضد الأوتوقراطية وضد البورجوازية في عموم روسيا . باعتبارها منظمة كفاحية مركزية واحدة ، تستند ، إلى البروليتاريا كلها بغض النظر عن الفرق في اللغة والقومية ، البروليتاريا التي يرص صفوفها الحل الدائم المشترك للقضايا النظرية والتطبيقية والتاكتيكية والتنظيمية ، لا أن ننشيء منظمات تسير كل منها بمعزل عن الأخرى ، كل في سبيلها، لا أن نضعف قوة هجومنا بالتبعثر في أحزاب سياسية مستقلة عديدة، لا أن نجلب التشتت والعزلة » .

abou-adnan.org

« الوحدة ضرورية للطبقة العاملة . والوحدة لا يحققها غير منظمة واحدة يطبق جميع العمال الواعين قراراتها بدافع الضمير لا بدافع الخوف . إن بحث المسألة والاعراب عن الآراء والاستماع إلى مختلف الآراء واستيضاح راي اغلبية الماركسيين المنظمين ، والتعبير عن هذا الرأي في قرار وتنفيذ هذا القرار بدقة ووجدان ، إن كل هذا يسمى في كل مكان من العالم ، بين جميع الناس العاقلين ، بالوحدة . وهذه الوحدة عزيزة للغاية وهامة للغاية بالنسبة للطبقة العاملة . العمال المتفرقون ، لا شيء والعمال المتحدون ، كل شيء »[١٠١]

إذا كان لينين يصر ، واصر على وجود صيغة مركزية لجميع امم الاتحاد السوفياتي وشعوبه المتعددة ، فهل كثيرا على مناضلي الأمة العربية ان يبنوا نضالهم على اساس صيغة مركزية ديمقراطية عربية ؟

٢ ـ صيغة التنسيق بين الأحزاب والمنظمات الشيوعية العربية القائمة :

إن صيغة المركزية الديمقراطية ، تمثل ذروة تكامل العمل العربي وقمة التحام قوى الطبقة العاملة الشيوعية العربية . ولكنها (الصيغة المركزية) غير ملائمة لاحتواء كل الاحزاب والمنظمات الشيوعية المتواجدة على أرض الوطن العربي حاليا وان تمكن بعضها من التزام هذه الصيغة ، فان بعضها الاغلب والاكثر يبقى خارج اطارها ، لذلك فان التقاء احزاب ومنظمات الشيوعيين في اقطار وطننا العربي ، يتطلب مرحلة تمهيدية من اللقاءات والحوار والمناقشة بغية الوصول إلى الوحدة المركزية الديمقراطية العربية ، ومثل هذه المرحلة تفرض نوعا من التعاون والعمل المشترك ، الذي لا يتعدى حدود التنسيق ضمن اطار التضامن بين الشيوعيين ، لذا ، فان ضبط هذا المستوى من العمل يتطلب صيغة أوسع من صيغة المركزية الديمقراطية ، وأفضل صيغة هي التنسيق ضمن اطار وحدة العمل المشترك .

abou-adnan.org

إن صيغة التنسيق تفرضها الظروف الراهنة وكون الاستقلال التام لكي لا نقول الفرقة والتجزئة هي السمة السائدة بين الشيوعيين ، لذا ، فان مبرر التزام هذه الصيغة ، يتجلى في وعي كونها صيغة مرحلية مؤقتة مهمتها ضبط العلاقات التنسيقية وتحديدها ودفعها نحو علاقات أمتن وأشد وثوقا نحو المركزية الديمقراطية .

إن صيغة التنسيق بين الشيوعيين ، كي لا تكون نوعا من أنواع العمل الموسمي والعابر والتكتيكي ، فلا بد من ضبطها بضابط مبدئي ثابت يميزها عن التنسيق الذي هو نمط من انماط العمل الجبهوي ، وهذا الضابط يتمثل بربط العمل المشترك القائم على أساس التنسيق بين الاحزاب والمنظمات الشيوعية ، بصيغة المستقبل ... صيغة المركزية الديمقراطية الملائمة لطبيعة الاوضاع العربية التي فرضتها التجزئة القائمة ...

إن صيغة التنسيق ، شأنها ، إن صح القول ، شأن نظرية التطور اللاراسمالي ، إن فقدت ارتباطها بالاشتراكية فانها تفقد مضمونها وتصبح تطورا راسماليا وكذلك فان صيغة التنسيق إن فقدت ارتباطها بالمركزية الديمقراطية ، فانها تفقد مضمونها الشيوعي وتصبح عملا تكتيكيا عابرا ، ولا بد من جلب الانتباه الى أن العمل التكتيكي سواء تمثل في صيغة التنسيق أو صيغة العمل الجبهوي بين قوى شيوعية وأخرى غير شيوعية يختلف عن التنسيق بين الشيوعيين .

إن العمل الجبهوي أو التنسيق بين قوى مختلفة طبقيا وايديولوجيا ، مبرر بالاختلاف بين القوى الملتقية على أهداف مرحلية محددة ومرئية ، أما الشيوعيون ، فان لقاءهم يجب أن يكون على أساس مبدئي ثابت ، ومبدئيته وثباته لا يتطلبان تخلي المنظمات والاحزاب الشيوعية فورا عن قناعاتها ووجهات نظرها ، ولكنها مطالبة بان تجعل من التنسيق فيما بينها قائما على أساس تحديد موضوعات الاتفاق وموضوعات الاختلاف أولا ، وأن يكون الالتزام بما اتفق عليه صارما وغير قابل للتراجع أو عدم التنفيذ كما يحدث بين الاحزاب الشيوعية العربية حاليا ، ثانيا ، وأن يستمر الحوار حول الموضوعات المختلف عليها بهدف الوصول الى اتفاق

abou-adnan.org

حولها ، وان يحتكم الى التراث الماركسي ـ اللينيني وتطورات الاحداث اللاحقة في حلها ، ثالثا ، وان تكون لاي طرفين او اكثر حرية الارتقاء بعلاقاتهم نحو صيغة المركزية الديمقراطية ، رابعا .

باختصار شديد ، إن صيغة التنسيق يجب أن تكون صيغة وسيطة هدفها الانتقال بعلاقات الشيوعيين الى الوحدة المنشودة بينهم والتي يجب أن تقوم على أساس المركزية الديمقراطية الملائمة لظروف التجزئة العربية .

٣ ـ صيغة الاطار الجبهوي على الصعيد العربي :

مثلما تضيق صيغة المركزية الديمقراطية ، عن استيعاب واقع انقسام الشيوعيين الى أحزاب ومنظمات شيوعية اقليمية مستقلة ، في وقتنا الراهن ، **فان صيغة التنسيق بين الشيوعيين على مختلف احزابهم ومنظماتهم في الوطن العربي ، اضيق من ان تستوعب كل القوى التقدمية والوطنية العربية ، إذ لا يمكن جعل الالتزام بالشيوعية شرطا للمشاركة بالنضال القومي والوطني والطبقي .**

لذا ، فان الضرورة تقتضي حشد القوى العربية على اختلافها الايديولوجي والطبقي في المعركة وان عملية الحشد هذه تتطلب وجود صيغة لأطار عمل جبهوي عربي يتسع لكل التقدميين والوطنيين ، **والشرط الوحيد الذي يوضع للمشاركة في جبهة العمل العربي التقدمي والوطني العريضة هذه ، هي معاداة الامبريالية والصهيونية والرجعية .**

ولا بد أن ننتبه إلى أن دور الشيوعيين في تشكيل وقيام الجبهة العربية التقدمية الموحدة ، ما يزال دورا ضعيفا بحكم ضعفهم الناجم عن تجزئة قواهم ، وكلما قطعوا شوطا وتقدموا خطوة على طريق وحدتهم فانهم يرفعون من شأن دورهم في العمل التقدمي والوطني العربي .

وملاحظة اخرى لا بد من التنبه لها أيضا ، وهذه الملاحظة تتعلق **بالفارق** بين صيغة العمل الجبهوي العربي الموحد وبين صيغة التنسيق بين

abou-adnan.org

الشيوعيين العرب . وهذا الفارق يتجلى بكون صيغة التنسيق مؤقتة وستتلاشى لتحل محلها صيغة المركزية الديمقراطية في حين ان صيغة العمل الجبهوي مهما تطورت فانها تبقى صيغة ثابتة ، لتعبئة أوسع الجماهير في اطار الكفاح ضد اعداء شعبنا القوميين والطبقيين ، على مدى مرحلة التحولات الوطنية والديمقراطية بكاملها ، وهي تحولات تشمل الشعب وقواه الوطنية والديمقراطية مثلما تشمل الاقتصاد والاجتماع والثقافة والسياسة والفكر .. الخ ولذلك فانها مرحلة طويلة قد تشمل جزء من المرحلة الاشتراكية الأولى أيضا .

ثانيا ـ حزب العمل الاشتراكي العربي والحزب الشيوعي العربي الموحد :

١ ـ فكرة الحزب الشيوعي البديل (الحزب الشيوعي العربي الموحد) :

إذا رجعنا إلى تاريخ الحركة الشيوعية العربية ونشأتها الاقليمية ، فلن نجد اثراً لفكرة وحدة الحركة الشيوعية العربية على أساس صيغة المركزية الديمقراطية ، أي الحزب الشيوعي العربي الموحد . ولا بد أن يفهم خلو تاريخ هذه الحركة من هذه الفكرة على أنه دليل على أن هذه الاحزاب تنفي وجود الأمة العربية وتنكر وحدتها القومية في التاريخ . ولن نفتقر إلى دليل لتأكيد هذه الحقيقة . ولو مددنا أيدينا إلى أقرب صحيفة تحدث فيها شيوعي عن الأمة العربية ووحدتها القومية ، لحصلنا على هذا الدليل :

« الأمة العربية ، بالمفهوم القومي للكلمة ، لم تكن موحدة في يوم من الأيام ، والطموح إلى الوحدة القومية انطلق من العداء للسيطرة الأجنبية ـ العثمانية ـ والعمل لازالة التجزئة ... »[١٠٢]

هذه هي حدود معرفة قائد بارز في الحزب الشيوعي اللبناني الذي مثل مؤتمره الرابع قفزة إيجابية تجاه قضية وحدة الأمة العربية ، التي ما

abou-adnan.org

تزال صورة كاريكاتورية في ذهنه : إنها مجرد طموح لدى بعض المثقفين استعاروه من أوروبا الرأسمالية . أما التاريخ فلم يعرف وجوداً لوحدة الأمة العربية على حد جهل القائد الشيوعي البارز !..

فاذا تأكدنا من عدم ارتباط فكرة الحزب الشيوعي العربي الموحد ، بالأحزاب الشيوعية العربية ، فلا بد أن نتيقن من اننا كنا السباقين إلى طرح الفكرة . وإن لم نكن نحن الذين طرحناها ، ووجد من سبقنا أو زامننا في طرح الفكرة ، فلا بد أن يكون من أوساط اليسار الماركسي ـ اللينيني ...

مما تقدم ندرك أن الفكرة حديثة جداً ، وجوهرها يتجلى في انها تطرح قضية وحدة الحركة الشيوعية العربية على اساس الايمان بوجود الأمة العربية والالتزام بالكفاح المشترك من اجل تحقيق وحدتها القومية ...

واضح ان لفكرة الحزب الشيوعي العربي الموحد ، اهمية بالغة جداً ، ليس لانها دعوة لوحدة الحركة الشيوعية وإخراجها من التجزء الاقليمي والانقسام القطري ، فحسب ، وإنما لانها تطرح صيغة الحركة الشيوعية العربية البديلة القائمة على اساس الوحدة القومية للطبقة العاملة العربية ! ..

من هنا تتأتى مناهضة كل الشيوعيين الاقليميين ، لفكرة العمل الشيوعي العربي الموحد ...

إن الحزب الذي يحمل راية وحدة الحركة الشيوعية العربية سوف يسجل قصب سبق في ميدان الرؤية الفكرية الصائبة لأن التطور الموضوعي في الوطن العربي يحمل نزعة قوية وجنوحاً نحو توحد العرب . تطلعوا إلى المعضلات القومية وحاولوا أن تدركوا نتائج عجز القوى البورجوازية السائدة عن حلها ، وستلحظون أن للطبقة العاملة العربية دوراً قومياً ستلعبه بحكم الضرورة الموضوعية .

٢ ـ حزب العمل الاشتراكي العربي والبديل الشيوعي :

يقول لينين :

abou-adnan.org

« كانت أولى خطوة خطوناها هي إنشاء حزب شيوعي حقيقي لكي نعرف مع من نتحادث ومن يمكننا أن نثق به ثقة تامة »[١٠٣].

ويشير التقرير السياسي إلى الوثيقة التي أقرت في إجتماع اللجنة المركزية العربية ، في حزيران ١٩٧١ ، تحت عنوان : حزب العمل الاشتراكي العربي فصيلاً من فصائل الطبقة العاملة العربية ، ومقتطفاً منها الفقرات التالية :

« إن الحديث عن حزب العمل الاشتراكي العربي ، وعن مبررات نشوئه يرتبط بوعينا ، بالحديث عن الحزب الشيوعي العربي الموحد ، الذي تتحقق بقيامه الوحدة السياسية والنضالية والتنظيمية للطبقة العاملة العربية ، في جميع أقطار وطننا العربي الكبير من الخليج العربي حتى المحيط الاطلسي ، وتتجسد بوجوده الارادة الموحدة لطليعة الطبقة العاملة العربية .

وإنطلاقاً من تصورنا ، هذا ، فاننا نعتقد بأن الحزب الشيوعي العربي الموحد ينبغي أن يتشكل من جميع فصائل الطبقة العاملة العربية القائمة اليوم أو التي يمكن أن تقوم في المستقبل ، من هنا ، فانه يمثل في وعينا البديل لكل الفصائل الماركسية ـ اللينينية ، التي تلتزم بقيادة الطبقة العاملة للثورة الوطنية الديمقراطية في كل قطر من أقطار الوطن العربي الكبير ، وتسترشد بأكثر الايديولوجيات ثورية وجذرية ، والتي ينتفي مع وجوده مبرر وجودها المستقل .

إن حزبنا ، حزب العمل الاشتراكي العربي ، هو جزء لا يتجزأ من الحزب الشيوعي العربي الموحد ، وبالتالي فان العمل من أجل قيام البديل ، كتعبير عن وحدة الطبقة العاملة العربية كما نعتقد ، واجب ملقى على عاتق كافة الأحزاب والمنظمات الماركسية ـ اللينينية، في مختلف أقطار الوطن العربي ، التي ترى في الوجود المستقل لكل منها ، إلى جانب الفصائل الأخرى ، ظاهرة إن جاز تبريرها بحكم الواقع الراهن ، فإنه لا يجوز إستمرارها وتكريسها ، نظراً لكونها ظاهرة غير صحية».

ثم ترد الدراسة على الرفاق الذين يطالبون بأن يطرح حزبنا نفسه

abou-adnan.org

بديلاً للاحزاب الشيوعية الاخرى ما دام يناضل من أجل قيام حزب الطبقة العاملة العربية الموحد ومهماته الطبقية والقومية ... ترد الدراسة على هذه المطالبة قائلة :

« كان جواب (ل . م . م .) على هذا السؤال يؤكد باستمرار على أن إعتبار حزبنا بديلاً للاحزاب الشيوعية والفصائل الماركسية ـ اللينينية الأخرى،، من شأنه أن يسهم في تعميق الخلافات بين فصائل الطبقة العاملة الماركسية ـ اللينينية ، أولاً ، وبتكريسه لحالة التمزق التي تعانيها وحدة طبقتنا العاملة السياسية ، فانه سوف يعرض الطبقة العاملة وحركتها السياسية للضرر، بحكم كونه يوظف بعض طاقات حزبنا وجهودرفاقنا ووقتهم للبرهنة على مفهوم البديل من جهة ويثير ردود فعل ذاتية لدى الفصائل الأخرى من جهة ثانية ، الأمر الذي يؤدي بالضرورة إلى زجنا في معارك جانبية يستفيد منها الأعداء اكثر من أي فصيل من فصائل الطبقة العاملة من جهة ثالثة ، ويساعد على تكريس العقبات أمام إحتمالات التقارب والتفاهم والتحالفات بغية الوصول إلى وحدة الطبقة العاملة العربية السياسية والنضالية والتنظيمية التي ينبغي أن تكون في هذه المرحلة ، هدفاً من الأهداف التي نسعى لتحقيقها على مدى المستقبل من جهة رابعة ، **علاوة على انه يفقد حزبنا ما يميزه عن الفصائل الأخرى ، في كونه يناضل من اجل قيام البديل ويطرح مهماته للنضال اي المهمات التي يفترض بكل فصيل ان يناضل من اجل تحقيقها ، إنطلاقاً من إعترافه بالفصائل الاخرى من جهة خامسة .**

لهذا كله فأن تمسك حزبنا بالعمل من أجل وحدة الطبقة العاملة العربية السياسية والنضالية والتنظيمية ، ونضاله في سبيل تحقيق المهمات الطبقية والقومية الملقاة على عاتق هذه الوحدة ، ودعوته للفصائل الأخرى لأن تشاركه نضاله هذا ... إن تمسك حزبنا بنهجه هذا ، سوف يميز حركته بطابع طبقي وقومي ، هو بالضبط الطابع الذي يجب أن تتميز به حركة الطبقة العاملة في كونها الطليعة المفروض فيها أن تعبر عن مشاعر الجماهير وأحاسيسها الطبقية والقومية ، وتقود نشاطاتها السياسية والمهنية

abou-adnan.org

وإذن ، فان حزبنا يتميز عن الفصائل الأخرى في التزامه بوحدة الطبقة العاملة العربية وبدعوته للفصائل الأخرى للسير في ذات الطريق للوصول واياها إلى تحقيق الهدف ، أولاً ، ويتميز في تبنيه للمهمات القومية العربية إلى جانب المهمات الطبقية القطرية للطبقة العاملة ، في مختلف أقطار الوطن العربي ، ثانياً ، ويتميز في سعيه الجاد من أجل قيام الحزب الشيوعي العربي الموحد تعبيراً عن إيمانه بوحدة الطبقة العاملة وأداة نضالها العربية الثورية ، التي توحد غضبة الجماهير العربية واستيائها من أوضاع التخلف والفساد والعجز ، وتبلور حقدها الطبقي والقومي ضد أعدائها الطبقيين والقوميين ، ثالثاً ، ويتميز باعترافه بالفصائل الأخرى ودعوته للتحالف معها على أساس برنامج الحد الأدنى الواضح والمحدد بأهداف الثورة الوطنية الديمقراطية وارتباطها بالثورة الاشتراكية وقيادة الطبقة العاملة العربية لها ، رابعاً ، ويتميز في كونه يربي جماهير الاقطار العربية بالروح الشيوعية والأممية البروليتارية ويوحد نضالها ويوجهه في سبيل تحقيق أهداف الأمة العربية في التحرير والديمقراطية والاشتراكية والوحدة والتضامن البروليتاري الأممي ، خامساً .

إننا لمؤمنون بان المهمات الطبقية والوطنية القطرية ترتبط بعلاقة جدلية مع المهمات القومية الكبرى ، وان تغييب هذه العلاقة أو تجاهلها من شانه ان يجعل تحقيق المهمات الطبقية والوطنية القطرية امراً صعباً إن لم يكن في غاية الصعوبة .

إن النضال من أجل الوحدة يفرض ضرورة النضال من أجل قيام الحزب الشيوعي العربي الموحد، كما أن النضال من أجل تحقيق وحدة الأمة العربية وتحريرها من نير التجزئة ، يجد ترابطه مع فكرة الحزب الشيوعي العربي الموحد ومع قيام هذا الحزب»[١٠٤] .

مما تقدم ، بوسعنا القول ، ان رغبتنا في ان نخطو خطوة كالتي اشار إليها لينين ، كانت وراء اقدامنا على إنشاء حزب العمل الاشتراكي العربي ، ليكون خطوة فعلية على طريق البديل الشيوعي . والسؤال هو : هل ان تجربة الحزب قد اكدت صواب هذه الرغبة ؟

abou-adnan.org

سيحاول الفصل السادس إستخلاص أهم دروس التجربة وعبرها ، وفيما إذا كانت فكرة حزب العمل الاشتراكي العربي صائبة ؟

٣ ـ حزب العمل الاشتراكي العربي والاحزاب الشيوعية العربية :

لسنا بحاجة للاطالة ، كي نؤكد على ان فكرة حزب العمل الاشتراكي العربي لم تنطلق من كونه بديلاً للاحزاب الشيوعية العربية ، ولكن لابد من الاعتراف بكونها (فكرة الحزب) تنطوي على عدم قناعة بهذه الاحزاب وبكونها لم تلعب وليست بمستوى دورها الطليعي التاريخي . فهذه الاحزاب مهما تحدث بعضها عن الثورية والعمل الثوري ، فانها تبقى تعاني من تراث إصلاحي ما تزال تتمسك به وما انفك يمسك بها ، الامر الذي يذكرنا بقول لينين : « ... ان إنتقال المرء من الرغبة في ان يكون ثورياً ومن الاحاديث ـ والقرارات ـ عن الثورة إلى العمل الثوري الفعلي ، فهو إنتقال عسير جداً ، وبطيء جداً ومؤلم جداً »(١٠٥) .

ولكن إنطلاقة عملنا العربي ، كانت ، رغم ذلك ، قائمة على اساس القاعدة اللينينية القائلة « ان الوحدة هي اعتراف بـ « القديم » ونضال ضد منكريه »(١٠٦) .

كانت بيننا آراء متباينة وخلافات وكان بيننا من يطرح حزب العمل الاشتراكي العربي بديلاً للاحزاب الشيوعية العربية ، ولكن النضال والحوار كان يحسم باستمرار لصالح الاعتراف بالقديم وتفنيد آراء منكريه **وقد برهنت الوقائع على سلامة وموضوعية موقف الحزب المبني على اساس ان حزبنا ليس بديلاً للاحزاب الشيوعية العربية ولكنه يتميز عنها بطرح فكرة البديل ، اي الحزب الشيوعي العربي الموحد .**

٤ ـ صيغة حزب العمل الاشتراكي العربي :

كانت فكرة إنشاء حزب العمل الاشتراكي العربي ، لا تتعدى حدود ردة الفعل على تلاشي حركة القوميين اثر الانشقاق الذي حدث أوائل عام ١٩٦٩ ، ولكنها تطورت وتبلورت لتكون صيغة **لتحويل** منظمات حركة

abou-adnan.org

القوميين العرب التي رفضت الانشقاق وبقيت ملتزمة بالعمل العربي ، إلى صفوف الطبقة العاملة . ونظراً لكون هذه المنظمات تضم بين صفوفها اكثر عناصر الحركة يمينية ، فقد فتحت صيغة حزب العمل الاشتراكي العربي ، منظمات الحزب لكل العناصر اليسارية الماركسية ـ اللينينية لتسهم بانشاء الحزب . ورغم أن « طريق الثورة » لم تول مسألة إسهام العناصر غير الحركية الاهتمام الكافي ، لكن مطالعتها توضح تماماً وبشكل حاسم الاساس الذي قامت عليه صيغة حزبنا .

في إفتتاحية عددها الأول تقول « طريق الثورة » :

« ان (طريق الثورة مطالبة بأن تؤدي مهمتين أساسيتين مترابطتين ، الأولى : أن تلعب دوراً كبيراً في عملية بناء حزبنا الجديد من جهة ، وان تكون الاداة الفعالة من الادوات التي يستخدمها حزبنا في عملية تحول منظمات حركة القوميين العرب ومؤسساتها القائمة من أوضاعها الطبقية والايديولوجية السابقة إلى أوضاع طبقية وايديولوجية جديدة ، لكي تتمكن عناصر هذه المؤسسات من إختيار أحد الطريقين اللذين لا ثالث لهما البتة : فأما السير مع عملية التحول إلى آمادها النهائية وقطع الصلة والعلاقة مع الماضي وحيثياته الفكرية البورجوازية الصغيرة والانتقال إلى مواقع الطبقة العاملة والالتزام بأيديولوجيتها الماركسية ـ اللينينية بشكل حاسم ومتين وراسخ ، وأما العجز عن مواصلة السير المطرد نتيجة عدم القدرة على التحرر من قيود الماضي ، وبالتالي البقاء في المواقع الطبقية والايديولوجية القديمة ، الأمر الذي يصبح معه وجود هذا النمط من العناصر الحركية في المواقع القيادية للحزب وجود معيق للمسيرة ومعرقل لعملية التحول الثوري التي تعيشها مؤسسات الحركة منذ سنوات ، والتي تبلغ اليوم مرحلتها الحاسمة بلوغاً يتطلب الحسم في الخيار بين هذين الطريقين ، أما مواكبة المسيرة والخضوع لمستلزمات عملية التحول وأما التخلف نتيجة العجز عن المواكبة وبالتالي الانسلاخ وفصم العلاقة وإنهاء الارتباط وفقاً للأسلوب الديمقراطي الذي يسمح لهؤلاء الرفاق بالبقاء في إطار الانصار او الاصدقاء للحزب تكريماً لماضيهم النضالي الوطني وتمكيناً لهم من اداء الدور الذي يستطيعون اداءه في حركة التحرر الوطني العربي

abou-adnan.org

عن طريق العلاقة الجديدة التي يحددها الحزب لهم . أن الضرر الذي ينجم عن وجود هذه العناصر في المراكز القيادية كبير جداً سواء أكانت هي مدركة له أم لم تكن مدركة من جهة ثانية .

إذن ، فالمهمة الأولى من المهمتين الأساسيتين المترابطتين اللتين يجب على (طريق الثورة) أن تؤديهما ، هي مهمة الاسهام الفعال في عملية بناء حزب العمل الاشتراكي العربي . وبخصوص هذه العملية ولكي نكون ماركسيين لينينيين ثوريين ، علينا أن ندرك جيداً ان تفكيرنا لابد أن ينشغل بإنشاء حزب بروليتاري ، لا يعرف بأوساط الجماهير بخطه الواضح وبنهجه الماركسي ـ اللينيني الثوري ، فحسب ، وإنما يجب أن ينشغل تفكيرنا علاوة على كل ذلك بأن يكون حزبنا قادراً على الاسهام الفعال في تنظيم الطبقة العاملة العربية ، وعلى إقتحام معاقل أعدائها ودك مراكز قواهم دكاً تتأكد معه الجماهير العمالية من قدرتها على سحق أعدائها ودفع الثورة الديمقراطية العربية في طريق سلطتها الثورية إلى النهاية . ولكي تتحقق كل هذه الاهداف والمقاصد لا يتوجب على الحزب البروليتاري أن يكون مسلحاً بالنظرية الثورية إلى النهاية ، النظرية الطليعية .. النظرية الماركسية ـ اللينينية فقط ، بل وبالاضافة إلى إمتلاكه للنظرية وتسلحه بها عليه أن يكون هيئة أركان نضال البروليتارية العربية وقائد ثورتها الذي يعرف مكانه جيداً ويحتله بجدارة وكفاءة .. مكانه في الطليعة دائماً ، يتعلم من الجماهير ويعلمها ، ولا يرضى على الاطلاق أن تجبره الاحداث لأن يكون رد فعل لها ، ولكي يكون فاعل الاحداث لابد أن يكون قادراً على أن يستكشف بمنظاره الماركسي اللينيني العلمي مقدمات الاحداث ويستعد لاحتمالات وقوعها إن لم يكن هو مفجرها ومحركها .

إن الحزب البروليتاري كي يكون على مستوى مهماته الثورية ، عليه أن يحمل النظرية إلى الطبقة العمالية خاصة والجماهير الكادحة بوجه عام ، وأن يجسد بادائه لهذه المهمة تقدير لينين العظيم للنظرية : (لا حركة ثورية بدون نظرية ثورية) والنظرية الثورية هي النظرية التي تصل إلى الجماهير وتتجسد في أذهانها تجسيداً يساعد الجماهير على إدراك الزيف والخداع في النظريات والمفاهيم الأخرى ، ويوجهها للثورة على أعدائها الطبقيين ، ولكن

abou-adnan.org

لماذا يجب (أن يكون حزبنا قادراً على الاسهام الفعال في تنظيم الطبقة العاملة العربية) على وجه الخصوص ؟ لانها دون غيرها من طبقات الثورة هي الطبقة الوحيدة القادرة على السير في طليعة الجماهير الكادحة تستنهضها للقضاء على خصومها وتدفعها لاقامة سلطتها الديمقراطية الثورية هذه هي المهمة الأولى لـ(طريق الثورة) وعلى هذا الاساس فإن صحيفتنا سوف تكون أداة هامة لتحويل منظمات ومؤسسات حركة القوميين العرب السابقة إلى منظمات ومؤسسات حركة بروليتارية ماركسية لينينية ، تسهم إسهاماً جدياً في شق طريق جديد للثورة العربية . إن الطريق الذي تسير فيه الثورة العربية ، طريق مسدود ، ولكي تتحرر من مأزقه ، فلا بد من طريق جديد ، ترسمه لها القوى الطبقية الصاعدة .. طريق جديد سوف نسهم بتحديد معالمه لجماهيرنا العمالية والفلاحية الثائرة » .

ولكن ردود الفعل لهذه الدعوة التي حملتها « طريق الثورة » كانت متباينة ، فبعض العناصر الحركية قد رفضت الدعوة وقاومتها ، الامر الذي **جعل فتح ابواب الحزب للعناصر غير الحركية ، قضية من القضايا الملحة** . وعندما نراجع ادبيات الفرع اللبناني نلحظ تركيزاً شديداً على المساواة بين العناصر الحركية وغير الحركية وجعل النجاح في إداء المهمات ، مقياساً لاشغال المراكز الحزبية ، وقد تمسكت قيادة الفرع بهذا المقياس وجاءت التجربة مؤكدة صواب موقفها .

إن عملية التأسيس قد افادت في كونها جمعت عدداً لابأس به من الكادرات اليسارية المناضلة في إطارها الجديد . وما تزال هذه الفائدة مرجوة في بقية الاقطار العربية .

وإن شئنا التعبير عن صيغة حزب العمل الاشتراكي العربي ، فبوسعنا القول انها تعبر عن نزعة بروليتارية عربية ، تتمسك بوجود الأمة العربية التاريخي وبضرورة الكفاح من أجل توحيدها ، لتقوم دولة عربية موحدة كبرى توحد طاقات الأمة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والنضالية وتوظفها في سبيل تقدم الشعب العربي وبناء نظامه الاشتراكي العربي . **وقد اكدت تجربة الحزب أن نجاح العمل العربي الثوري**

abou-adnan.org

يرتبط بنجاحنا في إيجاد تنظيم موحد ، خاضع لمبادىء المركزية الديمقراطية التي يتقدمها مبدأ خضوع الاقلية للاكثرية والتزام الفروع بقرارات وسياسة الهيئات العربية المقرة رسمياً .

يقول لينين : « ... ليتساءل كل عامل روسي فيما إذا كان هذا عشية ثورة شباط ـ اذار ١٩١٧ ، عدد كبير من الثوريين الواعين روسيا ؟

ليس العدد هو الأمر المهم ، بل التعبير الصحيح عن افكار وسياسة البروليتاريا الثورية حقاً ، الامر الجوهري لا يقوم في « اعلان » النزعة الاممية ، بل في معرفتنا كيف نكون أمميين فعلاً في اصعب الاوقات »[١٠٧] .

بوسعنا الآن وبعد مضي عشر سنوات على تجربة الحزب أن نكرر قول لينين : العدد ليس هو الامر المهم ، وإنما الأهم هو التعبير الصحيح ، الفكرة الصحيحة ، ولكن لا يكفي القول أننا وحدويون ومؤمنون بوحدة الأمة العربية ، وإنما يتطلب الأمر أن نعرف كيف نكون وحدويين فعلاً في اصعب الأوقات وأشدها حراجة ، لكي نقرن القول بالفعل والممارسة العملية . انه لموقف صعب وحرج ، فعلاً ، ولكن الايمان : مستواه ، نوعيته ، درجته ، تتجلى في إتخاذ مثل هذه المواقف !

abou-adnan.org

الفصل السابع

تقييم تجربة حزب العمل الاشتراكي العربي

اولا ـ مقياس تقييم التجربة .

ثانيا ـ العوامل المحفزة لانطلاقة عملنا العربي

ثالثا ـ العوامل المعيقة لعملنا العربي

رابعا ـ تقييم التجربة .

abou-adnan.org

abou-adnan.org

اولا ـ مقياس تقييم التجربة :

حددنا في مقدمة هذه الدراسة المقياس الذي يجب أن تحاكم تجربة الحزب بموجبه إذ قلنا :

« **إن نظرية التحول هي المقياس الايديولوجي ...** » الذي تقاس به مسيرة الحزب الفكرية وفيما إذا كانت الفترة الماضية تؤكد التحول نحو الشيوعية ، وهل امتلك الحزب الناحية النظرية الماركسية ـ اللينينية أم أنه ما يزال فقيراً عاجزاً عن بلوغ الشيوعية رغم مضي السنوات الماضية !؟

وبما أن الحزب ليس جمعية ثقافية فلا يمكنه أن يكتفي بقول الكلمة ، وطرح المفهوم فقط رغم أنهما عمل أيضاً ، لذلك اعتبرنا « **الممارسة الكفاحية الثورية مقياساً لتاكيد عدم اصلاحية الحزب ، وفيما إذا كانت الفترة الماضية تحمل على اليقين بانه (الحزب) ، يترجم أو على الاقل يبذل اقصى جهوده لترجمة عقيدته الشيوعية الثورية ، التي تميز حزب العمل الاشتراكي العربي عن غيره من الاحزاب الشيوعية العربية . وتجعله قدوة لحركة شيوعية عربية ثورية تقود كفاح الأمة العربية من اجل تحقيق اهدافها في التحرير والديمقراطية والاشتراكية والوحدة والتضامن البروليتاري الأممي أو على الأقل يحمل ملامح المثال الشيوعي الثوري العربي المتميز عن الشيوعي الاقليمي الاصلاحي** ؟!

وانطلاقا من هذا المقياس **النظري والعملي** ، قلنا ان محاكمة تجربة الحزب عربياً ، يجب أن تستند إلى **ادبياته أي عددى طريق الثورة والتعاميم** ، وقطرياً تحاكم الفروع بالاستناد إلى ادبياتها : **برامجها ، تقاريرها السياسية ، نشراتها ، تعاميمها الداخلية ، مواقفها السياسية** . ولا بد أن يؤخذ بنظر الاعتبار كون **الجانب التنظيمي** يدخل ضمن المقياس العملي من حيث التطبيق وإقامة العلاقات التنظيمية بين مستويات التنظيم ومراتبه وتندرج في اطار المقياس الايديولوجي من الناحية النظرية ...

abou-adnan.org

ورغم أن الحزب وحدة جدلية قائمة بذاتها ، فانه منذ وجوده (الحزب) ارتبط بعلاقة جدلية مع حركة الواقع الموضوعي من جهة ، كما ارتبط بعلاقة جدلية أخرى مع أفكار ومفاهيم وسياسات الأحزاب الشيوعية العربية ، وقد أوضحت طريق الثورة العدد الثاني بالدراسة التي نشرتها تحت عنوان : « هل يمكن أن تتحول الأحزاب الثورية البورجوازية الصغيرة إلى أحزاب بروليتاريا ماركسية ـ لينينية ؟ » العمليات الجدلية التي حكمت عملية التحول ...

من هنا ، فان محاكمة هذه الوحدة الجدلية (الحزب) تتطلب النظر بالشرط الموضوعي وفيما إذا كان متوفراً ابان قيام الحزب ووقت طرح الفكرة ؟

إن البحث عن توفر الشرط الموضوعي هو الذي جعلنا نقف أمام الواقع العالمي والعربي ، وهو الذي جعلنا نلقي نظرة على الحركتين القومية والشيوعية ، وهو الذي دفعنا ، لأن نتحدث عن دور الطبقة العاملة في المرحلة الراهنة ، وضرورة تحولها إلى حركة عربية مناضلة في سبيل وحدة الأمة العربية .

إن التسليم بنضج الظرف الموضوعي ، يحصر التقييم في اطار العامل الذاتي ودوره في ترجمة فكرة الحزب وتحويلها إلى واقع مادي يحكم أذهان الجماهير ويتملك قناعاتها . وعند البحث في هذا الاطار لا بد **من رصد الشوط الذي قطعته قيادات الحزب العربية والقطرية في مسالة التاهيل الايديولوجي الشيوعي ، وارتباط هذه العملية بقضية الايمان بوجود الأمة العربية والنضال في سبيل وحدتها .**

وإلى جانب هاتين القضيتين ، يجدر بنا أن نلاحظ مدى الالتزام بمصلحة الطبقة العاملة العربية وحلفائها ، ليس من حيث دعم كفاحها العربي ، وانما من ناحية الالتزام بمبدأ التضامن البروليتاري الأممي والحرص على وحدة الحركة الشيوعية الأممية ...

في ضوء هذا المقياس الذي حددناه ، فإننا سنحاول ، في هذا الفصل ، بلورة صورة عامة ، لتجربة الحزب وتحديد حظها من النجاح .

abou-adnan.org

ولكن قبل الدخول بعملية التقييم هذه لا بد من المرور سريعاً على العوامل التي حفزتنا للخوض في التجربة ، وتلك التي لعبت دوراً معيقاً لعملنا ، والتي كانت تشد وتدفع بالاتجاه المعاكس لرغباتنا وطموحنا ، كي نلحظ الخلفية التاريخية لعملنا ...

ثانياً ـ العوامل المحفزة لانطلاقة عملنا العربي :

إن العوامل المحفزة لانطلاقة عملنا العربي عديدة وسنكتفي بتعداد اهمها بأكبر قدر من الايجاز على الوجه التالي :

١ ـ الانشقاق ، وردة فعلنا ضده .

معلوم لدى جميع الرفاق (الحركيين خاصة) الذين واجهوا حادث الانشقاق والحملـــة الاعلامية التي رافقته ضد حركة القوميين العرب وضد العناصر التي رفضت منطق المنشقين ... معلوم لدى هؤلاء كم كانت شديدة الوقع تلك الحوادث المؤلمة على النفوس ...

ولكن ردة فعلنا ضد الانشقاق والمنشقين لم تكن أكثر من صرخة في واد ، عدنا بعدها نسأل أنفسنا عن مبرر تشبثنا بحركة القوميين العرب طالما أن قناعاتنا قد تعرضت لتغييرات جعلتها تتناقض مع الحركة شكلاً ومضموناً ، قبل حدوث الانشقاق الذي لم يكن سوى احدى نتائج التحول الايديولوجي الذي قادنا إلى « الشيوعية » ...

إن الذين يتذكرون الكراس الذي صدر رداً على المنشقين تحت عنوان : « رد على فريق الحركة المنشق » ، يدركون أن ردنا ولد ميتاً ، الأمر الذي يشير إلى هلاك التعصب القومي الحزبي الحركي الذي تربت عليه فروع حركة القوميين العرب . ولم يكن ذلك الهلاك سوى محصلة للتحول الايديولوجي الشيوعي الذي سبقت الاشارة إليه ...

ولكن محاولتنا التي ولدت ميتة ، كانت أولى مؤشرات عدم الاستسلام للأمر الواقع الذي فرضه المنشقون ، وكان ادراكنا لافلاس

abou-adnan.org

منطقنا القومي البورجوازي من اقوى العوامل التي حفزتنا للخوض في خصم تجربة حزب العمل الاشتراكي العربي ..

وإذن ، فإن حدوث الانشقاق ، وفشلنا في التصدي للمنشقين ، من جهة ، وادراكنا لافلاس منطقنا القومي البورجوازي الصغير ، من جهة اخرى ، قد دفعنا للتفتيش عن الخروج من المأزق الذي حشرتنا فيه التطورات الموضوعية والذاتية ، ولم يكن أمامنا طريقاً نضالياًنسلكه غير طريق اللحاق بركب الطبقة العاملة وحركتها الشيوعية ، التي كانت الثورتان الفيتنامية والكوبية ، أبرز مراكز الجذب والاقناع بالنسبة لنا . أما الأحزاب الشيوعية العربية فلم تكن مثالاً لجذبنا ، وانما كانت عاملاً دفعتنا لأن نتحول إلى الشيوعية ، دون المرور على مكاتبها القيادية ، بسبب نهجها الاصلاحي واقليميتها وعجزها عن أن تكون مثالاً ثورياً للعمل الشيوعي الثوري العربي الموحد .(١٠٨)

٢ ـ اختيارنا الشيوعي لم يلغ طموحنا القومي :

بعد أن حسمنا الموقف وحددنا الاختيار ، وجدنا أنفسنا امام نمطين من الحركات الشيوعية ، النمط الذي تمثله الأحزاب الشيوعية العربية وتجربتها الطويلة في الكفاح الاصلاحي ، ونمط الثورات الصينية والكوبية والفيتنامية . ولدى البحث في تجربة الأحزاب الشيوعية العربية ، لم نجد ما يحفزنا للالتحاق بصفوفها ، لأن العامل الايديولوجي والانتماء الطبقي يمكن امتلاكهمادون حاجة لدفع ثمن الانخراط بتجربة اصلاحية تتعارض مع العنف الثوري الذي نلتزمه من الناحية الكفاحية .

لقد اخترنا كوبا والفيتنام ، ولم نختر الحركة الشيوعية العربية ، لأن صورة كاسترو وجياب وماوتسي تونغ كانت تملأ قناعاتنا ...

ولكن ، لا بد أن نلحظ ، لدى التدقيق بمسألة الاختيار ، أن تبرير عدم الانضمام إلى الاحزاب الشيوعية بذريعة التزامنا بالعنف الثوري ، ليس كافياً ، وعلينا أن نعترف بكون طموحنا الذاتي لأن نكون قادة حركة الثورة العربية ، كان يلعب دوراً ملحوظاً في تحديد اختيارنا ، غير أن اهم

abou-adnan.org

الدوافع كلها ، يتجلى في كون اختيارنا للشيوعية لم يتحقق على اساس التخلي عن طموحنا القومي المستمد من ايماننا بكون العرب امة واحدة ، وبان الكفاح من اجل وحدتهم القومية واجب على الشيوعيين ينبع من كونهم مسؤولين عن قيادة الثورة الوطنية الديمقراطية نيابة عن البورجوازية . وقد الح لينين كثيراً على ضرورة ان تتزعم البروليتاريا حركة الثورة وتقودها ، ومما قاله بهذا الصدد : طالما ، إن القضايا الديمقراطية البورجوازية لم تجد لها حلاً ، فإن الأزمة الثورية تظل امراً محتوماً . بل انها تنضج من جديد ، ولذا ، نمضي إلى ملاقاتها من جديد ، نمضي بطريقة جديدة ، لا كما في السابق ، لا على الوتيرة نفسها ، لا بالاشكال القديمة وحسب ، إنما نمضي بلا جدل .

من هذا الوضع ، تنجم مهمات البروليتاريا بصورة لا مرد لها ، وبأكمل الدقة . **فهي ، بوصفها الطبقة الوحيدة الثورية إلى النهاية في المجتمع الحالي ، إنما يترتب عليها ان تستلم زمام القيادة ، ان تبسط زعامتها في النضال الذي يخوضه الشعب كله في سبيل انقلاب ديموقراطي تام ، في النضال الذي يخوضه جميع الشغيلة والمستثمَرين ضد الظالمين والمستثمرين . وليست البروليتاريا ثورية إلا بقدر ما تعي فكرة الزعامة هذه وتطبقها عملياً** . وحين يدرك البروليتاري هذه المهمة ، يغدو عبدا يثور ضد العبودية أن البروليتاري الذي لم يدرك فكرة زعامة طبقته ، أو ينكر هذه الفكرة ، هو عبد لا يدرك وضعه كعبد ، وهو في أحسن الأحوال ، عبد يناضل في سبيل تحسين وضعه كعبد ، لا في سبيل دك نظام العبودية »[١٠٩]

وقال : **إن التخلي عن فكرة الزعامة هو اشد اشكال الاصلاحية فظاظة** »[١١٠]

لذلك لم نشعر بأن اختيارنا للشيوعية يحتم علينا التخلي عن إيماننا بوجود الأمة العربية وقناعتنا بضرورة النضال من أجل تحقيق وحدتها القومية . ومعلوم أن تراث الحركة الشيوعية العربية وتجربتها لا يحفز مثل هذا الايمان ولا يستقطب الكفاح الوحدوي المستند إليه !

abou-adnan.org

٣ ـ نظرتنا الاممية وعملنا الشيوعي المستقل .

لقد كان لموقف الاتحاد السوفياتي من التسوية السياسية ، تأثير على نظرتنا الاممية ، ولا نستطيع فصل ميلنا نحو الصين الذي نجد آثاره في ادبيات الحزب ، عن عدم ارتياحنا من سياسة الاتحاد السوفياتي تجاه القضية الفلسطينية : هو يوافق على حل سلمي ونحن نرفض هذا الحل ليقيننا أنه (الحل) خيانة قومية .

ومع إن نظرتنا إلى الاتحاد السوفياتي لم تحمل عداء ، ورغم إن التطورات كانت تعمل باستمرار على التخفيف من ميلنا الصيني ودفعنا للاقتراب من الاتحاد السوفياتي ، ومع إننا حسمنا موقفنا مؤخراً إلى جانب الاتحاد السوفياتي ، نتيجة انحراف الصين وتخليها عن الشيوعية ... رغم ذلك كله فإن تجربة السنوات العشر الماضية لم تقنعنا بعكس رؤيتنا السابقة للاحزاب الشيوعية العربية ...

إن اختيارنا للعمل الشيوعي المستقل ، ما يزال يتمتع بمبرراته ورغم بعض التطورات الايجابية التي يعيشها بعض هذه الأحزاب والتي قد تساعد على تقريب وجهات النظر بيننا ... رغم ذلك فإن القضية الجوهرية برامج الأحزاب الشيوعية العربيةالاصلاحية ما تزال هي ومسلكيتها لكفاحية .

ولا بد من أن نسجل هنا ، أن اختيارنا للعمل الشيوعي المستقل عن الاحزاب الشيوعية العربية ، وميلنا الواضح نحو الصين ، لم يجرنا نحو منزلقات النهج الصيني . وقد بقيت نظرتنا الاممية متحصنة من مؤثرات الموقف الصيني ، وهذا ما يفسر معارضتنا لنظرية « العوالم الثلاثة » التي اعتبرناها غير علمية وبالتالي غير شيوعية .

٤ ـ موقف الرفيق الأمين العام ودوره المحفز للعمل الشيوعي ربي المستقل .

إن عرض تجربة عملنا العربي وتسجيل تاريخ حزبنا ، لا بد أن يخصص بعض صفحاته لدور الرفيق الأمين العام جورج حبش فلولاه لما

abou-adnan.org

وجدت فكرة حزب العمل الاشتراكي العربي طريقها إلى الترجمة العملية ...

لقد تمسك الرفيق الأمين العام بفكرة استمرار عملنا العربي ، أولاً ، وبفكرة الحزب فيما بعد ، ثانياً ، وتابع تبنيه للفكرة . وطيلة السنوات العشر الماضية ، ورغم انه لم يرم بكل ثقله إلى جانب التجربة ، فإن مجرد وجوده على راس التجربة خاصة في بدايتها كان كافياً لامداد التجربة بحوافز الحياة والبقاء والاستمرار ...

كان وجود الرفيق الحكيم على راس الأمانة العامة ، يوحي ، بكون الجبهة الشعبية مع العمل ، ويخفف من سلبية عزلتها العملية عن التجربة .

ثالثاً ـ العوامل المعيقة لعملنا العربي :

إن الحديث يطول في ميدان تحديد العوامل السلبية التي لعبت دوراً معيقاً لعملنا ، لانها ، هي الأخرى عديدة ، وعلى سبيل المثال وليس الحصر ، سنوجز ، أو بالأحرى سنسجل عناوين بعضها :

١ ـ فقر التجربة الايديولوجي .

كانت العفوية هي الأساس الذي انطلقت منه التجربة ، إذ لم يتوفر للتجربة كوادر ملمة بالنظرية وضليعة بالفلسفة الماركسية ـ اللينينية . وأحسن وصف لعملية تأسيس الحزب انها ولدت فقيرة ، لدرجة أنها ما كادت ترى النور حتى وجدت نفسها أسيرة التجريبية والعفوية . إذ لم يتوفر سوى القناعة العامة العائمة بالشيوعية . وحتى هذه القناعة لم تكن قد بلغت لدى العديد من كوادر الحزب ، درجة العقيدة والقوة المادية التي توجه معتنقيها ، وفي مثل مرحلة اهتزاز القناعات واضطراب الأفكار التي ولد ابانها الحزب ، كان احتمال النجاح ضعيفاً جداً .

٢ ـ فقدان التجربة للضابط التنظيمي .

مثلما افتقرت عملية تأسيس الحزب للنضج الايديولوجي فقد افتقرت ايضاً للأساس التنظيمي . الأمر الذي جعل العملية تقوم على أساس

abou-adnan.org

الاجتهادات الفردية في حقل التنظيم ، وكانت نتائج ذلك خطيرة إذ عاشت التجربة قبل أن تستكمل إرساء أساسها ظاهرة اللا انضباط واللا التزام بمباديء المركزية الديمقراطية ، بحيث راح كل فرع يتصرف بشكل مستقل خاصة بعد الانشقاق الذي تعرضت له الجبهة الشعبية والفرعين اللبناني والسوري ، الأمر الذي وجه طعنة مميتة للتجربة ، لأن تصرف الفروع المستقلة قد أدى إلى ظهور تعارضات بلغت حد التناقضات في الرؤى الفكرية والسياسية ، بلوغاً عرض حيثيات قيام الحزب ومبررات وجوده ، للتشكيك . ففي وقت قام فيه حزب العمل الاشتراكي العربي ليكون جزءا من البديل ، وفي وقت كان فيه العديد من العناصر المؤسسة تطرح الحزب باعتباره حزباً شيوعياً عربياً بديلاً للأحزاب الشيوعية العربية ، وفي وقت كان يفترض فيه أن تتميز التجربة بالالتزام الصارم بالمركزية الديمقراطية ، التي كانت الأساس وراء تسمية اللجنة المركزية العربية بالقيادة المركزية المؤقتة ... في هذا الوقت بدأت الروابط التنظيمية تضعف ويتضاءل دورها ، لنجد الفروع تمارس وتعيش نوعاً من انواع الاقليمية الليبرالية ، ممارسة وعيشاً خلقا تناقضاً بين الفكرة وأساسها التنظيمي المركزي العربي ، الأمر الذي يجعل من ثبات التجربة حتى هذه الساعة ، برهاناً على ما للعمل الشيوعي الثوري العربي الموحد من قوة وحيوية !

٣ ـ نشوء التجربة على هامش اهتمام الجبهة الشعبية وبمعزل عن التزامها التنظيمي .

لقد قامت تجربة عملنا الشيوعي العربي على هامش اهتمام الجبهة الشعبية وبمعزل عن التزامها التنظيمي الرسمي ، لدرجة ان صدور طريق الثورة كان مفاجأة للغالبية الساحقة من كوادر الجبهة وأعضائها ، وإذا أردنا الدقة في التعبير ، فعلينا أن نقول أن صدور طريق الثورة واعلان قيام الحزب ، كان مباغته غير سارة للجبهة الشعبية باستثناء الرفيق الأمين العام وعدد لا يزيد على أصابع اليد الواحدة ، من الكوادر التي لم ترافق نشوء الفكرة ولم تول موضوعها أي اهتمام ، مما ولد ردود فعل سلبية وتناقضات بين فكرة الحزب لدى طرحها وبين الجبهة ومكاتبها المنتشرة في العديد من البلدان العربية والأجنبية . وقد زادت من سعة ردود الفعل السلبية بين

abou-adnan.org

أوساط الجبهة الشعبية تلك الفكرة القائلة بأن الجبهة فرع من فروع الحزب ، في وقت أن وجود هذا الحزب لا يعدو عن كونه شعاراً غامضاً لدى بعض عناصر حركة القوميين العرب المعروفة بتخلفها الفكري ، فتولد انطباع بأن الحزب يتخذ من التزام الماركسية ـ اللينينية ستاراً للتمويه واخفاء اليمينية عن العناصر التي رفضت الانشقاق وعارضته .

وقد استقطبت فكرة كون الجبهة الشعبية فرع من فروع الحزب ، أوسع دوائر الرفض والمعارضة إذ كان طرح الفكرة وتداولها خطأ وقعت به قيادة الحزب . ففي وقت ان عملية التأسيس كانت ما تزال مجرد محاولة غير ملموسة وغير مضمونة النتائج ، فإن رفضها من قبل كوادر الجبهة وأعضائها ليس أمراً غريباً ، فهم يرفضون فكرة لا يلمسون واقعيتها ، ولذلك كان يجب أن يؤخذ رأي الجبهة وأن تجند للفكرة قبل الاعلان عن قيام الحزب ، كي لا يكون وجود الحزب عامل استفزاز وتحد لكوادر الجبهة وقواعدها المنتشرة في الوطن العربي والعالم . ومع أن الجبهة الشعبية لم تطبق في يوم من الأيام شروط الالتزام بالحزب . فلا قيادتها ملزمة بقراراته ولا قواعدها ملزمة بادبياته وتوجيهاته ، ولا جماهيرها على علم بعلاقتها به ... مع ذلك ، فإن الحزب كان تابعاً يدور في فلك الجبهة ويخضع لارادتها ، إن شاءت دعت قيادته للاجتماع والعمل ، وإن إنشغلت عنه جمدت نشاطه (الحزب) لشهور ، تاركة الفروع تتصرف وفق اجتهاداتها دون رقابة أو توجيهات مركزية عربية .

إن اعلان الجبهة عن انسحابها من الحزب لم يكن يعني من ناحية الحزب أكثر من حرمان الفروع من الدعم المالي الذي كانت الجبهة تقدمه للفروع ، ولكنه عنى ، من ناحية الجبهة تحررها من قيد معنوي ومادي .

اعتماد التجربة على الفردية .

استندت عملية التأسيس الأولى منذ نشوئها واخراجها إلى حيز التطبيق ودفعها إلى ميدان الترجمة العملية ، على الفردية ، إذ لم تكن قيادة الحزب ، أو ما يسمى في مرحلة التأسيس الأولى بالقيادة المركزية المؤقتة ، قيادة جماعية بكل ما تعنيه الكلمة ، وانما كانت تقوم على عدد محدود جداً

abou-adnan.org

من الرفاق ، اتخذوا من اسم القيادة المركزية المؤقتة ستاراً وجعلوا منها تجمعاً لا حول له ولا قوة . وكان العديد من عناصر قيادات الفروع لا يملك فكرة واضحة عن الحزب وحيثيات وجوده ، فضلاً عن أن بعض سكرتاري الفروع حاول أن يستغل مشروع تأسيس الحزب الجديد ليكون له مركزاً سياسياً على حساب فكرة الحزب وارتباطها بشخص الرفيق الأمين العام جورج حبش .

إننا لسنا بصدد المحاسبة ، ولكن الرفيق الأمين العام يتحمل المسؤولية الأولى فيما أصاب الحزب !...

٥ ـ طغيان التعارضات الثانوية .

في ظل الفقر الايديولوجي واللا انضباط وعدم التزام الجبهة الشعبية التنظيمي والفردية ونزعة الاستقلال الاقليمية ، بدأت التناقضات الثانوية والذاتية بين عناصر الهيئات المركزية تتحكم بمسيرة عملنا العربي الحزبي ، تحكماً عرض علاقة الالتزام العربي التي تربط فروع الحزب مع بعضها إلى ضغوط وتجاوزات تخطت حدود الأسس التي قامت عليها التجربة . ففي حين كان كل فرع يتصرف بما يحلو له ، بحيث يقرر شعاراته ومواقفه وعلاقاته وسياسته ويذيع آراءه ووجهات نظره دون الرجوع إلى القيادة المركزية العربية (ل . م . ع .) ... في هذا الوقت الذي عاشت فيه الفروع استقلالاً يكاد يكون تاماً ، كان كل فرع يحضر أو يشارك في الاجتماعات المركزية كي يتخذ منها وسيلة لخدمة فرعه على حساب الفروع الأخرى !..

وكان طبيعياً أن ينشأ عن علاقة كهذه ، تناقض بين مركزية العمل العربي التي قامت عليها التجربة ، وبين الاقليمية التي بدأت تعبر عن نفسها بالاستقلال التنظيمي والسياسي وحتى الايديولوجي الذي بلغ درجة أن بعض الفروع رفضت الزام أعضائها بمطالعة العدد الثاني من طريق الثورة .

هذه هي ابرز العوامل المعيقة ، وهي كافية لأن توقع التجربة في مأزق التجريبية والتعثر .

abou-adnan.org

رابعاً ـ تقييم التجربة :

إن الاستنتاج الذي نستخرجه من تحليلنا للتجربة ونقدها على درجة كبيرة من الاهمية ، نظراً لارتباطه بقضية وحدة الأمة العربية ، وفيما إذا كانت هذه القضية مجرد ردة فعل لدى بعض المثقفين ضد الوجود الأجنبي ، على حد إدعاء الرفيق كريم مروة ، أم أنها (قضية الوحدة) تعكس حقيقة موضوعية نشأت في صلب التاريخ العربي ـ الاسلامي وتكونت عوامل وجودها على إمتداد مئات السنين ؟

إذا استخدمنا المقياس المطلق لمحاكمة التجربة ، وجعلنا قضية التحول نحو الشيوعية هي الاعتبار الأول فإنها (التجربة) تعتبر ناجحة نسبياً لأن معرفتنا للعوامل المحفزة والمعيقة ، من جهة ، وتسليمنا بكون الجبهة الشعبية ، وفروع الحزب الاخرى ، قد كرست التزامها بالشيوعية بشكل لا رجوع عنه ، من جهة اخرى ...

إن معرفتنا لهذه الحقيقة القائمة اليوم كافية لاقناعنا بان عملية التحول قد بلغت نهاية مرحلتها الثانية واصبحت فروع الحزب على ابواب تكريس وجودها ، باعتبارها فروعاً لحركة شيوعية عربية موحدة ...

إن تسليمنا بكون النشاط التاريخي ليس مستقيماً كرصيف جادة نيفسكي ، يدفعنا للتساؤل : **واي نشاط تاريخي اكثر تعرجاً وتعقيداً من عملية بناء حزب شيوعي من طراز جديد في وضع كوضعنا العربي ؟**

لا ريب في أن ما حققناه حتى الآن لم يجسد سوى نسبة ضئيلة جداً من طموحنا وآمالنا . ولكن هل أن ما تحقق لا يساوى شيئاً ، ولا قيمة له بحساب القضية المطروحة ؟

دعونا نتأمل في التاريخ ونستعيد وقائعه لنرى لينين صاحب القول المأثور : « ... أعطونا منظمة ثوريين ونحن نقلب روسيا » ، كيف كانت تجربته بهذا الميدان ، نعني ميدان تأسيس وبناء حزب شيوعي مركزي من طراز جديد ؟

abou-adnan.org

« كان لينين يرى أن روسيا تمثل الحلقة الأكثر ضعفاً في نظام الامبريالية ، عقدة كل تناقضاته . وفيها تهيأت ظروف الانفجار الثوري ضد القيصرية وسلطة الرأسمال . وكان وجود الحزب البروليتاري ضرورياً لترؤس نضال الطبقة العاملة وكل الشغيلة من أجل التقدم الاجتماعي وقيادتهم في طريق الثورة الظافرة .

وشكل « اتحاد النضال من أجل تحرير الطبقة العاملة » في بطرسبرغ ، الذي أسسه لينين في عام ١٨٩٥ ، النواة الجنينية للحزب الماركسي للبروليتاريا الروسية ، والذي جمع لأول مرة فيما بين أفكار الشيوعية العلمية والحركة العمالية . ولكن لا « اتحاد النضال » في بطرسبرغ ولا المنظمات الاشتراكية ـ الديمقراطية التي **قامت بعده في المدن الروسية الأخرى ما كانت بعد لتشكل حزباً ، إذ لم تكن تربطها علاقات لا على الصعيد الفكري ولا على الصعيد التنظيمي .**

ولم يحقق المؤتمر الأول لحزب العمال الاشتراكي ـ الديمقراطي الروسي المنعقد في مينسك في عام ١٨٩٨ ، مهمته بتأسيس حزب عمالي جماهيري . صحيح أنه أعلن عن تأسيس الحزب ، وكان لهذا الأمر أهمية كبيرة على الصعيد السياسي وعلى صعيد الدعاية الثورية ، بيد أنه من الناحية الواقعية لم يتم تأسيس الحزب . **ولم تكن لدى المنظمات الاشتراكية ـ الديمقراطية حتى ذلك الحين ، قيادة ممركزة ، ولا تكتيك واحد ، ولا برنامج ، ولا نظام داخلي ، ولم تكن ثمة وحدة فكرية وتنظيمية وفوق ذلك، فإن نواة الماركسيين ـ الثوريين وعلى رأسهم لينين أبعدت إلى المنفى ، وازدادت البلبلة الفكرية في المنظمات المحلية لحزب العمال الاشتراكي ـ الديمقراطي الروسي ، وتعاظم تأثير العناصر الانتهازية »**[١١١] .

هذه هي تجربة لينين ، وكلنا يعرف ماذا حدث خلال السنوات التالية ، ومن يطالع مؤلف لينين : « خطوة إلى الأمام خطوتان إلى الوراء » الصادر عام ١٩٠٣ أثر ارفاض مؤتمر الحزب الثاني الذي كان مسرحاً لخلافات حادة وعنيفة دارت كلها حول القضية التنظيمية . من يطالع هذا المؤلف يدرك ما جرى في ١٩٠٣ ، وبدون اطالة دعونا نسأل لينين عن الفترة

abou-adnan.org

التي اعقبت المؤتمر الثاني ، وليخبرنا عن حال الحزب خلالها :

« إن التكتل هو الصفة المميزة الرئيسية للحزب الاشتراكي - الديمقراطي في حقبة تاريخية معينة ، ولكن اية حقبة على وجه التحديد ؟ الحقبة الممتدة من سنة ١٩٠٣ حتى سنة ١٩١١ »[١١٢] .

ابعد هذه التجربة اللينينية ، نستكثر على النتيجة التي حققها عملنا خلال السنوات الماضية ، وصفها بالنجاح النسبي ؟، الا يكفينا انها حسمت معضلة التزامنا بالشيوعية ؟

اننا لانشارككم تقييمكم لتجربة الحزب ، ومع ذلك دعونا نقف أمام تقييمكم أنتم !.

لقد اعتبرتم أيها الرفاق ، لدى تقييمكم ، إن تجربة عملنا قد نجحت في فلسطين ولبنان . وعندما نقف أمام نجاح الفرع اللبناني ، أقلا نرى أن هذا النجاح يشكل دليلاً كافياً على صحة الفكرة وإمكانية تكرارها في الاقطار الأخرى ، يكفي أن نسلم بكون الحزب الشيوعي اللبناني هو اقوى الأحزاب الشيوعية العربية وأنشطها ، وإن الفرع اللبناني قد تعرض لانشقاق عميق بقي الحزب يعاني منه حتى أواخر عام ١٩٧٤ ومع ذلك نجحت التجربة في لبنان .

إن التفسير المنطقي لنجاح الفرع اللبناني ، لا يصح أن يكتفي بظروف الحرب الاهلية التي ساعدت الفرع على شق طريقه وصيرته أمراً واقعاً يبشر بمستقبل متطور فعلاً ... لا يصح الاكتفاء بعامل الحرب الاهلية ، لأنه عامل موضوعي واحد ، غير كاف لخلق حزب العمل الاشتراكي العربي ، ولدى البحث عن العوامل الأخرى ، وعلى وجه التحديد ، عن العامل الذاتي ، فسنلحظ أن جهدنا المبذول من أجل عملية البناء الحزبي قد اقترن بدعم مادي ومعنوي من لدن الرفيق الأمين العام جورج حبش .

هذه هي ، إذن ، إحدى نتائج العمل العربي الموحد ، ولكن ليست هذه هي كل الأهمية لنجاح الفرع اللبناني ، فهذا جانب فقط ، أما الجانب

abou-adnan.org

الآخر ، فيتجلى في كون الفرع اللبناني لم يحقق نجاحه عبر العلاقة الايجابية مع الجبهة الشعبية فقط ، وإنما حقق نجاحه ، أيضاً من خلال الجدل مع الجبهة الشعبية ، وعبر الخلافات الكثيرة والمتباينة ، الأساسية والفرعية ، الرئيسية والثانوية ، ليس هناك فرعاً من فروع الحزب تعرضت علاقته لمثل التوترات التي شابت علاقة الفرع اللبناني ، مع الجبهة ، ومع ذلك كله ، فانها (الخلافات) لم تكن هي السمة الطاغية على العلاقة بين فرعينا ، وكانت تحسم باستمرار لصالح العلاقة بيننا .

مما تقدم ، يتضح أن توفر العاملين الموضوعي والذاتي على أرض التعاون والتعاضد والحوار والجدل ، والممارسة العملية المشتركة وضبط التعارضات واخضاع ما هو ثانوي لما هو رئيسي وما هو فرعي لما هو أساسي ، كفيل بجعل العمل الشيوعي العربي الموحد ناجحاً .

abou-adnan.org

الفصل الثامن

معطيات التجربة
وشروط العمل الشيوعي الثوري العربي الموحد

اولاً ـ الشروط الفكرية .

ثانياً ـ الشروط التنظيمية .

ثالثاً ـ الاعلام وإعداد الكوادر الحزبية .

رابعاً ـ معطيات التجربة وشروط العمل الشيوعي الثوري العربي الموحد .

abou-adnan.org

abou-adnan.org

أولاً ـ الشروط الفكرية :

عندما تكون صيغة التنسيق بين الأحزاب والمنظمات الشيوعية العربية ، مؤقتة وهادفة إيصال العلاقة بين هذه الأحزاب إلى صيغة أرقى وأمتن ... إلى صيغة المركزية الديمقراطية ، فلا بد أن يكون واضحاً لدى هذه الأحزاب ان شرط الالتزام الايديولوجي بالشيوعية ، يتقدم كل شروط واعتبارات العمل الموحد ...

وعندما يكون شرط الالتزام الايديولوجي ، في المقدمة بالنسبة لصيغة التنسيق ، فمن باب أولى أن يكون كذلك في صيغة العلاقة القائمة على أساس المركزية الديمقراطية .

لا ريب في أن هذا الكلام لا يحتمل الجدل أو المناقشة لأنه يدخل ضمن اطار البدهيات ، ولكن التسليم به ليس أكثر من اعتراف بالعموميات ، ولذلك لا بد من التحديد ، وأولى موجبات حدود هذا الشرط هي التالية في رأينا :

١ ـ التزام صارم بالايديولوجية الشيوعية والجهر بها والعمل على أساسها .

٢ ـ التزام واضح بمبدأ التضامن البروليتاري الأممي مع الأحزاب الشيوعية بصورة عامة ومع الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي على وجه الخصوص .

٣ ـ التزام صارم بالبرنامج والوثائق الصادرة عن الهيئات المركزية العربية وفقاً للاصول والأسس التنظيمية التي تنص عليها نظم العلاقات ودساتيرها ، العربية والاقليمية التي يجب أن تكون منسجمة وغير متعارضة .

إن هذه الشروط الثلاثة ، هي أقل ما يجب أن يميز صيغة الالتزام بمبدأ المركزية الديمقراطية ، عن صيغة التنسيق ...

abou-adnan.org

ثانياً ـ الشروط التنظيمية :

يقول لينين :

« إن أساس الوحدة في الانضباط الطبقي ، في الاعتراف بارادة الاكثرية ، في العمل الموحد في صفوف الاكثرية والمتفق مع مسيرها »[١١٣] .

وانطلاقاً من هذه الاعتبارات التي يحددها لينين فان أرقى صيغ العمل الشيوعي الثوري العربي تتطلب في حقل التنظيم احترام المبادىء والأسس العامة التالية :

١ ـ التزام بمركزية ديمقراطية ملائمة لطبيعة أوضاع وطننا العربي القائمة حالياً ...

إن ارساء أسس تنظيمية ملائمة للظروف العربية ، والواقع الموضوعي القطري الذي افرزته التجزئة ، مسألة على درجة كبيرة من الأهمية ، وفي رأينا ان المركزية الديمقراطية كما تطبق على حياة الأحزاب الداخلية تحتاج لما يمكن ان نسميه تطبيقا خلاقا على العلاقات العربية ، وهو على كل حال تطبيق قابل للتغيير في مرحلة قادمة . والتطبيق الذي نقترحه هو التالي :

١ ـ ان يعامل كل فرع من الفروع العاملة على أساس الحق المتساوى في التمثيل من حيث عدد المندوبين في الهيئات المركزية بغض النظر عن حجم العضوية في الفروع العاملة .

إن المساواة في تمثيل الفروع بعدد متساو من المندوبين تستند إلى حيثية أساسية ، تتجلى في كون التمثيل ليس للفرع ، بقدر ما هو للقطر ولخصوصيته الاقليمية . وهذا الأمر يجب أن يهم الهيئات المركزية العربية أكثر من حجم عضوية الفروع ...

إن حجم العضوية لا يصلح ان يكون مقياساً لتحديد نسبة التمثيل لانه غير مستقر اولاً ، ولان فاعلية الفروع لا تقاس بحجم عضويتها ، خاصة إذا أخذنا بنظر الاعتبار القاعدة التي تبناها لينين

abou-adnan.org

وكرسها من الناحية التنظيمية ، عنينا قاعدة : « الحزب يقوى بتطهير نفسه » ، ثانياً .

إن ضمان التمثيل المتساوى في عدد المندوبين لكل فرع سوف يضمن للفروع حق التعبير عن خصوصيتها القطرية ، وبهذه المساواة نضمن للخاص القطري أن يعبر عن نفسه ، دون تبعية للعام العربي ، من جهة ، ونكرس قاعدة لضمان حق شعب كل قطر عربي مهما كان عدده ، إذا ما تميز بخصائص قطرية ملحوظة ، في أن يكون له رأي مساو لرأي شعوب الاقطار العربية الأخرى في إقامة الوحدة وتحديد روابطها ، من جهة أخرى ...

وعلى كل حال فإن تجربة بعض القوى القومية القائمة على أساس نسبية التمثيل للفروع لا تصلح لأن تكون مثالاً لحركة شيوعية ثورية عربية موحدة وملتزمة بحق كل شعب عربي في أي قطر في تقرير مصير علاقته مع شعوب الاقطار العربية الأخرى دون تبعية أو طغيان ..

ومعلوم أن الفروع العاملة ، هي ممثلة لشعوبها ، وإن مندوبيها هم ممثلوها في الهيئات المركزية العربية .

ب ـ مثلما ضمنا ، بواسطة التمثيل المتساوى في عدد المندوبين ، حق الخاص القطري بالتعبير عن نفسه ، وأوجدنا بهذه الصيغة توازناً في قوة تمثيل كل الفروع وجعلنا حجومها بمستوى واحد من القوة ، فإننا مطالبون بأن نضمن للعام العربي ما يحصنه من طغيان الاقليمية ويجعله تابعاً يدور في فلكها . وهذه الضمانة برأينا تتجلى في **جعل التصويت والترشيح في الهيئات العربية فردياً ولا يخضع للقطرية** . ففي الوقت الذي جعلنا لكل فرع أصواتاً متساوية بعدد مندوبيه ، فإننا نضمن حرية الرأي الفردي وبذلك نحفز عملية الجدل والتأثير المتبادل في المؤتمر العربي أو في اللجنة المركزية العربية ، أو في المجالس العربية إذ يستطيع كل مندوب أن يجعل من صوته عاملاً مقرراً لهذا الرأي أو ذاك ، لهذه الفكرة أو تلك ، سواء كان متوافقاً مع رأي فرعه أم لا !

وإذن ، فعن طريق التماثل التام في عدد المندوبين ، نضمن تمثيل

abou-adnan.org

الخصوصيات القطرية ، بكل إيجابياتها وسلبياتها ، وعن طريق فردية التصويت نطلق حرية المندوبين في دعم او احباط اي رأي او فكرة لا ترق لهم . وبهذه العملية حررنا المندوبين من هيمنة القطرية بعد ان ضمنا لها توازناً في التمثيل ، واتحنا للمركزية الديمقراطية ان تجد طريقها للتطبيق عبر سلطة الاغلبية ، والتزام الفروع بها .

وبعبارة اخرى ، اذا كان الغرض من المساواة في تمثيل الفروع في الهيئات المركزية العربية ، هو ضمان التوازن بين خصوصيات الاقطار العربية ،واتاحة فرص متساوية لهذه الخصوصيات كي تعبر عن نفسها وتعكس طبيعتها على بعضها بعضا ، فلا بد ان يكون الهدف من وراء هذا التوازن هو ايجاد تفاعل وتأثير متبادل بين هذه الخصوصيات ، بغية التوصل الى تصور ، راي ، فهم ، موقف عربي مشترك ، قد لا يمثل قناعات جميع الرفاق مندوبي الفروع ، ولكنه راي اغلبية المندوبين ، ويصبح بالتالي راي الحزب الملزم لجميع الفروع .

إن صيغة المساواة في التمثيل والفردية في التصويت والترشيح ، تضمن للعلاقات العربية ديمومة وتطوراً مطرداً ، لأن المساواة تزيل الشعور بالغبن لدى الفروع الصغيرة ، وحرية الرأي والتصويت تطلق حركة الجدل وبالتالي تتيح للرأي العربي أن يعبر عن نفسه في مواجهة الرأي القطري ، والمفترض أن تلعب الفروع الكبيرة دوراً يتناسب وحجمها في هذا الميدان القيادي .

إن صحة ما هو عام ودقته ، تتجلى في استيعابه لما هو جوهري وضروري في الخاص المرتبط به . لأن الأخير يحتوي على بعض الأول ، مثلما يحتوي الأول على بعض الثاني ، في علاقة التاثير المتبادل بينهما . لذلك فإن اي تجاهل او اهمال او عدم مراعاة دقيقة للرابطة الجدلية بين العام العربي والخاص القطري ، من شانها ان تجعل عملنا ، تكراراً لروتين الدوران في الحلقة المفرغة :
نضال ضار وشجاع ولكنه لا يقوم على أساس المعرفة والعلم ، وبسبب ذلك فإنه عاجز عن الافلات من قبضة العفوية واخضاعها لمشيئته الواعية وارادته الصلبة ، والرامية لبلوغ أهدافها الكبرى وتحقيق غاياتها العظمى !

abou-adnan.org

إن نجاحنا ، كله يتركز في نقطة ، هي كتلك البؤرة التي يتجمع فيها الضوء ، من مسارب متعددة فيتيح نوراً ساطعاً لكل الأجواء التي حوله . اردنا ان نقول ان نقطة الانطلاق السليم وضمان نجاحه يتمثل في قدرتنا على التوفيق بين العام العربي والخاص القطري ، بحيث يبقيان في وحدة جدلية متناسقة ومتماسكة .

ج - إن حرية التصويت والترشيح الفردية وتمتع المندوبين بالتعبير عن آرائهم الخاصة التي يلعب الحوار والجدل في الهيئات المركزية دوراً كبيراً في تحديدها وبلورتها ... إن هذه الحرية قد تعرض المندوبين لاجراءات تنظيمية تعسفية من قبل الهيئات القطرية ولذلك لا بد من ضمانة لبقائهم في مسؤولياتهم العربية **فترات زمنية محددة وثابتة** ، كي تتاح لهم فرص اثبات كفاءاتهم ، في حال فوزهم في الانتخابات لاشغال المراكز الحزبية العربية ، من جهة ، **وأن يتم اختيار المندوبين لكل فرع عن طريق الانتخاب السري من قبل اللجان المركزية الوطنية ، وان تمنع الاجراءات التعسفية بحق أي مندوب اكتسب صفة تمثيل فرعه عن طريق الانتخاب قطرياً او عربياً** ، من جهة أخرى ، ولكن هذه الاعتبارات جميعها لا يصح أن تحرم قيادات الفروع ممارسة حقها في ردع العناصر التي تمارس التخريب أو تشكل خطراً على أمن الحزب . **لذلك فإن الاجراءات التي تتخذ ضد العناصر المنتخبة في الهيئات المركزية العربية ، يجب ان تحوز على مصادقة هذه الهيئات وموافقتها** . كما يحق لهذه العناصر عرض شكواها على الهيئات المركزية العربية : **المؤتمر العربي واللجنة المركزية العربية و المكتب السياسي العربي** ، من جهة ثالثة .

د - إذا تعذر اجراء انتخابات لاسباب وجيهة ومقبولة من قبل الهيئات المركزية العربية ، فإن **تعيين المندوبين على المستويين القطري والعربي ، للحالات الاستثنائية امر تقره اللجنة المركزية العربية والمؤتمر العربي ، بناء على توصيات لجان الفروع المركزية** ...

هـ - إن اطلاق حرية التصويت والترشيح الفردية لاشغال المراكز

abou-adnan.org

الحزبية ، لا يعني عدم التداول بين المندوبين وسكرتاري الفروع ، وحقهم في تقديم لائحة مرشحين متفق عليها . ولكن لوائح المرشحين الجماعية لا تمنع الترشيح الفردي الذي هو حق من حقوق كل مندوب .

٢ ـ جعل العضوية في الهيئات المركزية العربية القائمة ، على أساس الشروط الأولى نوعين :

أ ـ عضوية عاملة (فروع عاملة) تتمتع بكافة الحقوق وتؤدي كافة الواجبات .

ب ـ عضوية مرشحة (فروع مرشحة) ، تتمتع بحقوق الفروع العاملة باستثناء حق التصويت والترشيح .

٣ ـ استناد العمل الشيوعي الثوري العربي الموحد إلى هيكلية تنظيمية تشتمل على الهيئات التالية :

أ ـ مؤتمر عربي تتمثل فيه الفروع العاملة وتحضره الفروع المرشحة للمشاركة في أعماله على أساس المساواة في التمثيل ، ودون حق الترشيح والتصويت للهيئات المركزية العربية .

ب ـ لجنة مركزية عربية ينتخبها المؤتمر العربي ، وتتمثل فيها الفروع العاملة بنسب متساوية وعلى أساس التصويت الفردي . ووفقاً لاصول الترشيح المنصوص عليها في الفقرة (هـ) من البند رقم (١) .

ج ـ مكتب سياسي عربي تنتخبه (ل.م.ع.) من أكفأ عناصرها الأصلية وعلى أساس التصويت الفردي للمندوبين ووفقاً لأصول الترشيح المنصوص عليها في الفقرة (هـ) من البند رقم (١) .

د ـ مكتب سكرتاريا واتصال تنتخبه (ل.م.ع.) وفقاً للأصول التنظيمية الواردة في هذا النظام .

٤ ـ تتمثل فروع العضوية المرشحة في الهيئات المركزية العربية (المؤتمر ، اللجنة المركزية ، المكتب السياسي ، السكريتاريا) بموجب قرارات تتخذها اللجنة المركزية العربية .

abou-adnan.org

ثالثاً ـ الاعلام واعداد الكوادر الحزبية :

إننا لا نخوض بتفاصيل متطلبات العمل الشيوعي الثوري العربي الموحد الناجح ، لأن هذه تتطلب وقفة مشتركة وعمل أكثر نضجاً من محاولتنا العاجلة هذه ، ولكننا نعتقد ان عملنا العربي كان يشكو من عدم وجود اعلام هادف خدمة التجربة وساعي لبلورة مفاهيمها وشروط نجاحها ، فضلا عن ان عملية اعداد الكوادر الحزبية لعملنا العربي لم تؤخذ بالحسبان .

إن محاولة تجميع الاحزاب والمنظمات الشيوعية لا تتم دفعة واحدة ، وإنما بالتدريج وشيئاً فشيئاً ، لذلك تطرح صيغة التنسيق نفسها باعتبارها إطاراً للعمل التمهيدي والتحضيري لوحدة الحركة الشيوعية العربية في المستقبل . وبما أن هدف هذه الصيغة هو الوصول إلى صيغة المركزية الديموقراطية ، فإن ذلك يعني أن عملية التوحيد وفق المركزية الديموقراطية يجب أن تتخذ شكلين لتحقيقها ، لا شكلا واحدا . **اولهما يتجلى في ان تحقق صيغة المركزية الديمقراطية نفسها عن طريق التاسيس على اساس الالتزام بحزب العمل الاشتراكي العربي ، وثانيهما يتمثل في لقاء بعض الاحزاب الشيوعية القائمة واتفاقها على العمل وفق هذه الصيغة ...**

إن الاستمرار بتاسيس فروع للحزب لا يتناقض مع التوجه ، الى الأحزاب والمنظمات الشيوعية العربية القائمة ، بل على العكس تماما إنه يخدم هذا التوجه بحكم كونه يسعى لاعطاء المثال والقدوة ، ولسنا بحاجة للقول إن عملية التوحيد على الصعيد العربي مشروطة بالتوحيد على الصعيد القطري ، و إن التوحيد على الصعيد العربي من شانه ان يخدم ويدعم التوحيد على الصعيد القطري والعكس صحيح ايضا .

لذا ، فإننا نعتقد بضرورة أن يتابع حزبنا عمله التأسيسي ونشر الفروع في أقطار الوطن العربي وفي الوقت نفسه يتابع دعوته للتنسيق والعمل الشيوعي العربي الموحد .

abou-adnan.org

من هنا فإننا نرى ضرورة الاهتمام بقضيتين عنينا الاعلام واعداد الكادر الحزبي . وبهدا المجال لا بد من انجاز ما يلي :

١ ـ معاودة اصدار طريق الثورة او اي مجلة فكرية سياسيه اخرى .

٢ ـ انشاء مدرسة كادر حزبي خاصة بالوطن العربي لكوادر الحزب ولكادرات حلفائه . وأن يوضع لها برنامج عربي تشغل فيه قضية الوحدة والثورة حيزاً كبيراً .

• إننا نعتقد أن العمل الشيوعي العربي بحاجة ماسة إلى مركز اتصالات ثابت يقوم بمهمة الاتصال والتنسيق مع القوى والعناصر الشيوعية العربية .

إن العناصر الشيوعية الثورية موجودة، رغم طغيان الاقليمية وهيمنتها على العمل الشيوعي المنظم ، في جميع البلدان العربية ، ولكن بقاءها مشتتة ومبعثرة يرجع إلى عدم وجود مركز ثابت لتنظيم الاتصال بها ودعوتها لتوحيد جهودها وتوجيه عملها ، ودعوتها لانشاء فروع لعمل شيوعي ثوري عربي .

هنا ، يجدر بنا التذكير بقرار (م.س.ع.) المتخذ باجتماع كانون الأول ١٩٧٧ ، الذي ورد في تعميمه الصادر عن ذلك الاجتماع ، والذي جاء فيه :

«إن مهمة تغطية الوطن العربي بفروع حزب شيوعي ثوري عربي من طراز جديد ، تتجاوز حدود امكانياتنا وطاقاتنا الراهنة ، من جهة ، فضلا عن انها مسؤولية مشتركة تقع على عاتق كل الشيوعيين العرب الثوريين المؤمنين بوحدة الأمة العربية ووحدة ثورتها القومية ، التي تشكل الطبقة العاملة أساسها الموضوعي وعامل انجازها الذاتي ، من جهة ثانية .

لذا ، فقد قرر « م.س.ع. » احداث مركز عربي للاتصال بكل القوى والعناصر الماركسية ـ اللينينية بغية دعوتها للحوار والمناقشة من أجل العمل الشيوعي العربي الموحد ، ووضع برنامج مشترك لانجاز هذه المهمة .

abou-adnan.org

إن خطوتنا هذه تشبه توجه لينين نحو إنشاء حزب شيوعي موحد لعموم روسيا القيصرية ، مع الفارق ، ان عملنا أسهل لأنه يسعى لتوحيد جهد مناضلي أمة واحد مجزأة في حين أن لينين ورفاقه وحدوا عمل شعوب وقوميات متعددة . **إن المرحلة التي نعيشها تتطلب اسلوباً نضالياً جديداً يهتم بالقضية النظرية .. واعطاء جواب على الاسئلة المطروحة ، اولا ، ويهتم بالتوجه نحو العناصر والفئات الماركسية اللينينية الثورية للاتفاق معها على برنامج نضالي للثورة العربية يكون الوثيقة التي تحدد المهمات القومية والطبقية على الصعيدين القطري والعربي ، ويربط بينهما ربطاً يساعد ، بل يستهدف خلق البديل الثوري لكل ما هو قائم بما فيه وجودنا نحن ، ثانياً .**

إننا مطالبون بأن نطرح برنامجاً سياسياً وان نمتلك نظاماً داخلياً نلتزمه بصراحة وحزم يدفع خطانا إلى الأمام » .

رابعاً - معطيات التجربة وشروط العمل الشيوعي :

١ - لا شك في أن سلبيات تجربة عملنا العربي الموحد ، لا يستهان بها ، وإذا تأملنا بظاهرتي الفردية والموسمية ، فسنرى أنها ظواهر قاتلة ومميتة ، وإذا ما تكررت فإن استمرار العمل لا طائل من ورائه ولن يجدي نفعاً ...

ولكن مهما كانت سلبية التجربة السابقة فإن المعالجة المدفوعة بالرغبة في اصلاح الخطأ وإنجاح العمل ، لا بد أن تتجلى باللجوء إلى مزيد من الضبط والانضباط وليس العكس ، لأن الظواهر السلبية التي تشكو منها تجربة عملنا العربي ، برزت من خلال الانفلاش وعدم الانضباط ، الأمر الذي يجب أن يلفت انظارنا إلى أن هذه السلبيات تمت للاقليمية بصلة وثيقة ، إذ طالما أن العمل العربي الموحد ، يقوم على أساس الانضباط والتزام بالمركزية الديمقراطية فإن الخروج على قواعده ، يصب في مجرى الاقليمية والتجزئة القائمة . من هنا يطرح السؤال المتعلق بجدية الالتزام العربي نفسه ، وهو التزام ينبغي أن يشمل الجميع ، على قدم المساواة

abou-adnan.org

وبدون استثناء . فليس في العمل العربي فرع كبير وفرع صغير ، وإنما فيه شروط للانتساب والعضوية والفرع الذي تتوفر فيه مثل هذه الشروط يتمتع بكامل حقوق العضوية ، ودستور العمل العربي ونظامه الداخلي لا يفرق بين عضوية وعضوية[1] .

إذا اردنا ان نعطي تجربة ناجحة في العمل الشيوعي الثوري العربي الموحد ، فعلينا بالتزام الضبط والانضباط بالقواعد والأسس والاصول التي نقرها ونتفق عليها . وعندما نطالع « شروط القبول في الاممية الشيوعية »[114] . سنلحظ كم هي ضرورية ومهمة قضية الالتزام هذه بالنسبة لعملنا الشيوعي الثوري العربي الموحد .

إن قيادات فروع حزب العمل الاشتراكي العربي ، هي المسؤولة عن وضع برامجها ومناهجها . وهي المسؤولة عن تطبيق وتنفيذ هذه البرامج . أما القيادة العربية بكل هيئاتها ، فهي الجهة التي تصادق بعد الاطلاع والمناقشة وضبط الاتجاهات والنزعات على البرامج الاقليمية وجعلها متلائمة مع الوضعين العربي والعالمي ، وأي برنامج لا يحظى بموافقة الهيئات العربية القيادية لا يلزم الحزب عربياً .

٢ ـ لقد دونا ما اردنا التعبير عنه ، وتبقى بطبيعة الحال تفاصيل الترجمة العملية ، مثل حقوق الفروع وواجباتها ومركز الأمين العام وكيفية توظيف جهده الرئيسي إلى آخر ما هنالك من تفاصيل تترك ليبت فيها النظام الداخلي والدستور الأساسي ...

اما في هذه الخاتمة ، فنود تكرار الكلام الذي سبق لنا تدوينه ، بخصوص تجربة عملنا ، التي نرى ضرورة الالمام بكل جوانبها كي نكون واعين لسلبيات التجربة وايجابياتها والعوامل المعيقة أو المساعدة على دفع عملنا إلى أمام . ولعلنا لا نخطيء حين ندرك أن ماضينا القومي سوف يبقى عاملا سلبياً يعمل بالاتجاه المعاكس ، ليس لكونه ما يزال حاضراً بين أوساطنا ، على الأقل كبقايا مفاهيم ، أو تراث فكري ، وليس كانتماء طبقي يحمل من صفات وعادات البورجوازية الصغيرة الكثير ، وقد عانينا وما زلنا نعاني منه خاصة على صعيد المسلكية والممارسة العملية ، ليس لهذه

abou-adnan.org

الاعتبارات يبقى ماضينا القومي يعمل في الاتجاه المعاكس لرغباتنا وقناعاتنا الشيوعية الجديدة ، وإنما ، يعمل هذا الماضي كسلاح بيد أولئك المناضلين من أحزاب ومنظمات وكوادر حركة التحرر الوطني العربية بما فيها الأحزاب الشيوعية ، إذ تعيش القوى القومية والشيوعية ردة فعل مناهضة ، بغض النظر عن حجمها وطبيعتها ، لعملية التحول ، الانتقال التي حققناها ، ولذلك فإن وعي هذا الجانب يساعدنا على معرفة حقيقة الدوافع وردود الفعل التي تواجهنا ، وبالتالي تساعدنا على تحديد أساليب مناسبة للتعامل معها وتحديد المواقف منها .

لقد قطعنا أكثر من عشر سنوات على طريق تحولنا ، وأرسينا ، منذ ما يزيد على تسع سنوات قناعاتنا على أسس تنظيمية بغية خلق عمل شيوعي ثوري عربي موحد ، وكان لتجربتنا ايجابياتها وسلبياتها ، وهذا أمر طبيعي ، بكل تأكيد ، وعندما نقف اليوم أمام تجربتنا ، نراجعها ، نمحصها ، نستخلص الايجابيات ، ونشخص السلبيات بغية تلافيها ...

عندما نقوم بهذا العمل ، فإننا مطالبون ، بأن نستخدم أمضى أسلحتنا وأشدها قدرة على الفعل والصمود بوجه ردود الفعل على اختلافها وتباين مصادرها ...

إننا لا نابه كثيراً لردود فعل إخواننا القوميين البورجوازيين الوطنيين ، ويكفيهم شيئاً من المرونة والصبر والمسايرة وصولا للعوامل المشتركة التي تربطنا واياهم ، مهما كانوا متشنجين من شيوعيتنا ، ولكن ردود الفعل التي تهمنا أكثر من غيرها ، هي تلك التي تصدر عن رفاقنا الأحزاب الشيوعية العربية ، ومع انها مختلفة بحكم اختلاف مواقع تأثيرنا على كل منها ، ولكنها تلتقي جميعها عند نقطة واحدة ، تتمثل في سعيها بدون استثناء لاحتوائنا وافراغ حركتنا من مضمونها الثوري ، وتحويلنا إلى مجرد اعداد من الأفراد او المنظمات تضاف إلى تراث الحركة الشيوعية لتزيده ارهاقاً على ارهاق وعجزاً على عجز .

لقد قطعنا مسافة كافية على طريق الشيوعية التي أصبحت مصيرنا ،

abou-adnan.org

قناعتنا ، عقيدتنا ، ولا خوف علينا من هذه الناحية . ولذلك بات علينا أن نحدد وبوضوح موقفنا ، علاقتنا بالأحزاب الشيوعية العربية ، **وفيما إذا كنا نريد لها أن تلعب دورها الطليعي التاريخي وفقا للنهج اللينيني الثوري ، أم نريد منها ان تقبلنا بين أوساطها وفي صفوف حركتها ،فقط ! ؟**

إن للشيوعيين دوراً طليعياً تاريخياً تقاعست عن ادائه الأحزاب الشيوعية العربية على امتداد الفترة الماضية ، وقد تراوحت تجربتها بين ادارة الظهر للقضايا القومية والاهتمام بقضايا الجماهير المطلبية بما فيها قضية الحريات الديمقراطية التي تتيح للشيوعيين أن يمارسوا ، علناً أو من خلال أحزاب وواجهات حزبية ، دور المعارضة ضد الأنظمة الرجعية ، في وقت يتطلب منها ارساء عملها على أساس الثورة والاطاحة بهذه الأنظمة .

فإذا كنا نريد لها أن تلعب دورها الطليعي التاريخي ، **فلا بد أن نحرص على مقاومة احتوائنا والعمل الجاد من أجل خلق مثال ، تجربة شيوعية عربية ، ناجحة . ولكن لا بد أن يكون واضحاً بالذهن تمام الوضوح ان حرصنا على عدم الاندماج ، ليس هدفاً بحد ذاته وإنما هو موقف مؤقت وعابر ، يجب أن ينتهي باتفاقنا جميعاً على برنامج العمل الثوري العربي ، كي يكون الجدل والصراع ، موضوعياً ، مبدئياً ، يدور حول قضية البرنامج وليس حول مراكز الاشخاص أو دورهم .**

إن اهم الأسلحة في صراعنا مع الاصلاحية في الحركة الشيوعية العربية ، يتمثل في أساليب العنف الثوري على اختلاف ميادينها السياسية والفكرية والاقتصادية والاجتماعية ولكن اهمها جميعاً هو اسلوب الكفاح المسلح . ولكي تكون أساليب العنف الثوري هادفة وفاعلة فلا بد من ربطها بقضية استلام السلطة ، واقامة دكتاتورية العمال والفلاحين الديمقراطية الثورية على أنقاض الأنظمة الرجعية .

إن حركة تطور الواقع الموضوعي ، في بلداننا العربية ، تنزع نحو تفاقم الصراع والحروب الاهلية ولذلك فإن نهج دعاة العنف المسلح سيكون اكثر انسجاماً من غيرهم مع الاتجاه العام لحركة

abou-adnan.org

الواقع الموضوعي .

وعندما نتابع مسيرتنا بصبر وجلد ومثابرة فإن ماضينا ، سينقلب إلى سلاح لصالح نهجنا ، تماماً ، كما انقلب ماضي كاسترو إلى شيوعية ثورية ، وفي عمومية التجربة الكوبية ما يؤكد مثل هذه الامكانية اننا لسنا في سباق مع الأحزاب الشيوعية ، ولسنا مهتمين بان نحقق نجاحاً على حساب ايجابية علاقتنا معها ، فهذه ذاتية انتهازية لا نقبلها ولا نرتضيها لانفسنا . وإنما نحن في سباق مع الزمن من اجل القضية ، عنينا قضية الثورة العربية ، فإن استطعنا ملاقاة هذا الحزب او ذاك في الطريق ، واثناء المسيرة وإن اتفقنا وحققنا الوحدة فإن ذلك سيكون مكسباً ضخماً لصالح القضية ، اما نحن كافراد فلسنا اكثر من جنود في خدمة الاهداف الكبرى ، ومعلوم ان وحدة الشيوعيين هدف من اكبر الأهداف واضخمها .

هنا ، تجدر الاشارة والتنويه بأهمية مبادرة الرفاق في اليمن الديمقراطية ، التي انجبت الحزب الاشتراكي اليمني ، لكلا شطري اليمن ، أنها مبادرة سليمة وخلاقة ولا بد من تأييدها ، ودعمها وتستحق المبادرات المماثلة ترحيبنا وتأييدنا ، إننا شيوعيون وحدويون ، ولذلك فإن كل عمل يصب في مجرى الوحدة يحوز على تأييدنا ودعمنا .

إن نجاح عملنا الشيوعي الثوري العربي الموحد ، سيجعلنا مفهومين اكثر من ذي قبل واقدر على التأثير والفعل المؤثر ، لماذا ؟

للاجابة على هذا السؤال الذي يتعلق بالمستقبل اكثر من صلته بالحاضر ، رغم الصلة الوثيقة التي تربط حاضرنا بمستقبل كفاحنا ... للاجابة على هذا السؤال ، دعونا نستعيد قول لينين التالي :

« إن النضال في سبيل السلطة السوفييتية هو نضال سياسي تخوضه البروليتاريا في أعلى أشكاله ، وأوفرها وعياً وأشدها ثورية . ومن الأفضل أن يكون المرء مع العمال الثوريين عندما يخطئون في مسألة خاصة أو ثانوية من أن يكون مع الاشتراكيين أو الاشتراكيين ـ الديمقراطيين « الرسميين » إذا لم يكن هؤلاء ثوريين مخلصين ، ثابتين »[١١٥] .

abou-adnan.org

إذا حاولنا تطبيق هذه القاعدة التي إستخرجها لينين من الوضع القائم عام ١٩١٩ ، في بريطانيا على وضعنا العربي الراهن ، فسنلحظ ان **لينين يقف إلى جانبنا ، فهو يفضل الوقوف إلى جانب العمال الثوريين الذين يدعون إلى السلطة السوفييتية ، إلى الثورة ، ويرفضون البرلمانية ، على غيرهم ، وقد علل إختياره بالحيثية التالية :**

« إن اولئك الثوريين العمال الذين يجعلون من البرلمانية مركز حملاتهم ، هم على كامل الحق والصواب لأن هذه الحملات تفصح عن الانكار المبدئي للبرلمانية البورجوازية والديمقراطية البورجوازية . السلطة السوفييتية ، الجمهورية السوفييتية ، ذلك ما وضعته الثورة العمالية مكان الديمقراطية البورجوازية ، ذلك هو شكل الانتقال من الراسمالية إلى الاشتراكية ، شكل ديكتاتورية البروليتاريا . وإن إنتقاد البرلمانية ليس مشروعاً وضرورياً وحسب ، بوصفه تعليلاً للانتقال إلى السلطة السوفييتية ، بل هو ايضاً صحيح تماماً بوصفه إدراكاً لكون البرلمانية مرتبطة بظروف معينة ومحدودة تاريخياً ،وإدراكاً لصلتها بالراسمالية وبالراسمالية وحدها ، ولطابعها التقدمي بالنسبة للقرون الوسطى ، وطابعها الرجعي بالنسبة للسلطة السوفييتية »[١١٦] .

ورغم تحفظه على رفض « كل إشتراك في الانتخابات وفي النشاط البرلماني » فانه ارجع رفض الثوريين إلى قلة التجربة :

« هنا يتبدى مجرد تاثير نقص التجربة الثورية . فنحن الروس عشنا ثورتين كبيرتين في القرن العشرين ونعرف جيداً اي اهمية يمكن ان تتسم بها وتتسم بها فعلاً البرلمانية في الزمن الثوري على العموم ومباشرة في زمن الثورة على الخصوص »[١١٧] .

وإذن ، فاننا نستطيع ان نتابع الجهد من اجل إنجاح تجربتنا ، رغم اخطاءنا السابقة والمحتملة الناجمة او التي ستنجم عن قلة التجربة ما دمنا نتمسك بالنهج الثوري ، وسيتفهم العمال والفلاحون والمثقفون الثوريون ، موقفنا واهمية القضية التي نطرحها ...

وما دمنا ، مخلصين وواعين لضرورة الوحدة مع الاحزاب الشيوعية

abou-adnan.org

العربية . وتوثيق العلاقات الأممية مع البلدان الاشتراكية عامة والاتحاد السوفياتي على وجه الخصوص ، فاننا لا نخشى إنقسام حركة الطبقة العاملة السياسية إلى عدة أحزاب شيوعية . ليس لأننا نطرح وحدة عربية للحركة الشيوعية ، هي أفضل مليون مرة من الوحدة الاقليمية الاصلاحية التي تدعونا إليها هذه الاحزاب والتي لم تفعل رغم مضي ما يزيد على ستين سنة لقضية السلطة البروليتارية أكثر من المراوحة في المكان ... ليس لكوننا وحدويين على الصعيد العربي ، وان دعوتنا الوحدوية أوسع وأجدى وأكثر فاعلية من الوحدة الاقليمية غير الثورية ، فحسب ، وإنما الانقسام بحد ذاته ، في ظروف معينة وشرط ان يكون مؤقتاً ، وموظفاً لخدمة هدف كبير ، ليس مرفوضاً من قبل لينين ، بل ويعتبره خطوة هامة على طريق الوحدة الحقيقية . فهو يقول :

« إذا كان لا يمكن التوصل إلى هذا (الوحدة) في بريطانيا على الفور ، وإذا كان يستحيل ، فضلاً عن ذلك ، أي توحيد في بريطانيا لانصار السلطة السوفييتية بسبب من الخلاف بصدد البرلمانية على وجه الضبط وبسبب منه فقط ، فإني أعتقد في هذه الحال ان تشكيل حزبين شيوعيين إثنين بلا إبطاء أي حزبين يناديان بالانتقال من البرلمانية البرجوازية إلى السلطة السوفييتية ، سيكون خطوة مفيدة إلى الامام ، نحو الوحدة التامة . ولا بأس أن يعترف أحد هذين الحزبين بالاشتراك في البرلمان البورجوازي وينكره الاخر ، فإن هذا الخلاف هو الآن غير جوهري إلى حد أنه من الأصوب عدم الانشقاق بسبب منه . ولكن وجود حزبين كهذين في آن واحد من شأنه أن يكون كذلك تقدماً كبيراً جداً إلى امام بالقياس إلى الوضع الراهن ، من شأنه أن يكون ، حسب كل إحتمال ، إنتقالاً إلى الوحدة التامة وإلى إنتصار الشيوعية السريع »[١١٨] .

واضح ، ان لينين ، يرى ان وجود حزبين شيوعيين لا يعتبر إنشقاقاً ، طالما انهما يتجنبا الصراع العدائي ويتفقان على حرية كل منهما في التبشير بوجهة نظره حول القضية أو القضايا المختلف عليها ، ويتضامنان في النضال من أجل السلطة السوفييتية وفي وضعنا الراهن من أجل الثورة ...

abou-adnan.org

وقد بحث لينين كثيراً في مسألة الخلافات بين الشيوعيين عندما تكون ثانوية ، ولم يحذر منها ، ففي توجيهاته للشيوعيين الايطاليين والفرنسيين والالمان تناول هذه المسألة بوضوح يتجلى بقوله التالي :

« أما الخلافات بين الشيوعيين ، فهي من طبيعة أخرى . فالفرق الجذري هنا لا يمكن الا يراه غير من لا يريد أن يراه . فان هذه الخلافات هي خلافات بين ممثلي حركة جماهيرية نمت بسرعة لا تصدق . إن هذه الخلافات هي خلافات ظهرت على قاعدة مشتركة واحدة ، راسخة كالصخر : على قاعدة الاعتراف بالثورة البروليتارية وبالنضال ضد الأوهام الديمقراطية البورجوازية وضد البرلمانية الديمقراطية البورجوازية ، على قاعدة الاعتراف بديكتاتورية البروليتارية والسلطة السوفيتية .

والخلافات على مثل هذا الاساس ليست خطرة : **فهذا مرض النمو لا قحل الشيخوخة** . وهذا النوع من الخلافات عانته البلشفية أيضاً غير مرة ، وقد عانت كذلك إنشقاقات غير كبيرة بسبب من أمثال هذه الخلافات ، ولكن البلشفية ظهرت موحدة واحدة في الظرف الحاسم ، في ظرف الاستيلاء على السلطة وإنشاء الجمهورية السوفييتية ، وإجتذبت إلى جانبها خيرة العناصر من بين تيارات الفكر الاشتراكي القريبة منها ، ولفت حولها كل طليعة البروليتاريا والاغلبية الهائلة من الشغيلة »[١١٩] .

ويطلق لينين على مثل هذه الخلافات تعبير مرض النمو ، الذي ـ سيزول مع نضج الحركة الشيوعية ، ومعلوم أن لينين ، كان قاسياً جداً على أولئك الشيوعين الذين يتوهمون تحقيق الاشتراكية بدون دكتاتورية البروليتاريا ، وبالاعتماد على البرلمان :

« فقط الانذال أو الاغبياء يمكنهم أن يظنوا بأنه يتعين على البروليتاريا بادىء ذي بدء أن تظفر بالاغلبية في تصويتات تجري تحت نير البورجوازية ، تحت نير العبودية المأجورة ، وبعد ذلك فقط أن تظفر بالسلطة . هذا ما فوق بلادة الذهن أو ما فوق النفاق ، هذا إستعاضة عن النضال الطبقي والثورة بالتصويتات في ظل النظام القديم ، في ظل السلطة القديمة »[١٢٠] .

abou-adnan.org

وعلى كل حال ، فاننا ، يجب أن نحاول التقليل من سلبية نظرتنا لهذه الاحزاب ، ولكن المسألة الاساسية لا تتعلق بنا ولسنا نحن الذين نقررها ، وإنما هي (الاحزاب) التي تقرر وحتى لو قررت أن تنفض غبار الاصلاحية عنها ، وانتهجت منهجاً لينينياً ثورياً ، فإنها بحاجة لفترة إنتقال ، ربما تكون طويلة وصعبة ، وقد مر معنا قول لينين في مسألة الانتقال هذه في رسالته إلى الشيوعيين الالمان :

« أما إنتقال المرء من الرغبة في أن يكون ثورياً ، ومن الأحاديث ـ والقرارات ـ عن الثورة إلى العمل الثوري الفعلي فهو إنتقال عسير جداً ، وبطيء جداً ومؤلم جداً .

وإذا نظرنا إلى تجربة الأحزاب الشيوعية العربية نفسها ، فسنجد دليلاً يؤكد صواب ما ذهب لينين إليه . فهذه الاحزاب قامت منذ نشأتها على تعارض مع تعليمات الأممية الثالثة ومع المنهج اللينيني ، وبنت نضالها ، على أساس النظرة الشيوعية الاوروبية إلى القضايا القومية باعتبارها قضايا البورجوازية ولا علاقة للطبقة العاملة بها . وبناء على هذه النظرة الخاطئة حددت هذه الاحزاب دورها باعتبارها أحزاب معارضة عمالية ، تمارس دورها على أساس أن تطور مجتمعاتنا وانتقالها من التخلف إلى التقدم محكوم بأسلوب الانتاج الرأسمالي ، في حين ان لينين يؤكد على أن الثورة الوطنية الديمقراطية في بلداننا لا تبلغ نهاياتها الحاسمة ما لم تنهض الطبقة العاملة بقيادتها ومعلوم ان الطبقة العاملة تقود التطور على أساس أسلوب الانتاج الاشتراكي ! ..

هكذا قامت هذه الاحزاب على أساس نظرة غريبة من أوضاع وظروف بلداننا ، وعندما إصطدمت بحركة الواقع وتطورات الاحداث ، ووجدت نفسها بالمأزق ، عجزت عن تخطي أزمتها بسرعة ، وقد تطلب إنتقالها إلى مواقع جديدة زمناً ليس قصيراً ، فبدلاً من أن تعيد النظر بمواقفها وبرامجها ومناهجها منذ أوائل الخمسينات على الأقل بقيت تراوح مكانها حتى أواسط الستينات ، حيث إنتقلت من موقع العزلة الكاملة عن القضايا القومية إلى موقع التبعية للبرجوازية القومية الوطنية ! ..

abou-adnan.org

وحين نلحظ اليوم ملامح تطورات بين أوساط هذه الاحزاب ، فلا يسعنا أن نبالغ في التفاؤل وعلينا أن نكون صبورين وأن ننتظر فترة أخرى حتى يمكننا الحكم على وجاهة تفاؤلنا والتأكد من انه ليس مجرد رغبة وأمنيات كامنة لدينا تدفعنا للتشبث بأبسط التطورات وأقلها شأناً ، ان علاقات بعض الاحزاب الشيوعية مع الانظمة الفاشية لهي دليل على ان إنتقال هذه الاحزاب إلى ممارسة العنف الثوري تحتاج إلى وقت ، بوسعنا أن نعمل خلاله عملاً قد يساعدنا على بلورة تجربة شيوعية عربية ناجحة ، تلعب دورها في تحفيز الاتجاهات الثورية في صفوف هذه الاحزاب ...

إن العمل الشيوعي الثوري العربي الموحد بحاجة ماسة إلى تجربة ، نموذج ، مثال ، قدوة ، يبين بوضوح للعمال العرب ، للفلاحين الفقراء العرب ، للمثقفين الثوريين العرب ، لسائر الجماهير العربية التي لها مصلحة في تحقيق الثورة الاشتراكية العربية ، لأن وجود مثال ملموس من شأنه أن يدفع الفكرة لتتغلغل في نفوس كل الشيوعيين الثوريين العرب ، تغلغلاً كفيلاً بأن يرجح كفتها في عملية الصراع مع فكرة العمل الشيوعي الاقليمي . إننا بحاجة إلى ولادة مثل هذه التجربة ، ومهما كانت البداية فانها ستكون الخطوة الأولى الهامة على مسافة الف ميل الحركة الشيوعية العربية الموحدة ...الحزب الشيوعي العربي الموحد ، فهل بوسعنا أن نسهم بإعطاء مثل هذا المثال لهداية كفاح الشيوعيين نحو وحدتهم ؟

لقد أسهمنا في الكفاح الوطني القومي ، واكتسبنا وعياً نظرياً قومياً ، إكتساباً يسهل علينا مهمة تحصين أنفسنا من مؤثرات المفاهيم البورجوازية ويمكننا من مقاومتها (المفاهيم) بفاعلية أشد وأقوى ، وستكون المراجعة النقدية لكل ما كتبناه ونشرناه ومارسناه ، أمضى سلاح في محاربة بقايا الرواسب والمفاهيم البورجوازية التي كنا نعتنقها ، وإلى جانب خبرتنا في قضايا النظرية البورجوازية فاننا إكتسبنا خبرة نضالية عبر ممارسة عملية تجاوزت ربع قرن من الزمن ، ونحنُ إذ نعتز بماضينا الكفاحي الوطني فلكوننا نجد في حاضرنا الشيوعي ، ما يؤكد صلابة وطنيتنا ورسوخ التزامنا بقضايا شعبنا .

abou-adnan.org

وليس ما ورثناه من تجربة كفاحنا القومي الوطني التقدمي ، هو سلاحنا الوحيد ، الذي يمكننا إستخدامه في بلورة المثال الحسي لعمل شيوعي ثوري عربي موحد . وإنما تتوفر لنا إمكانية أن ندرس ، نستوعب ، تجربة الاحزاب الشيوعية العربية ، فهذه الاحزاب قد أرست اسس النضال الشيوعي العربي الاصلاحي ونمط لعلاقة أممية معينة مع الحركة الشيوعية العالمية التي يتقدم صفوفها الاتحاد السوفياتي ، ولعبت دوراً في نشر الأفكار الشيوعية بين أوساط الجماهير العربية ...

إن هذا التراث الشيوعي العربي ، بحاجة ماسة إلى هزة عميقة تنتشله من حالة الركود التي يعيشها ، ومثل هذه الهزة لن تتحقق بغير وجود مثال ، تجربة شيوعية ناجحة ، هذه هي المهمة التي تتقدم كل المهمات المركزية المطروحة امام الشيوعيين ، فهل نحن بمستوى الاسهام بانجازها وخلق المثال المحفز لاداء اشرف وانبل مهمة تلقيها حركة التاريخ على عاتق الطبقة العاملة العربية ...

هل بوسعنا المساهمة الفعالة باداء هذه المهمة الصعبة والممكنة والمشرفة في آن معاً ؟

بيروت في ٢٠ / كانون الثاني / ١٩٨٠

اللجنة المركزية الوطنية
لحزب العمل الاشتراكي العربي
- لبنان -

abou-adnan.org

الهوامش :

١ ـ فيما يلي نطالع نص المذكّرة التي قدمها الفرع اللبناني لفروع الحزب كافة :

« حزب العمل الاشتراكي العربي »

« ـ لبنان ـ »

« يا عمال العالم ويا ايتها الشعوب المضطهدة اتحدوا »

« تحرير ، ديمقراطية ، اشتراكية ، وحدة . »

« الرفاق قيادة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين »

« الرفاق قيادات فروع حزب العمل الاشتراكي العربي »

تحية شيوعية عربية »

« يستشهد لينين بالحكمة الشائعة القائلة :

« لو أن البدهيات الهندسية كانت تصدم مصالح الناس ، لسعوا ، بكل تأكيد ، إلى دحضها فإن نظريات تاريخ الطبيعة ، التي كانت تصدم اوهام اللاهوت القديمة ، قد اثارت ضدها وما تزال تثير نضالا ضارياً . وليس ثمة ما يدعو إلى الدهشة إذا كان مذهب ماركس ، الذي يهدف مباشرة إلى تنوير وتنظيم الطبقة المتقدمة في المجتمع المعاصر ، يشير إلى مهمات هذه الطبقة ويثبت أن النظام الحالي سيستعاض عنه حتماً ، بأوضاع جديدة ، من جراء التطور الاقتصادي ، ليس ثمة ما يدعو إلى الدهشة إذا اضطر هذا المذهب إلى أن يخطو كل خطوة في طريق الحياة ، بعد نضال شديد »[1] ...

يستشهد لينين بهذه الحكمة ، ليشير إلى ضخامة مصاعب الكفاح في سبيل تحقيق المجتمع الشيوعي . وإذا سمحنا لأنفسنا بأن نتجاوز قليلا ، ونغض النظر عن الفارق الكبير بين المصاعب التي تواجه الشيوعيين المناضلين في سبيل اسقاط نظام الاستغلال والاضطهاد الرأسمالي ، واقامة نظام الحرية والديمقراطية والاشتراكية والشيوعية ... النظام الذي يعتبر الانسان أثمن رأسمال ، على أنقاض النظام الرأسمالي ...

إذا سمحنا لأنفسنا ، بأن نغض النظر عن الفارق بين ما يسعى الشيوعيون الأمميون لتحقيقه ، وبين ما يسعى الشيوعيون الوحدويون العرب لانجازه ، ألا ندرك ضخامة المصاعب التي تعترض سبيل الكفاح من اجل وحدة الأمة العربية ؟ ...

abou-adnan.org

ولكن ، الا ينطوي تشبيهنا للمصاعب التي تجابه الوحدويين العرب ، بتلك التي تواجه الشيوعيين الاميين على نوع من انواع الاعتراف ، بوجود قوى سياسية عربية تنكر وجود الأمة العربية وتعتبر النجزئة القائمة ، حدوداً لامم ، لبنانية ، سورية ، فلسطينية ، عراقية ، اردنية ، سعودية ، كويتية ، خليجية ، يمنية ، مصرية ، سودانية ، ليبية ، جزائرية ، مغربية ، تونسية ، وموريتانية ، ... الخ ، ؟

نعم يجب أن نعترف أو على الأقل ، نشير إلى وجود مثل هذه القوى ، وبدون هذا الاعتراف وهذه الاشارة ، فإن فهم انطواء الاحزاب الشيوعية العربية على «الاقليمية» المعروفة ، سوف يبقى ناقصاً .

إن مصاعب الكفاح العربي الوحدوي لا تتمثل في مواقف ومقاومة القوى المعادية : الامبريالية والصهيونية والرجعية ، وإنما هي تتأتى ايضاً من مواقف الشيوعيين الاقليمية ، ومن عجز القوى القومية الوطنية (البعث ، حركة القوميين العرب ، الناصريين ... الخ) ، ولعل في عجز البرجوازية الوطنية العربية ، عن تحقيق أهداف الثورة الوطنية الديمقراطية ، بينة على ضخامة المصاعب التي تواجه الكفاح العربي الوحدوي التقدمي ، أما انفصال وحدة مصر وسوريا عام ١٩٦١ ، فسيبقى حاضراً بذهن كل من ينخرط بإطار النضال العربي الوحدوي الثوري .

ايها الرفاق

حين ننظر إلى تجربة الاحزاب الشيوعية العربية ، فهل يمكن القول أنها تعاني من عدم معرفتها للنظرية الماركسية ـ اللينينية ؟

وإذا كان الجواب المنطقي ، يؤكد نفي هذا السؤال ، بحكم عمر هذه الأحزاب والتأهيل النظري الذي وفره لها الاتحاد السوفياتي بمدارسه الايديولوجية ، فضلاً عن بقية البلدان الاشتراكية ، فإن البحث عن الأسباب التي جعلتها تعجز عن اداء دورها التاريخي الطليعي الثوري الذي حددته النظرية اللينينية ، والذي اكدت صحته الوقائع التاريخية التي حدثت في البلدان المشابهة لظروف بلداننا ... إن البحث عن عجز الأحزاب الشيوعية العربية عن قيادة الثورة العربية ، يرجع في أحد اسبابه الاساسية إلى ادارة ظهرها للقضايا القومية التي تتقدمها قضيتي وحدة الأمة العربية وتحرير فلسطين ! .

إن عجز هذه الأحزاب عن قيادة الثورة لم ينجم عن المصاعب التي تواجه الشيوعيين الثوريين ، وإنما نجم عن عدم اختيارها للنهج اللينيني الثوري ، وهذه هي علة علل حركتنا الشيوعية ! .

يقول لينين :

« ينبغي لنا أن لا ننسى أن ليست هناك اليوم ولا يمكن أن تكون إلا وسيلة واحدة لتقريب الاشتراكية وهي الحرية السياسية التامة ، والجمهورية الديمقراطية ، وديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديمقراطية الثورية ، ونحن ، بوصفنا ممثلي الطبقة الطليعية ، الطبقة الثورية الوحيدة ، الثورية بلا تحفظ ، بلا تردد ، بلا نظرة إلى الوراء ، يترتب علينا أن نضع أمام الشعب كله مهمات الانقلاب الديموقراطي بأكثر ما يمكن من الاتساع والجراة والمبادرة ، واستصغار هذه

abou-adnan.org

المهمات إنما يعني في حقل النظرية تحويل الماركسية إلى كاريكاتور ، وتشويهها على طريقة التافهين الضيقي الأفق . ويعني في حقل السياسة العملية ، تسليم قضية الثورة إلى ايدي البورجوازية التي ستنصرف حتماً عن انجاز الثورة إلى النهاية .
إن المصاعب التي تعترض طريق انتصار الثورة التام كبيرة جداً ولن يكون في مستطاع اي انسان أن يلوم ممثلي البروليتاريا إذا ما بذلوا كل ما في وسعهم وإذا ما تحطمت كل جهودهم على صخرة مقاومة الرجعية ، على صخرة خيانة البرجوازية ، على صخرة جهل الجماهير . ولكن الجميع وكل انسان ـ والبروليتاريا الواعية أولا ـ سيشجبون الاشتراكية إذا بترت العزيمة الثورية للانقلاب الديمقراطي ، إذا بترت الحماسة الثورية خوفاً من الانتصار ، خوفاً من انصراف البرجوازية »[٢] .

ليس هناك ، من يلوم الشيوعيين لو حاولوا ، جربوا ، وحالت دون نجاحهم المصاعب ، التي « لا تعني المستحيل ، فالمهم أن يكون المرء على ثقة بأنه اختار السبيل القويم . وهذه الثقة تضاعف مئة مرة من العزيمة الثورية والحماسة الثورية ، اللتين تستطيعان اجتراح العجائب »[٣] .

أردنا من هذه المقدمة ، أن نبلغ السؤال التالي : هل يرضينا ، أن يكون تحولنا إلى مواقع الطبقة العاملة وايديولوجيتها الشيوعية العلمية ، مجرد تكرار لتجربة الاحزاب الشيوعية العربية ، لا يضيف أكثر من رقم من المناضلين ينضم إلى صفوف الحركة الشيوعية العربية ؟

إن تحولنا ، لم يحدث صدفة ، رغم عدم وعينا التام له ، في المراحل السابقة . وإن كانت تطورات الأحداث قد قادت مسيرتنا النضالية ، إلى المرحلة التي ادركنا معها ، ان النظرية الثورية التي تجعل نضالنا ثورياً حقاً ، وقادراً على تحقيق اهدافه ، هي الشيوعية ... إن كان انعكاس الواقع الموضوعي قد ولد لدينا القناعة بالشيوعية ، فإن بلورة وعينا باتجاه التحول نحو العقيدة الشيوعية ، ليس مفصولا اطلاقاً عن رغبتنا الذاتية والتزامنا بقضايا جماهيرنا العربية واهدافها في التحرير والديمقراطية والاشتراكية والوحدة والتضامن البروليتاري الأممي .

فإذا كان تحولنا إلى مواقع الطبقة العاملة وايديولوجيتها العلمية ، ينطوي فيما ينطوي على متانة التزامنا بقضايا جماهيرنا العربية ، ورسوخ إيماننا بأهداف الثورة العربية ، فأي هدف يمكن أن يسمو أو يعلو على هدف الوحدة العربية ؟

إن الجواب على هذا السؤال ، بالايجاب ، هو الذي يجعل من تجربتنا متميزة عن غيرها من التجارب القومية والشيوعية العربية السابقة أو القائمة ، ويتيح لها متابعة طريقها الثوري دون خوف من صيرورتها مجرد تكرار لما سبقها .

لقد سهمنا بكفاح شعبنا القومي البرجوازي الوطني وبعد ربع قرن ، اكتشفنا ، ان الطبقة الثورية إلى النهاية ، هي الطبقة العاملة ، وإن اية طبقة اخرى من طبقات امتنا العربية ، عاجزة عن تحقيق اهدافنا الطبقية والقومية ، الوطنية والاممية ، اكتشافاً دفعنا إلى الشيوعية ، فإذا بنا نجابه بسؤال مصيري جديد ، لا يتعلق ، هذه المرة بمصيرنا

abou-adnan.org

وإنما بموقفنا ، من الأحزاب الشيوعية العربية التي سبقتنا إلى العمل وكرست عبر كفاحها تجربة نضالية شيوعية محددة ، ليس بوسعنا تجاهلها ، كما ليس يرضينا قبولها على علاتها ! ..

ايها الرفاق

لقد مرت تجربة عملنا العربي ، بمرحلة دقيقة ، خاصة بعد قرار قيادة الجبهة الشعبية ، وتحديدها لموقفها من الحزب ، ودعوتها للفرع اللبناني لأن يتقدم بوجهة نظره لعملنا الشيوعي الثوري العربي ...

إننا نشعر بعبء المسؤولية التي القيت على عاتقنا ، وانطلاقاً من شعورنا هذا ، نأمل أن تولوا دراسة وجهة نظرنا هذه ، ما يستحقه موضوعها من اهتمام ، وأن تتضافر جهودنا لتمكينها من رؤية النور والترجمة العملية كي ندعم الأمل الذي كان وما يزال يحدونا ويحفزنا لأن نكون احدى طلائع شعبنا المقدامة والقادرة على قيادة نضاله نحو اهدافه في التحرير والديمقراطية والاشتراكية والوحدة والتضامن البروليتاري الأممي .

ايها الرفاق

مرفق بطيه دراسة من مقدمة وثمانية فصول ، تتضمن وجهة نظر الفرع اللبناني تحت عنوان :

« العمل الشيوعي الثوري العربي الموحد »

نأمل أن تجدوا فيها ما يمكن أن يشكل اساساً لدراسة انضج واعمق . لأهم قضايا شعبنا العربي ... قضية وجود الأمة العربية ووحدتها القومية وتبعاً لذلك قضية ثورتها العربية وأداة تحقيقها الموحدة : الحزب الشيوعي العربي الموحد . »

« بيروت ، في ٢٠ / كانون الثاني / ١٩٨٠ »

« اللجنة المركزية »

« لحزب العمل الاشتراكي العربي »

« ـ لبنان ـ »

(١) لينين : الماركسية والنزعة التحريفية ، م ١ ج ١ ص ٨٥ .
(٢) لينين : خطتا الاشتراكية ـ الديمقراطية في الثورة الديمقراطية م ١ ج ٢ ص ١١٩ .
(٣) لينين : المرجع السابق ص ١٠٦ .

(٢) راجع ص ( ) من هذه الدراسة

(٣) المرجع السابق ص (١١٠)

abou-adnan.org

(٤، ٥) لينين : حول وحدة الحركة الشيوعية العالمية ، ص ١٧٥، ٧٠ ، على التوالي

(٦) لينين : المرجع السابق ، ص ٣ ـ ٤ .

(٧) جماعة من الأساتذة السوفيات : المادية الديالكتيكية ص ٣٦٩ .

(٨ ـ ٩) المرجع السابق ، ص ٣٧ .

(١٠) ج.ج. ناتييز : فيدل كاسترو ، ترجمة حافظ الجمالي ، ص ١٥٧ .

(١١) كارل ماركس : راس المال ـ ترجمة عيتاني ص ٧ .

(١٢ ، ١٣) طريق الثورة ، العدد الثاني ، ص ١٤١ ، ١٤٩ على التوالي .

(١٤) طريق الثورة العدد الأول ص ٨ .

(١٥) ماركس انجلز : المادية التاريخية ص ٤٨ .

(١٦) ف . كيلي وم . كوفالزون . المادية التاريخية ص ٤٩ .

(١٧) وجهت الأممية الثالثة نداء لشعوب الشرق عامة ولفلاحي وعمال ايران وفلاحي العراق والاناضول وسوريا والجزيرة العربية ، خاصة ، دعتهم فيه للانضمام إلى مؤتمر باكو المنعقد في أيلول سنة ١٩٢١ ، وقد جاء بذلك النداء ما يلي :

بعد أن خاطب النداء عمال وفلاحي كل قطر من أقطار الشرق انتهي إلى القول : « يا عمال وفلاحي الشرق الادنى وحدوا صفوفكم ، أقيموا سلطة العمال والفلاحين ، تسلحوا وانضموا إلى جيش العمال والفلاحين الروس ، فتتغلبون على الراسماليين الانكليز والفرنسيين والاميركيين ، وتتحررون من مضطهديكم وتنالون الحرية ، فتؤسسون جمهورية للشغيلة حرة مسالمة ... الخ » (راجع المؤتمر الأول لشعوب الشرق ـ باكو ١ ـ ٨ أيلول ١٩٢١ ، ص ١٤) .

(١٨ ، ١٩ ، ٢٠) لينين : خطتا الاشتراكية الديمقراطية في الثورة الديمقراطية ، م ١ جـ ٢ ص ١٢ ، ١٠٤ ، على التوالي .

(٢١) لينين : خطتان ، مرجع سابق ص ١٠٥ .

(٢٢) لينين : بمناسبة الذكرى الرابعة لثورة اكتوبر م ٣ جـ ٢ ، ص ٣٠٠ .

(٢٣) لينين : ما العمل ؟ م ١ جـ ١ ص ١٨٣ .

(٢٤) لينين : خطتا الاشتراكية الديمقراطية في الثورة الديمقراطية ، مرجع سابق ص ١٠٦ .

(٢٥) لينين : الثورة البروليتارية والمرتد كاوتسكي ، مرجع سابق ص ١٧٩

abou-adnan.org

(٢٦) لينين : المرجع السابق ص ١٨٨ ، (يجدر جلب الانتباه إلى أن الجماهير التي تظاهرت في طرابلس ضد الفلاء قد هجمت على مكتب المحافظ ، بعد أن امتنع عن تلبية نداءها بالخروج من المكتب ومقابلتها وبدلا من أن تتحدث « النداء » جريدة الحزب الشيوعي اللبناني بلهجة لينين ، راحت تكيل السباب والشتائم للجماهير وتصف الذين تجرأوا على الدخول إلى مكتب المحافظ بأنهم عملاء للمكتب الثاني » (راجع جريدة النداء في ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ / ١٢ / ١٩٧٩) ليت لينين يشهد مثل هذه الممارسات الشيوعية » .

(٢٧) لينين : مهمات البروليتاريا في الثورة الحالية م ٢ جـ ١ ص ٤٦ .

(٢٨) لينين : المؤتمر الثاني للأممية الشيوعية : م ٣ جـ ٢ ، ص ٥٩ .

(٢٩) ماركس انجلس : البيان الشيوعي ـ المختارات .

(٣٠) ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، المرجع السابق .

(٣٥) ماركس انجلس : البيان الشيوعي مرجع سابق .

(٣٦) لينين : ما العمل ؟ م ١ جـ ١ ص ٢٤٥ .

(٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩) ديمتروف : في الجبهة الوطنية الموحدة ، ص ١١٥ ، ١١٦ ، ٢٢٦ على التوالي .

(٤٠) لينين : المؤتمر الثاني للأممية الشيوعية ، مرجع سابق ، ص ٥٦ .

(٤١) المادية الديالكتيكية ، ص ٣٤ .

(٤٢) ستالين : الماركسية والقضية القومية ، ص ١٤ .

(٤٣) مصحف الحرمين ، سورة الأنبياء ، الآية رقم (٩٢) . وراجع ايضاً سورة البقرة ، للاطلاع على الآيات : (١٢٨ ، ١٣٤ ، ١٤١ ، ١٤٣ ، ٢١٣) . وسورة العمران الآيات : (١٠٤ ، ١١٠ ، ١١٣) والآية : (٤١) من سورة النساء والآيتين : (٤٨ ، ٦٦) من سورة المائدة والآيتين : (٤٢ ، ١٠٨) من سورة الانعام ، والآيات ، (٣٤ ، ٣٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٤ ، ١٦٨ ، ١٨١) من سورة الاعراف ، والآيتين : (١٩ ، ٤٩) من سورة يونس ، والآيات : (٨ ، ٤٨ ، ١١٨) من سورة هود ، والآية (٣٠) من سورة الرعد . والآيات : (٨٤ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ١٢٠) من سورة النحل . والآيتين : (٣٤ ، ٦٧) من سورة الحج . والآيات : (٤٣ ، ٤٤ ، ٥٢) من سورة المؤمنين . والآية : (٢٤) من سورة فاطر . والآية : (٥) من سورة غافر ، والآية (٨) من سورة الشورى . والآيتين : (٢٣ ، ٣٣) من سورة الزخرف . والآية (٢٨) من سورة الجاثية ...

(٤٤) المرجع السابق الآية رقم (١٣) من سورة الحجرات .

(٤٥) المرجع السابق الآية (٤٨) من سورة المائدة .

abou-adnan.org

(٤٦) المرجع السابق الآية رقم (١٩) من سورة يونس .

(٤٧) المرجع السابق الآية رقم (١٦٨) من سورة الاعراف .

(٤٨) المرجع السابق الآية رقم (٣٠) من سورة الرعد .

(٤٩) المرجع السابق الآية رقم (٤) من سورة ابراهيم .

(٥٠) كتاب العهد الجديد لربنا ومخلصنا « يسوع المسيح » الصادر عن جمعية الكتاب المقدس في الشرق الادنى . وعلى سبيل المثال وليس الحصر راجع الصفحات : (١٨ ، ٢١ ، ٢٦ ، ٢٩ ، ٤٤ ، ٧٦ ، ٨٠ ، ٨١ ، ١٣٦ ، ١٧٠ ، ١٩٦ ، ٢٠٠) .

(٥١) راجع مصحف الحرمين الآيات : ٥٤ ، ٦٠ ، ٦٧ ، ١٦٤ ، ٢٣٠ ، ٢٥٨ ، ٢٦٤ ، ٢٨٦ من سورة البقرة . والآيات : ٧٨ ، ٩٠ ، ٩٢ من سورة النساء . والآيات : ٨ ، ١١ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٦ ، ٤١ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ١٠٢ ، ١٠٨ من سورة المائدة .

والآيات : ٤٥ ، ٤٧ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٧٤ ، ٨٠ ، ٨٣ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٢٦ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٤٤ ، من سورة الانعام . والآيات : ٣٢ ، ٤٧ ، ٥٢ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٥ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ٩٩ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٣ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤٢ ، ١٤٥ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥٥ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٤ ، ١٧٧ ، ١٨٨ ، ٢٠٣ من سورة الاعراف . والآيات : ٥٣ ، ٥٨ ، ٧٢ من سورة الانفال . والآيات : ١١ ، ٢٤ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٥٣ ، ٥٦ ، ٧٠ ، ٩٦ ، ١٠٩ ، ١١٥ ، من سورة التوبة . والآيات : ٥ ، ٦ ، ١٣ ، ٢٤ ، ٧١ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ١٠١ من سورة يونس . والآيات : ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٤٤ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٧ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٧٠ ، ٧٤ ، ٧٨ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٣ ، ٩٨ من سورة هود . والآيات : ٣٧ ، ١١٠ ، ١١١ من سورة يوسف والآيات : ٤ ، ٧ ، ١١ من سورة الرعد . والآيات : ٤ ، ٦ ، ٩ ، ٢٨ من سورة ابراهيم . والآيات : ٥٨ ، ٦٢ من سورة الحجر . والآيات : ١٢ ، ١٣ ، ٥٩ ، ٦٤ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ١٠٧ من سورة النمل . والآية : ٩ من سورة الاسراء .

والآيات : ١٥ ، ٩٠ ، ٩٣ ، من سورة الكهف . والآيات : ١١ ، ٢٧٢ ، ٢٩٧ من سورة مريم . والآيات : ٧٩ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٦ من سورة طه . والآيات : ٥٢ ، ٧٤ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ١٠٦ من سورة الانبياء . والآيتان : ٤٢ ، ٤٣ من سورة الحج . والآيات : ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٣ ، ٤١ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ١٠٩ من سورة المؤمنين . والآيات : ١٨ ، ٣٠ ، ٣٦ ، ٣٧ من سورة الفرقان . والآيات : ١١ ، ٧٠ ، ١٠٥ ، ١١٧ ، ١٦٠ ، ١٦٦ من سورة الشعراء .

والآيات : ١٢ ، ٢٤ ، ٤٣ ، ٤٧ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٦٠ ، ٨٦ من سورة النمل . والآيات : ٣ ، ٢١ ، ٢٥ ، ٤٦ ، ٧٦ ، ٧٩ من سورة القصص . والآيات :

abou-adnan.org

١٧ ، ٢٤ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٥١ ، ٥٥ من سورة العنكبوت والآيات : ٢٤ ، ٣٧ ، ٤٧ من سورة الروم . و الآية : ٣ من سورة السجدة . والآيات : ٦ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٦ ، ٢٨ من سورة يس . والآيات : ٣٠ ، ٨٥ ، ١١٥ ، ١٢٤ من سورة الصافات . والآيتان :١٢، ١٣، من سورة ص .والآيتان :٣٩، ٥٢، من سورة الزمر. والآيات: ٥، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤١ من سورة غافر . والآية : ٣ من سورة فصلت . والآيات : ٥ ، ٢٦ ، ٤٤ ، ٥١ ، ٥٤ ، ٥٧ ، ٨٨ من سورة الزخرف . والآيتان :٢٨ ، ٣٧ من سورة الدخان . والآيات : ٤ ، ١٣ ، ٢٠ ، ٣١ من سورة الجاثية . والآيات : ١٠ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٩ ، ٣٠ من سورة الاحقاف . والآية : ٣٨ من سورة محمد ، والآية ١٦ من سورة الفتح .والآيتان : ٦ ، ١١ من سورة الحجرات والآية ١٢ ، من سورة ق ، والآيات : ٢٥ ، ٤٦ ، ٥٣ من سورة الذاريات ، والآية : ٣٢ من سورة الطور ، والآية ٥٢ ، من سورة النجم ، والآيتان : ٩ ، ٣٣ من سورة القمر . والآية ٢٢ من سورة المجادلة ، والآيتان : ١٣ ، ١٤ من سورة الحشر ، والآيتان : ٤ ، ١٣ ، والآيتان : ٥ ، ٧ من سورة الصف، والآية ٥ من سورة الجمعة. والآية ٦ من سورة المنافقين ، والآية: ١١ من سورة التحريم. والآية ٧ من سورة الحاقة والآيات ١، ٢، ٥، من سورة نوح .

(٥٢) ستالين : المرجع السابق ص ١١ .

(٥٣) المادية التاريخية : مرجع سابق ص ٢ .

(٥٤) تعبير (القرون الوسطى) مصطلح يطلق على مرحلة تكون العلاقات الاقطاعية والتشكيلة الاقطاعية المبكرة وهي تبدأ في اوروبا في القرن الخامس تقريباً وتمتد حتى بداية القرن الحادي عشر . وفي آسيا تبدأ من القرن الثالث (الصين) والقرنين الرابع والخامس (الهند) القرن السابع (المنطقة العربية) وتمتد حتى نهاية القرن الثامن في الصين ، وحتى القرنين الحادي عشر والثاني عشر في معظم البلدان الأخرى .

هذه هي المرحلة الأولى . أما المرحلة الثانية التي يطلق عليها مفهوم القرون الوسطى فهي مرحلة الاقطاعية المتطورة وهذه المرحلة إمتدت في اوروبا من القرون ١١ - ١٥ وفي آسيا وشمال افريقيا من القرون ٩ - ١١ حتى القرن الخامس عشر ...

والمرحلة الثالثة ، هي مرحلة تفسخ الاقطاعية . وقد إستغرقت ثلاثة قرون تقريباً ، إذ ابتدأت من الخامس عشر حتى السابع عشر . أما في بلدان آسيا وافريقيا فقد تجاوزت هذا التاريخ لفترة لاحقة بسبب السيطرة الاستعمارية .

مما تقدم يتضح أن مفهوم القرون الوسطى يشمل العصر الاقطاعي برمته ، الذي ينتهي حسب العلماء السوفيات ، في أواسط القرن السابع عشر ، حيث يبدأ عصر الرأسمالية على انقاض القرون الوسطى المتأخرة .

(٥٥) فريدريك انجلس : الاشتراكية الطوبوية والاشتراكية العلمية ، المختارات م ٣ ص ٥٦ .

abou-adnan.org

(٥٦) (عرض اقتصادي تاريخي لتشكيلات ما قبل الرأسمالية والمجتمع الرأسمالي) ، جماعة من أساتذة جامعة باتريس لومومبا للصداقة بين الشعوب ص ١١ .

(٥٧) ستالين : المرجع السابق ص ٣٤ .

(٥٨) ماركس انجلز : البيان الشيوعي ، المختارات ، م ١ ص ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ .

(٥٩) ستالين : المرجع السابق ص ٢٥ .

(٦٠ ، ٦١) ستالين : المرجع السابق ، ص ٣٦ ، ١٣ على التوالي .

(٦٢ ، ٦٣) المادية الديالكتيكية ، ص ٣٢٩ ، ٣٣٠ على التوالي .

(٦٤) جورج بوليتزروجي بيس وموريس كافين : أصول الفلسفة الماركسية ج ٢ ص ٢٨٨ .

(٦٥) المرجع السابق .

(٦٦) منذ القرن الثاني عشر تطورت السلطة المركزية في فرنسا ، وفي القرن الرابع عشر ، في عهد ملك فرنسا فيليب الرابع ، تحولت مجالس المقاطعات الاقطاعية إلى مجالس عامة لطبقات الأمة الفرنسية ، وكانت تضم الاقطاعيين ورجال الدين وسكان المدن . طبعاً في ظل السلطة الاقطاعية .

وفي روسيا قامت دولة مركزية منذ نهاية القرن الخامس عشر وتم التغلب على التجزئة الاقطاعية ومنذ النصف الثاني من القرن السادس عشر أصبح إيفان الرابع يسمى بـ « قيصر عامة روسيا » وتكونت السوق الواحدة في عامة روسيا في القرن السادس عشر .

وفي بداية القرن الخامس عشر ، طالبت حركة هوس الثورية بانشاء كنيسة قومية تشيكية .

(٦٧) مصحف الحرمين : سورة الرعد ، الآية (٣٧) .

(٦٨) جورج بليخانوف : العامل الاقتصادي في التاريخ ، ص ٢٧ .

(٦٩) البيان الشيوعي ، ماركس انجلز : المختارات ج ١ ص ٥٦ .

وراجع رسالة انجلز إلى ماركس في ٩ / ١٢ / ١٨٦٩ ـ المراسلات ص ١٢٣ ، حيث يذكر انجلز « الامة الفلاحية » بوضوح .

(٧٠) مصحف الحرمين ، سورة المائدة الآية (١٨) .

(٧١) مصحف الحرمين ، سورة الانعام الآية (١٦٥) .

abou-adnan.org

(٧٢) مصحف الحرمين ، سورة البقرة الآية (١٦٤) .

(٧٣) مصحف الحرمين ، سورة البقرة الآية (١٧٢) .

(٧٤) يذكر القرآن القصة في سورة الانعام ، الآيات : (٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩) على الوجه التالي :

« وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من المؤمنين ، فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي ، فلما أفل قال لا أحب الافلين ، فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين، فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر ، فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون . إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين ». راجع مصحف الحرمين .

(٧٥) في رسالته إلى انجلز ، المؤرخة في ٢ / ٦ / ١٨٥٣ ، يقول ماركس :

« ... أثارت رسالتك كبير إهتمامي ، بخصوص العبريين والعرب ، زد على ذلك:

١ ـ يمكن أن نجد ، لدى جميع القبائل الشرقية ، علاقة عامة بين توطن جزء من هذه القبائل واستمرار حياة البداوة لدى القبائل الاخرى ، وذلك منذ أن بدأ التاريخ .

٢ ـ في زمن محمد ، كان الطريق التجاري من اوروبا إلى آسيا قد تبدل مساره تبدلاً كبيراً ، وكانت مدن جزيرة العرب التي كان لها قسط وافر من التجارة مع الهند ، الخ ، وقد إنحطت تجارياً . الأمر الذي تسبب على كل حال بذلك التطور .

٣ ـ فيما يتعلق بالدين ترتد المسألة إلى مسألة عامة ، يسهل بالتالي حلها : لماذا يظهر تاريخ الشرق في صورة تاريخ أديان ؟ » .

وفي رسالته إلى ماركس المؤرخة في ٦ / ٦ / ١٨٥٣ يورد انجلز ما يلي :

بعد أن يشير إلى الخراب الذي أدى إلى « وجود مناطق شاسعة قاحلة ، وبائرة اليوم مع انها كانت مزروعة على أروع وجه في الماضي (تدمر ، البتراء ، اطلال اليمن ، ومناطق في مصر وفارس وهندوستان) ، وهذا ما يفسر أيضاً أن حرباً جائحة واحدة يمكن لها أن تقفر بلداً من البلدان من سكانه لقرون ولقرون وأن تجرده من حضارته كلها . وضمن سياق الافكار هذا يكمن أيضاً ، على ما أعتقد ، بوار تجارة جنوب الجزيرة العربية قبل محمد ، ذلك البوار الذي رأيت فيه بسداد كبير واحداً من العوامل الرئيسية في الثورة المحمدية .

إنني لا أعرف على وجه المطلوب من الدقة تاريخ تلك القرون الستة الاولى من العصر الميلادي حتى يسعني أن أحكم إلى أي حد لعبت العلل المادية العامة ، على الصعيد العالمي ، دورها في إبتار الطريق التجاري الذي يقود إلى البحر الأسود عبر فارس ، وإلى

abou-adnan.org

سوريا وآسيا الصغرى عبر الخليج الفارسي ، على الطريق الذي كان يمر بالبحر الأحمر . لكن هناك ، في جميع الاحوال ، أمراً لم يكن بكل تأكيد بسيط التأثير ، أعني الامان النسبي للقوافل في ربوع الامبراطورية الفارسية التي كان يحسن الساسانيون حكمها ، بينما كانت اليمن بين أعوام ٢٠٠ و ٦٠٠ عرضة دائمة للاسترقاق والغزو والنهب من قبل الاحباش ، فمدن **الجنوب العربي** ، التي كانت ما تزال مزدهرة في عهد الرومان ، غدت في القرن السابع مجرد صحارى حقيقية من الخرائب ، وعلى إمتداد ٥٠٠ عام كان البدو المجاورون قد كونوا تقاليد خرافية واسطورية خالصة حول أصولهم (انظر القرآن والمؤرخ العربي النويري) . والابجدية التي الفت بها نقوشهم كانت مجهولة جهلاً شبه تام . بالرغم من أنه لم يكن هناك وجود لغيرها ، بحيث ان يد النسيان قد طوت الكتابة عملياً ، ان اموراً من هذا القبيل لا تفترض إندحاراً ناجماً عن ظروف تجارية عامة فحسب، بل تفترض ايضا تدميرا مباشرا وعنيفا الى درجة لا يمكن تفسيره معها الا بالغزو الحبشي . **وقد تم طرد الاحباش قبل محمد بحوالي ٤٠ عاماً ، وكان بصورة ظاهرة للعيان اول فعل ليقظة الشعور القومي العربي الذي كانت تشحذه ، فضلاً عن ذلك ، غزوات فارسية قادمة من الشمال كادت ان تصل إلى مكة » .**

راجع مراسلات ماركس انجلز : ص ٥٢ ، ٥٦ ، ٥٧ .

(٧٦ ، ٧٧) جماعة من أساتذة جامعة باتريس لومومبا للصداقة بين الشعوب : عرض اقتصادي تاريخي ، لتشكيلات ما قبل الراسمالية والمجتمع الراسمالي ، ص ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ وللفائدة ندرج فيما يلي نص ما ورد بخصوص « تطور الاقطاعية في جزيرة العرب » كما جاء في هذا الكتاب القيم :

« إن السمة المميزة لتكون الدولة الاقطاعية في بلاد العرب هي أن الطائفة الدينية كانت نواة التوحيد السياسي . ومؤسس الاسلام هو محمد من آل هاشم المتحدرين من قبيلة قريش في مكة (حوالي ٥٧٠ ـ ٦٣٢) .

لقد خشيت إرستقراطية مكة من أن يؤدي التبشير بالدين الجديد إلى سقوط عبادة الكعبة المقدسة وتقويض نفوذ مكة السياسي وصلاتها التجارية مع القبائل العربية . لذا ، تمكنوا في عام ٦٢٢ من حمل محمد واتباعه على الهجرة إلى المدينة ، ومن هذه السنة بدأ التقويم الاسلامي الجديد على أساس السنين القمرية .

وفي المدينة تحالف المسلمون مع زعماء القبيلتين العربيتين الاوس وخزرج . وقد ناضل محمد ضد مكة طيلة ثمانية أعوام . وانتهى النضال بانتصار اتباع محمد الذين جذبوا إلى جانبهم القبائل البدوية في الحجاز التي كانت حليفة مكة . وفي عام ٦٣٠ استسلمت مكة دون ان تبدي مقاومة امام قوات محمد . فاعتنق القريشيون الاسلام، اما مكة والكعبة فأصبحتا مركزاً للاسلام ، ومكاناً يحج إليه المسلمون في كل سنة واعتبر محمد نبياً ورسولاً لله .

abou-adham.org

بعد ان إحتل محمد مكة ، إنتقلت السلطة على قسم كبير من جزيرة العرب إلى قادة الطائفة الاسلامية ، وحصرت في يدي محمد رئيس الطائفة السلطة العليا الدينية والمدنية والقضائية والحربية .

بعد وفاة محمد ، أصبح قريبه ابو بكر أول خليفة للنبي محمد . وبوصفه رئيساً للطائفة الاسلامية ، جمع في شخصه مهمتي الامام (القائد الروحي) والامير (الحاكم الدنيوي) ، وفي عهد ابي بكر (٦٣٢ ـ ٦٣٤) والخليفة الثاني عمر (٦٣٤ ـ ٦٤٤) **تم توحيد جزيرة العرب ودخول سكانها في الاسلام .**

وفي الوقت نفسه بدأ العرب بحملات الفتح باتجاه بلدان البحر الابيض المتوسط وآسيا الصغرى والوسطى ، وفي عام ٦٣٦ هزمت القوات العربية جيش الروم (بيزنطية) واقام العرب سيطرتهم في سوريا وفلسطين . وفي الوقت ذاته هجم العرب على العراق واحرزوا عدة إنتصارات على الفرس . وقد فتحت مصر في سنوات ٦٤١ ـ ٦٤٥ ، وفي بداية العقد السادس من القرن السابع فتحت ايران . وفي نهاية القرن السابع وبداية القرن الثامن فتح العرب شمال افريقيا وقسماً كبيراً من شبه جزيرة البيرينية . وقد دخلت البلدان التي فتحها العرب ضمن الخلافة العربية التي كانت على رأسها سلالة الامويين (٦٦١ ـ ٧٥٠) ، وانتقلت عاصمة الخلافة من مكة إلى دمشق . **لقد كانت الخلافة العربية دولة إقطاعية مبكرة بقيت فيها مخلفات ملحوظة من العلاقات العبودية .** ان العرب الفاتحين لم يشتركوا كقاعدة ، في الانتاج الاجتماعي في البلدان المفتوحة . وكان السكان الخاضعون ملزمين بأن يدفعوا الى خزينة الخليفة ضريبة الأرض ـ الخراج وضريبة الرأس أو النفس ـ الجزية عينا ونقدا .

وتعرض الفاتحون أحياناً لتاثير الاقتصاد والثقافة والعلاقات الاجتماعية التي كانت اكثر تطوراً عند الشعوب الخاضعة . إن العلاقات الاقطاعية النامية في البلدان التي فتحها العرب قد وجدت اتم تعبير لها في خلافة بغداد (٧٥٠ ـ ١٢٥٨) في عهد العباسيين . وقد إنتقل مركز الخلافة إلى بغداد التي بناها الخليفة المنصور في عام ٧٦٢ على نهر دجلة وفقدت الارستقراطية العربية في خلافة بغداد وضعها المميز ، إذ أخذ يلعب الدور الحاسم بدلاً منها الاقطاعيون الفرس الذين بمعونتهم وصل العباسيون إلى السلطة .

كانت الملكية الاقطاعية للدولة هي السائدة في معظم بلدان الخلافة ، كما كان الامر في المرحلة الابكر ، وكان قسم من الارض يخص اسرة الخليفة . وكانت بعض الأراضي ملكية خاصة ، وتسمى الأراضي المملوكة .

وفي الدولة العربية تطور بسرعة شكل الملكية الاقطاعية للارض المسمى اقطاع . وكانت هذه الارض تمنح للتمتع مدى الحياة او بصورة مؤقتة لقاء اداء الخدمة العسكرية . كذلك وجدت ممتلكات عقارية لا تنقل ملكيتها وتخص المؤسسات الاسلامية الدينية وهي الاوقاف .

abou-adnan.org

وخلافا لاوروبا الغربية قامت في خلافة بغداد في القرن الحادي عشر علاقات بضاعية نقدية اكثر تطورا . وهذا ما يفسره لدرجة كبيرة التطور الواسع للتبادل والتجارة الداخلية والخارجية الرائجة التي ساعدت كذلك على نمو المدن التي كانت اماكن تجمع الانتاج الحرفي .

ولعب القطاع العبودي دورا هاما في خلافة بغداد . فكان العبيد يستخدمون في اكثر الاعمال مشقة ، في منظومة الري الاصطناعي ، وفي مزارع القطن ، وفي المناجم ، وكان العبيد بمعظمهم من اصل افريقي (الزنج).

ولقد ادت وطاة الاستثمار الاقطاعي الى ثورات الجماهير الشعبية ، ففي القرن التاسع اهتزت خلافة بغداد بكل معنى الكلمة بسبب ثورة الفلاحين تحت قيادة بابك (٨١٥ ـ ٨٣٧) وثورة العبيد الزنج (٨٦٩ ـ ٨٨٣).

إن نضال الشعوب الخاضعة ضد السيطرة العربية ، وتطور العلاقات الاقطاعية واشتداد ساعد الاقطاعيين المحليين ، كل هذا ادى في نهاية القرن التاسع وبداية العاشر الى انقسام خلافة بغداد الى عدة دول مستقلة . وتحول الخلفاء العباسيون بعد ان فقدوا املاكهم وسلطتهم السياسية الى ائمة مسلمين : واصبحت مصر دولة مستقلة يحكمها الطولونيون ومن بعدهم الفاطميون . وفي عام ٩٦٩ فتحت بيزنطية القسم الشمالي من سوريا مع مدينة انطاكية التي بقيت ، كما في العهد القديم ، احدى المدن الكبيرة على الساحل الشرقي من البحر الابيض المتوسط . وتكونت في القسم الباقي من سوريا ، وكذلك في اراضي لبنان ، وفلسطين دولة مستقلة للحمدانيين (٦٢٩ ـ ١٠٠٣) استولت عليها فيما بعد مصر الفاطمية .

كذلك تكونت دول مستقلة في ايران واسيا الوسطى واقاليم اخرى . إن حكام البلدان الاسلامية لم يعترفوا بخليفة بغداد إلاّ كسيد روحي ، يقوم بتقليدهم حق الملك .

٧٨ ـ وهذه آية اخرى من الآيات العديدة التي تكرس قدسية الكعبة : « ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون ـ راجع مصحف الحرمين ، الآية (١٥٠) سورة البقرة .

٧٩ ـ يذكر القرآن مسألة قدسية البيت الحرام والمسجد الحرام باسهاب وعلى سبيل المثال نورد الآيتين التاليتين : من سورة البقرة ، مصحف الحرمين :

« واذا جعلنا البيت مثابة للناس وامنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود (١٢٥) واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا وارزق اهله من الثمرات ، من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير (١٢٦).

abou-a org

٨٠ ـ يورد القرآن القصة على الوجه التالي :

« قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ، يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده افلا تعقلون ، ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به ، علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وانتم لا تعلمون . ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ، ان اولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين ». (مصحف الحرمين ، سورة آل عمران).

٨١ ـ جماعة من الاساتذة السوفيات : عرض اقتصادي تاريخي ـ مرجع سابق (راجع الهامش ٥٣ و٥٤).

٨٢ ـ مصحف الحرمين ، سورة الاعراف الآية (١٥٧).

٨٣ ـ المرجع السابق ، سورة النحل الآية (١٠٣).

٨٤ ـ المرجع السابق ، سورة الاسراء الآيتين (٨٨ ،٨٩).

٨٥ ـ المرجع السابق ، سورة الشعراء الآيات (١٩٢ ـ ١٩٣ ـ ١٩٤ ـ ١٩٥).

٨٦ ـ المرجع السابق ، سورة النمل الآية (١).

٨٧ ـ المرجع السابق ، سورة الزمر ، الآية (٢٨).

٨٨ ـ المرجع السابق ، سورة فصلت الآية (٢ ، ٣).

٨٩ ، ٩٠ ـ عرض اقتصادي تاريخي مرجع سابق ص ٢٤٤ ، ٢٥٣، ٢٥٤ على التوالي .

٩١ ـ الياس مرقص : الماركسية المسالة القومية ، (ص٢٤، ٤٣).

بصدد موضوع صعود البورجوازية وموقف البروليتاريا وطليعتها الشيوعية من القضايا القومية من المفيد ان نطلع على رسالة انجلز الى ماركس بخصوص موقف البروليتاريا الالمانية من الحرب بين كل من المانيا وفرنسا ، ويجدر بنا ملاحظة الكيفية التي يحدد انجلز وفقها نظرته للمستقبل ، فهو يرى ان انتصار المانيا على فرنسا من شأنه أن يعزز موقع ودور الطبقة العاملة في كل من المانيا وفرنسا ، ولذلك فإنه يعارض ليبكنشت مؤكدا على « إن بسمارك ، اليوم (١٨٧٠) كما في ١٨٦٦ ، يؤدي جزءا من عملنا ، بطريقته الخاصة ، كأنه لا يقصد ذلك ، ولكنه مع ذلك يؤدي العمل ، انه يفتح الطريق لنا بشكل افضل من ذي قبل ..»

« من انجلز الى ماركس مانشستر ١٥/ ٨/ ١٨٧٠

abou-adnan.org

« القضية تبدو لي كما يلي : المانيا قد جرفت من قبل بادنغه[1] في حرب من اجل وجودها القومي . اذا هزمها بادنغه ، البونابارتية ستعزز لسنوات والمانيا ستتحطم لسنوات وربما لاجيال . وفي هذه الحال لا يمكن ان يكون ثمة مجال لحركة عمالية طبقية المانية مستقلة. والنضال من اجل احياء وجود المانيا القومي سيمتص كل شيء . وفي احسن احتمال ، سينجر العمال الالمان وراء العمال الفرنسيين . اذا انتصرت المانيا ستتحطم البونابارتية الفرنسية حتما ، وسنتخلص اخيرا من الرتل الطويل حول اقامة الوحدة الالمانية ، وسيصبح العمال الالمان قادرين على تنظيم انفسهم على نطاق قومي مختلف تماما عن الاطار المهيمن حتى الآن ، والعمال الفرنسيون ايا كان نوع الحكومة التي ستعقب هذه ، سيكون لهم بالتأكيد مجال اكثر حرية مما هو الحال في ظل البونابرتية . **إن كل جمهور الشعب الالماني في كل طبقة قد ادرك ان المسالة اولا وفوق كل شيء هي مسالة وجود قومي واندفع في المعركة . وان يعظ حزب سياسي ماني ، في هذه الظروف ، بسياسة المعارضة على طريقة فيلهلم[2] ، واضعا شتى ضروب الاعتبارات الثانوية قبل الاعتبار الرئيسي ، يبدو لي شيئا مستحيلا .**

إلى ذلك يجب ان نضيف ان بادنغه ، ما كان يقدر على القيام بهذه الحرب لولا شوفينية جمهور السكان الفرنسيين : البورجوازية ، البورجوازية الصغيرة ، الفلاحون ، وبروليتاريا البناء الهاوسمانية[3] الامبريالية النابعة من الفلاحين ، التي انشأها بونابرت في المدن الكبرى ، وإلى ان تصاب هذه الشوفينية بضربة في راسها ، بضربة جيدة ونظيفة ، يبقى السلام بين المانيا وفرنسا مستحيلا ، كان يمكن ان يتوقع المرء ان تتولى هذا العمل ثورة بروليتارية ، ولكن ما دامت الحرب قد قامت ، لا يبقى للالمان سوى ان يتولوا بانفسهم وسريعا .

والآن تأتي الاعتبارات الثانوية ، ان يكون ليمان[4] وبسمارك وشركاهما على دفة القيادة في هذه الحرب ، وان يكون ذلك سيساعد على تمجيدهم الوقتي اذا ما قادوا الحرب بنجاح ، فإن الفضل في ذلك يعود إلى وضع البورجوازية الالمانية البائس الحقير . هذا بلا شك شيء مزعج جدا ولكن لا يمكن تبديله . ولكن اذا انطلقنا من هذا الاعتبار لتضخيم خط مناهضة البسماركية ولتحويله الى مبدأ توجيهي وحيد ، نكون قد ارتكبنا حماقة كبيرة ، في المقام الاول ، إن بسمارك ، اليوم كما في ١٨٦٦ ، يؤدي جزءا من عملنا ، بطريقته الخاصة وكانه لا يقصد ذلك ، ولكنه مع ذلك يؤدي العمل . إنه يفتح الطريق لنا بشكل افضل من ذي قبل ، فضلا عن اننا لم نعد في سنة ١٨١٥ ، إن الالمان الجنوبيين هم الآن ملزمون بالدخول في الرايشستاغ[1] وهذا سينمي ثقلا مقابلا للبروسية ، ثم هناك الواجبات القومية التي ستقع على عاتقه ، والتي كما كتبت ، ستمنع الحلف الروسي من الخارج ، وبوجه الاجمال ، من الحماقة ان نحاول ، كما فعل ليبكنشت ، ان نعيد عجلة التاريخ الى الوراء رجوعا عن كل ما حصل منذ ١٨٦٦ لمجرد ان ذلك حصل بما لا يتفق مع ميله ، بيد اننا نعرف الالمان الجنوبيين النموذجيين ، ليس من شيء يمكن عمله مع هؤلاء المجانيب .

abou-adnan.org

اعتقد ان جماعتنا تستطيع :

١ ـ الانضمام إلى الحركة القومية ـ يمكنك أن ترى من رسالة كوجلمان مدى قوة هذه الحركة ـ بقدر ما وطالما هذه الحركة مقتصرة على الدفاع عن المانيا (الامر الذي لا يستعيد الهجوم ، في بعض الظروف ، حتى مجيء السلم).

٢ ـ في الوقت نفسه ، التأكيد على الفرق بين المصالح القومية الالمانية والمصالح السلالية البروسية .

٣ ـ العمل ضد اي الحاق للالزاس ـ لورين . بسمارك يعرب الآن تلميحا عن نيته في ضمها إلى بافاريا وبادن .

٤ ـ ما إن تقوم حكومة جمهورية غير شوفينية في باريس ، العمل على صلح شريف معها

٥ ـ التأكيد الدائم على وحدة المصالح بين العمال الالمان والفرنسيين الذين لا يؤيدون الحرب والذين لا يحارب بعضهم بعضا .

٦ ـ روسيا ، كما في بيان الاممية .

مضحك قول فيلهلم (ليبكنشت) انه نظرا لان بسمارك شريك سابق لبادنغه (نابليون الثالث) ،فإن الموقف الصحيح هو البقاء على الحياد . لو كان ذلك هو الرأي السائد في المانيا ، سرعان ما كان سيقوم ، « اتحاد الراين »[٢] من جديد ، والنبيل فيلهلم (ليبكنشت) كان سيرى اي نوع من الادوار سيلعب في ذلك وماذا كانت ستؤول اليه حركة العمال ، **إن شعباً لا ينال إلا الضربات والصفعات هو بالحقيقة الشعب المؤهل لصنع ثورة اجتماعية ، وفي الدول الصغيرة العديدة التي يحبها فيلهلم !!»**

(١) ـ بادنغه : اسم تحقير لنابليون الثالث (نقلا عن الناشر السوفياتي) أ.م.

(٢) ـ فيلهلم ليبكنشت أ.م.

(٣) ـ نسبة الى هاوسمان ، محافظ باريس في زمن نابليون الثالث ، اشرف على اعادة بناء العاصمة وتنظيمها بفتح الشوارع الكبرى العريضة ...أ.م.

(٤) ـ اسم تحقير لملك بروسيا غليوم الاول (نقلا عن الناشر السوفياتي) أ.م.

(١) ـ اي برلمان الدولة الالمانية .

(٢) ـ « اتحاد الرين » (كونفيديراسيون الراين) : عمل ، توحيدي ، قام به نابليون الاول في غربي وجنوبي بروسيا وضد الوحدة الالمانية ، رغم ان هذا العمل كان ، توحيديا ،، إلا انه كان موجها نحو ابقاء وتحسين وتعميق التجزئة الالمانية ـ هذا ما نراه في مؤلفات لماركس انجلز ، لينين ـ لصالح فرنسا وهيمنتها أ.م.

(راجع الماركسية والمسالة القومية ، تأليف الياس مرقص ، اصدار دار الطليعة).

٩٢ ـ التقرير السياسي الصادر عن المؤتمر الوطني التاسيسي الاول لحزب العمل الاشتراكي العربي في لبنان ص ٩٧

abou-adnan.org

٩٣، ٩٤ ـ طريق الثورة،العدد الاول ، ص ٣٨،٣٧ على التوالي .

٩٥ ـ التقرير السياسي الصادر عن المؤتمر الوطني الثاني لحزب العمل الاشتراكي العربي في لبنان ٣٥٧

٩٦ ـ لينين : مهمات البروليتاريا في ثورتنا ، م٢ جـ ١ ص ٧٥ .

٩٧ ـ راجع الهامش (٩٢) ص ٨٩.

٩٨ ـ التقرير السياسي الصادر عن المؤتمر التاسيسي الاول لحزب العمل الاشتراكي العربي ـ لبنان ـ ص ٨٩ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٦ ، ٩٧ .

٩٩ ـ المرجع السابق ص ٩٨ ، ٩٩.

١٠٠ ـ لينين : في الثورة البروليتارية ودكتاتورية البروليتاريا ، ص ٥، ٦، ٢٧، ٣٠، ٤٣، على التوالي .

١٠١ـلينين : حول وحدة الحركة الشيوعية العمالية ، ص ١٢.

١٠٢ ـ كريم مروة : مجلة النهار العربي والدولي ـ العدد ١٤١ تاريخ ١٣/١/١٩٨٠. ص ٤٢.

١٠٣ ـ لينين ، وحدة الحركة الشيوعية العمالية ، ص ٣٣٤.

١٠٤ ـ راجع الهامش ٩٢ ص ٩٠، ٩١ .

١٠٥ ـ لينين : حول وحدة الحركة الشيوعية العمالية ، ص ٣٤٩.

١٠٦ ـ لينين : المرجع السابق ص ١٧.

١٠٧ ـ لينين : المرجع السابق ص ٥٤.

١٠٨ ـ راجع مقال « حول الحزب والثورة » طريق الثورة العدد الثاني السنة الاولى ١٩٧١

١٠٩ ـ الاصلاحية في الاشتراكية ـ الديمقراطية الروسية ، ماركس انجلز ـ الماركسية ص ٣٤٨.

١١٠ ـ لينين : المرجع السابق ص ٣٤٩.

١١١ ـ ايفان برونين ، ميخائيل ستيبتشيف : القواعد اللينينية لحياة الحزب الداخلية ، ص ٧، ٨.

١١٢ ـ لينين : حول وحدة الحركة الشيوعية العمالية ص ٢٢.

abou-adam.org

١١٣ ـ لينين : المرجع السابق ص ١٩ .

١١٤ ـ ندرج فيما يلي نص « شروط القبول في الاممية الشيوعية » كما ورد في مؤلف لينين « حول وحدة الحركة الشيوعية العمالية » ص ٢٧٤ ـ ٢٨٢ ـ

« شروط القبول في الاممية الشيوعية »

« إن المؤتمر الاول التاسيسي للاممية الشيوعية لم يضع شروطا دقيقة لقبول مختلف الاحزاب في الاممية الثالثة ، وقبيل انعقاد المؤتمر الاول ، لم يكن يوجد في اغلبية البلدان غير اتجاهات وجماعات شيوعية .

اما المؤتمر العالمي الثاني للاممية الشيوعية ، فيلتئم في ظروف اخرى . فالآن لا توجد في اغلبية تيارات واتجاهات شيوعية وحسب ، بل توجد ايضا احزاب ومنظمات شيوعية .

والآن تتوجه اكثر فاكثر الى الاممية الشيوعية احزاب وجماعات كانت لأمد قريب تنتسب الى الاممية الثانية ، وترغب الآن في الانضمام الى الاممية الثالثة ، ولكنها لم تصبح بالفعل شيوعية . ان الاممية الثانية قد تحطمت نهائيا . والاحزاب والجماعات الوسطية ، الواقفة في « الوسط » تحاول ، نظرا لاخفاق الاممية الثانية التام ، ان تستند الى الاممية الشيوعية المتزايدة رسوخا ومتانة يوماً بعد يوم ، آملة مع ذلك ان تحافظ على « استقلال ذاتي » يتيح لها انتهاج سياستها السابقة ، الانتهازية او « الوسطية » . إن الاممية الشيوعية تغدو موضة بمعنى معين .

إن رغبة بعض جماعات « الوسط » القيادية في الانضمام الآن الى الاممية الثالثة هي تاكيد غير مباشر لكون الاممية الشيوعية قد كسبت عطف الاغلبية الهائلة من العمال الواعين في العالم كله ، وهي تصبح يوما بعد يوم قوة متعاظمة ابدا .

وفي احوال معينة ، من الممكن ان تتعرض الاممية الشيوعية لخطر تمييعها بجماعات متذبذبة وغير متجانسة لم تقطع بعد روابطها بأيديولوجية الاممية الثانية .

وفضلا عن ذلك ، لا يزال يوجد حتى الآن في بعض الاحزاب الكبيرة (ايطاليا ، اسوج) التي تتبنى اغلبية اعضائها وجهة نظر الشيوعية ، جناح اصلاحي واشتراكي - مسالم كبير نسبيا لا يفعل غير ان يترصد الفرصة لكي يرفع رأسه من جديد ويبدأ بتخريب الثورة البروليتارية بنشاط ويساعد بالتالي البورجوازية والاممية الثانية .

وينبغي الا ينسى اي شيوعي دروس الجمهورية السوفييتية المجرية . فإن اتحاد الشيوعيين المجريين مع الاصلاحيين قد كلف البروليتاريا المجرية غاليا .

ونظرا لذلك يعتبر المؤتمر العالمي الثاني من الضروري رسم شروط دقيقة تماما لقبول الاحزاب الجديدة ، وكذلك الاشارة على الاحزاب التي قبلت في الاممية الشيوعية بالواجبات المترتبة عليها .

abou-adnan.org

إن المؤتمر الثاني للاممية الشيوعية يقرر : إن شروط الانتساب الى الكومنترن هي التالية :

١ ـ ينبغي للدعاية اليومية والتحريض اليومي أن يتسما بطابع شيوعي فعلا . وينبغي لجميع الصحف الموجودة في حوزة الحزب ان يحررها شيوعيون موثوقون قدموا البرهان على اخلاصهم لقضية الثورة البروليتارية . اما ديكتاتورية البروليتاريا فلا ينبغي التحدث عنها ببساطة كما عن صيغة شائعة محفوظة غيبا ، إنما تنبغي الدعاية لها بشكل تنجم معه ضرورتها بالنسبة لكل عامل وعاملة وجندي وفلاح عن وقائع الحياة ، التي تشير اليها صحافتنا بدأب وانتظام ويوما بعد يوم . وعلى صفحات الجرائد ، وفي الاجتماعات الشعبية ، وفي النقابة وفي التعاونية ، وحيثما ينفسح المجال امام انصار الاممية الثالثة ، من الضروري التشهير بدأب وانتظام وبلا رحمة ، لا بالبورجوازية وحسب ، بل ايضا بأعوانها وبالاصلاحيين من كل شاكلة وطراز .

٢ ـ كل منظمة ترغب في الانتساب الى الكومنترن ملزمة بأن تفصل الاصلاحيين وانصار « الوسط » بطريقة منهاجية وبدأب وانتظام من كل المناصب مهما كانت مسؤولة في الحركة العمالية (المنظمة الحزبية ، هيئة التحرير ، النقابة ، الكتلة البرلمانية ، التعاونية ، البلدية ، وما شابه) وبأن تعين مكانهم شيوعيين موثوقين ، دون أن ترتبك من اضطرارها احيانا الى الاستعاضة في البدء عن العاملين « المجربين » بعمال عاديين .

٣ ـ في جميع البلدان التي لا تتوفر فيها للشيوعيين ، بسبب من حالة الطوارىء او من القوانين الاستثنائية ، امكانية القيام بعملهم كله علنا ، ينبغي من كل بد الجمع بين العمل العلني والعمل السري ، إن النضال الطبقي في جميع بلدان اوروبا واميركا تقريبا يدخل في طور الحرب الاهلية . وفي هذه الظروف ، لا يمكن للشيوعيين أن يثقوا بالشرعية البورجوازية . فهم ملزمون بأن ينشئوا في كل مكان جهازا سريا موازياً يكون بمقدوره في اللحظة الحاسمة أن يساعد الحزب على اداء واجبه امام الثورة .

٤ ـ من الضروري القيام بالحاح ودأب وانتظام بالدعاية والتحريض في صفوف القوات المسلحة وتشكيل خلايا شيوعية في كل وحدة عسكرية . وهذا العمل إنما سيضطر الشيوعيون الى القيام بمعظمه سرا ، ولكن رفض القيام بهذا العمل يعني خيانة الواجب الثوري ويتناقض مع عضوية الاممية الثالثة .

٥ ـ ينبغي التحريض في الريف بصورة دائبة منتظمة منهاجية . فلا يمكن للطبقة العاملة أن توطد انتصارها اذا لم يكن وراءها جزء على الاقل من العمال الزراعيين ومن الفلاحين الفقراء واذا لم تحمل بسياستها جزءا من الريف الباقي على التزام الحياد . إن العمل الشيوعي في الريف يكتسب في العهد الحاضر اهمية من الدرجة الاولى . ومن الضروري القيام به ، بصورة رئيسية بواسطة العمال الشيوعيين الثوريين ممن لهم صلة بالريف . إن رفض القيام بهذا العمل او احالته الى ايد نصف اصلاحية غير موثوقة يعنيان رفض الثورة البروليتارية .

abou-adnan.org

٦ ـ كل حزب يرغب في الانتساب الى الاممية الثالثة ملزم ، لا بأن يفضح الاشتراكية ـ الوطنية السافرة وحسب ، بل بأن يفضح ايضا زيف ونفاق الاشتراكية المسالمة ، ملزم بأن يبرهن للعمال بداب وانتظام ان اي هيئات دولية للتحكيم أو اي مفاوضات بشأن تخفيض الاسلحة ، او اي تنظيم جديد « ديمقراطي » لعصبة الامم لن تنقذ البشرية من الحروب الامبريالية الجديدة اذا لم يتم اسقاط الراسمالية بالسبيل الثوري .

٧ ـ الاحزاب الراغبة في الانتساب الى الاممية الشيوعية ملزمة بالاعتراف بضرورة القطيعة الكلية والمطلقة مع الاصلاحية ومع سياسة « الوسط » وملزمة بالدعاية لهذه القطيعة في أوسع اوساط اعضاء الحزب . وبدون هذا ، يستحيل انتهاج سياسة شيوعية منسجمة ، متماسكة .

إن الاممية الشيوعية تطالب بلا قيد ولا شرط وبصورة انذارية بتحقيق هذه القطيعة في اقصر اجل . فلا يسع الاممية الشيوعية أن تسلم بأن يكون للاصلاحيين السافرين مثل توراتي ومورديلياني وغيرهما الحق في اعتبار انفسهم اعضاء في الاممية الثالثة ، فمن جراء مثل هذا النظام تمسي الاممية الثالثة شبيهة بالاممية الثانية الهالكة شبها قويا .

٨ ـ في مسالة المستعمرات ومسالة القوميات المظلومة ، ينبغي لاحزاب البلدان التي تملك برجوازيتها مستعمرات وتظلم قوميات اخرى نهج واضح خاصة ، فكل حزب يرغب في الانتساب الى الاممية الثالثة ملزم بأن يفضح بلا رحمة ولا هوادة احابيل امبرياليي « سه » في المستعمرات ، وأن يدعم ، لا بالاقوال بل بالافعال ، كل حركة تحررية في المستعمرات ، وأن يطالب بطرد امبريالي بلده من هذه المستعمرات ، وأن يربي في قلوب عمال بلده موقفا اخويا حقا من السكان الكادحين في المستعمرات ومن القوميات المضطهدة المظلومة ، وأن يقوم بالتحريض الدائب المنتظم في صفوف قوات بلده المسلحة ضد كل اضطهاد للشعوب المستعمرة .

٩ ـ كل حزب يرغب في الانتساب الى الاممية الشيوعية ملزم بأن يقوم بالعمل الشيوعي بداب وانتظام والحاح داخل النقابات والتعاونيات وغيرها من المنظمات العمالية الجماهيرية . وداخل هذه النقابات ، من الضروري تشكيل خلايا شيوعية ، يتعين عليها أن تكسب النقابات لأجل قضية الشيوعية بعمل مديد وعنيد . وهذه الخلايا ملزمة بأن تفضح في كل خطوة من العمل اليومي خيانة الاشتراكيين ـ الوطنيين وذبذبات « الوسط » . وينبغي أن تكون هذه الخلايا الشيوعية خاضعة كليا للحزب بمجمله .

١٠ ـ كل حزب منتسب الى الاممية الشيوعية ملزم بأن يخوض نضالا عنيدا ضد « امية » النقابات الصفراء المسماة « بأممية » امستردام[1] . وعليه أن يدعو بالحاح بين العمال المنظمين نقابيا لضرورة القطيعة مع امية امستردام الصفراء . وعليه أن يدعم

abou-adnan.org

بجميع الوسائل الاتحاد العالمي الناشيء للنقابات الحمراء[٣] المنتسبة الى الاممية الشيوعية .

(١) ـ اتحاد النقابات العالمي الذي اسسه النقابيون الاصلاحيون في تموز ١٩١٩ والذي ارتبط باحزاب الاممية الثانية . وكان ينادي بالتعاون بين العمال والبرجوازيين .

(٢) ـ « برومنترن » اتحاد عالمي للنقابات الثورية . من ١٩٢١ ـ ١٩٣٧ وكان يضم النقابات في الاتحاد السوفياتي والنقابات المعارضة للاصلاحية .

١١ ـ الاحزاب الراغبة في الانتساب الى الاممية الثالثة ملزمة بأن تعيد النظر في تركيب كتلها النيابية في البرلمانات ، وتفصل منها العناصر غير الموثوقة ، وتخضع هذه الكتل ، لا بالاقوال بل بالافعال ، للجنة الحزب المركزية ، وتطالب كل برلماني شيوعي باخضاع كل عمله لمصالح الدعاية الثورية حقا والتحريض الثوري حقا .

١٢ ـ كذلك ينبغي للصحافة الدورية وغير الدورية وجميع دور الطبع أن تخضع كليا للجنة الحزب المركزية بصرف النظر عما اذا كان الحزب بكليته في اللحظة المعنية علنا او سريا ، ومن غير الجائز أن تسيء دور الطبع التمتع بالاستقلال الذاتي وتتبع سياسة لا تكون حزبية كليا .

١٣ ـ ينبغي للاحزاب المنتسبة الى الاممية الشيوعية أن تكون مبنية وفق مبدأ المركزية الديمقراطية . ففي عهد الحرب الاهلية المتأزمة الحالي ، لن يتمكن الحزب الشيوعي من اداء واجبه الا اذا كان منظما بأشد المركزية، وسادته الطاعة الحديدية المتاخمة للطاعة العسكرية ، وكان مركزه الحزبي هيئة نافذة حازمة تتمتع بصلاحيات واسعة وتحظى بثقة اعضاء الحزب العامة .

١٤ ـ ينبغي على الاحزاب الشيوعية في البلدان التي يقوم فيها الشيوعيون بعملهم علنا ان تلجأ بصورة دورية الى تطهير (اعادة تسجيل) المنظمات الحزبية . وذلك لاجل تطهير الحزب بداب وانتظام من العناصر البورجوازية الصغيرة التي تلزق بها حتما .

١٥ ـ كل حزب يرغب في الانتساب الى الاممية الشيوعية ملزم بأن يؤيد كل جمهورية سوفييتية كامل التأييد في نضالها ضد القوى المعادية للثورة . وعلى الاحزاب الشيوعية ان تقوم بدعاية دائبة ثابتة من اجل أن يرفض العمال نقل المهام الحربية المرسلة الى اعداء الجمهوريات السوفييتية وان تقوم بالدعاية العلنية او السرية بين الوحدات العسكرية المرسلة لاجل خنق الجمهوريات العمالية ، الخ ...

١٦ ـ الاحزاب التي لا تزال حتى الآن متمسكة بالبرامج الاشتراكية ـ الديمقراطية القديمة ملزمة باعادة النظر في هذه البرامج باقصر اجل ممكن وبرسم برنامج شيوعي جديد يتفق وروح قرارات الاممية الشيوعية وينطبق على احوال بلدانها الخاصة . وحسب الاصول ، يجب أن يحظى برنامج كل حزب ينتسب الى الاممية الشيوعية بمصادقة المؤتمر الدوري للاممية الشيوعية او بمصادقة لجنتها التنفيذية . واذا لم تصادق اللجنة

abou-adnan.org

التنفيذية للاممية الشيوعية على برنامج هذا الحزب او ذاك ، يحق للحزب المعني أن يستانف قرار اللجنة امام مؤتمر الاممية الشيوعية .

١٧ ـ جميع قرارات الاممية الشيوعية ، وكذلك قرارات لجنتها التنفيذية الزامية على جميع الاحزاب المنتسبة الى الاممية الشيوعية . فينبغي للاممية الشيوعية التي تعمل في وضع الحرب الاهلية المتفاقمة منتهى التفاقم أن تكون مبنية بصورة اكثر مركزية بكثير مما كانت علية الاممية الثانية . ومع ذلك ، ينبغي للاممية الشيوعية ولجنتها التنفيذية أن تاخذا طبعاً بعين الاعتبار في عملهما باكمله كل تنوع الظروف التي تضطر مختلف الاحزاب الى النضال والعمل في ظلها والا تتخذ قرارات الزامية على الجميع إلا في المسائل التي يمكن بصددها اتخاذ مثل هذه القرارات .

١٨ ـ ونظرا لكل هذا ، ينبغي على جميع الاحزاب الراغبة في الانتساب الى الاممية الشيوعية ان تغير اسماءها . ينبغي على كل حزب يرغب في الانتساب الى الاممية الشيوعية أن يحمل اسم : الحزب الشيوعي في البلد المعني (فرع الاممية الشيوعية الثالثة). إن مسالة الاسم ليست مسالة شكلية وحسب ، بل ايضا مسالة سياسية على درجة كبيرة من الاهمية . فإن الاممية الشيوعية قد اعلنته نضالا حازما ضد العالم البورجوازي كله وضد جميع الاحزاب الاشتراكية ـ الديمقراطية الصفراء . ولذا ، من الضروري أن يتضح تمام الوضوح لكل كادح عادي الفرق بين الاحزاب الشيوعية وبين الاحزاب « الاشتراكية ـ الديمقراطية » او « الاشتراكية » الرسمية القديمة التي خانت راية الطبقة العاملة .

١٩ ـ بعد انتهاء اعمال المؤتمر العالمي الثاني للاممية الشيوعية ، يتعين على كل من جميع الاحزاب التي تريد الانتساب الى الاممية الشيوعية أن يعقد في اقصر الآجال مؤتمرا عاجلا لأجل المصادقة فيه رسميا باسم الحزب كله على الواجبات المعروضة آنفا .

البند العشرون من شروط القبول في الاممية الشيوعية[1]

ينبغي على الاحزاب التي تود الآن الانتساب الى الاممية الثالثة ولكنها لم تغير حتى الآن تكتيكها السابق بصورة جذرية ، أن تحرص قبل الانتساب اليها على أن يدخل في كل من لجانها المركزية وفي جميع اهم مؤسسات الحزب المركزية ما لا يقل عن ثلثي اولئك الرفاق الذين طالبوا علنا وبلا لبس ولا ابهام ، قبل المؤتمر الثاني للاممية الشيوعية بالانتساب الى الاممية الثالثة . تجوز الاستثناءات بمصادقة اللجنة التنفيذية للاممية الثالثة . يحق للجنة التنفيذية للاممية الشيوعية أن تستثني كذلك ممثلي « الوسط » المذكورين في البند ٧ .

١١٥ ـ لينين : « رسالة الى سيلفيا بانكهورست » حول وحدة الحركة الشيوعية العالمية ، ج ٢٠ ، ص ١٥٣ .

abou-adnan.org

١١٦ ـ لينين : المرجع السابق ص ١٥٤.

١١٧ ـ لينين : المرجع السابق

١١٨ ـ لينين : المرجع السابق ص ١٥٥ ١٥٦.

١١٩ ـ تحية الى الشيوعيين الايطاليين والالمان والفرنسيين المرجع السابق ص ١٦٦ ، ١٦٧.

١٢٠ ـ لينين : المرجع السابق ص ١٧١

(١) ـ هذا الشرط اقترحه واضيف الشرط رقم (٢١) وجاء فيه :

« اعضاء الحزب الذين يرفضون مبدئيا الشروط والموضوعيات التي اقرتها الاممية الشيوعية يجب فصلهم من الحزب ».

استدراك وتصويب

اطلعنا بعد انجاز طبع هذه الدراسة (العمل الشيوعي الثوري العربي الموحد) على كتاب للاستاذ منير شفيق بعنوان: «في الوحدة العربية والتجزئة» تناول فيه الكاتب موضوعه بالسعة والعمق الكافيين الامر الذي جعلنا نلفت انتباه رفاقنا الى اهمية قراءة هذا الكتاب لاغناء وجهة نظرنا الواردة في الدراسة .

abou-adnan.org

abou-adnan.org

اخبـار الحزب

حزب الشعب الثوري الاردني

لقد استطاع فرع (حزب العمل الاشتراكي العربي) في الاردن (حزب الشعب الثوري الاردني) ان يجتاز الازمة التي مر بها قبل عامين ورغم كل المحاولات التي مرت لانهائه ، وخيل لبعضهم ان الحزب انتهى وء يشروا ، بذلك مهللين مكبرين الا انهم فوجئوا عندما اثبت الحزب وجوده المادي على ارض الواقع وذلك من خلال ممارساته العملية حيث استطاع ان يجتاز الازمة ويستعيد وضعه السياسي والجماهيري معبرا عن ذلك بنضالات يومية تلمسها جماهيرنا في الاردن مثبتا بذلك صحة وجهات النظر السياسية التي طرحها في العديد من القضايا الراهنة . وقد جاءت الاحداث والتطورات السياسية لتثبت ان ما طرحه الحزب قبل اعوام كان صحيحا . وخلال هذه الفترة وطد الحزب بنيته التنظيمية القائمة على المبادىء اللينينية واهم ما تحقق على هذا الصعيد :

- استئصال الامراض التي علقت به وطهر صفوفه من الرموز الانتهازية التي استغلت ازمة الحزب لتعبر عن حقدها وانحرافها السياسي والتنظيمي . والى جانب ذلك اصدار صوت الشعب النشرة الدورية للحزب ، واصدار مجموعة بيانات سياسية بمناسبات متعددة ووزعت حتى شملت كل مناطق الاردن .

- وفي اوائل عام ١٩٨١ عقدت لقاءات عديدة ما بين فصائل الحركة الوطنية الاردنية كان الحزب احد الفصائل التي اسهمت بهذه اللقاءات وطرح وجهة نظره في

abou-adnan.org

فهم العمل الجبهوي مترجما بذلك قرارات المؤتمرين الأول والثاني للحزب المستندة الى الرؤية العلمية والموضوعية بأهمية ائتلاف كافة القوى الوطنية الموجودة في الاردن من اجل التصدي للنظام العميل على طريق اسقاطه واقامة النظام الوطني الديمقراطي الشعبي على انقاضه . وشارك الحزب في مجلس التنسيق بين كافة فصائل الحركة الوطنية الاردنية وفصائل حركة المقاومة الفلسطينية للارتقاء بصيغ ارقى من التنسيق وصولا الى الجبهة الوطنية التقدمية الاردنية . بالاضافة الى ذلك ساهم حزبنا في ايجاد (التكتل الديمقراطي القومي في الاردن) الى جانب بعض الفصائل الوطنية الاردنية ، ان حزبنا يشارك في كافة النشاطات واللقاءات والحوارات من اجل انجاز العمل الجبهوي وذلك ايمانا منا باهميته . وضمن الحد الادنى في الموقف السياسي .

● **حزب العمل الاشتراكي العربي - العراق .**

- اثر قيام النظام العراقي بشن الحرب ضد الثورة الايرانية ، اصدر حزب العمل الاشتراكي العربي في العراق بيانا ، شجب فيه الحرب وادان مرتكبيها وحمل النظام مسؤولية نتائجها وتبعاتها المدمرة .

- وشارك الحزب بتكتيل بعض القوى الديمقراطية والقومية للوقوف بوجه فاشية النظام البعثي وانقاذ شعبنا العراقي من محنته التي يعيشها في ظل نظام الفاشية والرجعية .

● **حزب العمل الاشتراكي العربي - لبنان .**

● عقد حزب العمل الاشتراكي العربي في لبنان مؤتمره الثاني تحت شعار « ليكن مؤتمرنا الوطني الثاني خطوة جديدة على طريق بناء حزب شيوعي من طراز جديد » وانهى المؤتمر الوطني الثاني للحزب اعماله بنجاح بعد ستة ايام من العمل المتواصل .

abou-adnan.org

الفهرس

العودة الى طريق الثورة ١
مشروع دراسة العمل الشيوعي الثوري العربي الموحد ..... د
المقدمة : ظروف ودوافع كتابة هذه
الدراسة ٥
ـ الفصل الأول : مقياس تجربة عملنا العربي ١
● أولا : سؤال عن وعينا لمصاعب العمل
الشيوعي الثوري العربي الموحد وتبعات الالتزام
به ، والعزم على متابعته والتصميم
على انجاحه ٣
● ثانيا : مصاعب العمل الشيوعي الثوري
العربي الموحد وتجربتنا الخاصة ٣
● ثالثا : مقياس تقييم تجربة عملنا العربي ،
وكيفية تحديده ١٠

الفصل الثاني : مقومات العمل الشيوعي
الثوري العربي الموحد وحيثياته ١٥
● أولا : الوضع العالمي اثناء المباشرة بتجربة
الحزب ١٧
● ثانيا الأوضاع العربية الراهنة ١٩

abou-adnan.org

الفصل الثالث : مفهوم الأمة في التاريخ وتعريف ستالين للأمة ٦٥

● اولا : ايضاح ٦٧

● ثانيا : ما هي الأمة ٦٧

● ثالثا : نقد تعريف ستالين ٦٨

● رابعا : تعريف العلماء السوفيات للأمة ١٠٧

الفصل الرابع : الأمة العربية ووحدتها القومية في التاريخ العربي ١٠٩

● اولا : العلاقة الجدلية بين الانقسام الأممي والانقسام الطبقي ١١١

● ثانيا : اختلاف التطور في مجتمعاتنا عن المجتمعات الأوروبية ينغرس في اعماق التاريخ القديم ١١٤

● ثالثا : الاسلام ونشأة الأمة العربية ووحدتها القومية ١١٦

● رابعا : الشيوعيون العرب وقضية وحدة الأمة العربية ١٢٧

الفصل الخامس : مهام الحركة الشيوعية العربية ١٤٥

● اولا : تمهيد وايضاح ١٤٧

● ثانيا : مهام الحركة الشيوعية العربية ١٥٠

الفصل السادس : حزب العمل الاشتراكي العربي وصيغ العمل الشيوعي العربي الموحد ١٧١

● اولا : صيغ العمل العربي في المرحلة الراهنة ١٧٣

abou-adnan.org

● ثانيا : حزب العمل الاشتراكي العربي والحزب الشيوعي العربي الموحد ١٧٨

الفصل السابع : تقييم تجربة حزب العمل الاشتراكي العربي ١٨٩

● اولا : مقياس تقييم التجربة ١٩١

● ثانيا : العوامل المحفزة لانطلاقة عملنا العربي ١٩٣

● ثالثا : العوامل المعيقة لعملنا العربي ١٩٧

رابعا : تقييم التجربة ٢٠١

الفصل الثامن : معطيات التجربة وشروط العمل الشيوعي الثوري العربي الموحد ٢٠٥

● اولا : الشروط الفكرية ٢٠٧

● ثانيا : الشروط التنظيمية ٢٠٨

● ثالثا : الاعلام واعداد الكوادر الحزبية ٢١٣

● رابعا : معطيات التجربة وشروط العمل الشيوعي ٢١٥

الهوامش ٢٢٧

اخبار الحزب ٢٥١

abou-adnan.org

abou-adnan.org

abou-adnan.org

(لا نستطيع متابعة السير إلى أمام دون أن نصفي هذه المرحلة تصفية تامة ـ لينين)

الـرّد الثوري

(إن طبقة مضطهدة مظلومة لا تسعى الى تعلم استعمال السلاح إلى الحصول على السلاح ، ان هذه الطبقة المضطهدة لا تستحق أن تعامل الا معاملة العبيد . والحال اننا لا نستطيع أن ننسى ـ الا اذا غدونا مسالمين برجوازيين أو امسينا انتهازيين ـ اننا نعيش في مجتمع طبقي . وانه لا خروج منه ولا يمكن الخروج منه إلا بالنضال الطبقي . وفي كل مجتمع طبقي ـ سواء أكان قائما على العبودية ، ام على القنانة ، ام ، كما هي الحال اليوم ، على العمل المأجور ـ تكون الطبقة الظالمة مسلحة ـ لينين) .

الماركسي الثوري

(. . إن ما يميز الماركسي الثوري عن المبتذل والبرجوازي الصغير ، هو ان الماركسي الثوري يعرف كيف يروج بين الجماهير الجاهلة لفكرة ضرورة الثورة التي تنضج ، ويقدم البرهان على حتمية نشوبها ، ويوضح فائدتها للشعب ، ويحضر لها البروليتاريا وجميع الجماهير الكادحة والمستثمرة ـ لينين) .

(إن الاشتراكية ـ الديمقراطية لا تعلل النفس بالاوهام ، وهي تعرف ان البرجوازية مطبوعة على الغدر ، فلن تفتر همتها . لن تعدل عن عملها العنيد ، الصبور . الدائب ، في تربية البروليتاريا بالروح الطبقي حتى في الأيام العادية ـ لينين) .

اقرأ طريق الثورة وقدم ملاحظاتك عليها .

abou-adnan.org